البيان والتبيين

لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا
والأدب ثانيا

ابن العميد

حققه وشرحه

حسن السندوبي

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

وهي تمتاز عن سابقتها بدقة التحقيق والضبط والتهذيب وزيادة الشرح

القاهرة في سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

البيان والتبيين

حققه وشرحه

حسن السندوبي

البيان والتبيين

لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الجاحظ

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا
ابو العميد

حققه وشرحه

حسن السندوبى

الجزء الثانى

الطبعة الثانية

وهى تمتاز عن سابقتها بدقة التحقيق والضبط والتهذيب وزيادة الشرح

القاهرة فى سنة ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر
بالخرنفش رقم ٢٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان الجاحظ :

الحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة.

أردنا أبقاك الله أن نبتدئ صدر هذا الجزء من « البيان والتبيين » بالرد على الشُّعوبِيَّة (١) فى طعنهم على خطباء العرب ، إذا وصلوا إيمانهم بالمخاصر ، واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القِسِيّ والعُصِيّ ، وأشاروا عند ذلك بالقضبان والقنا ، وفى كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق ، والمثل السائر .

ولكنا أحببنا أن نُصَدِّرَ هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلة من التابعين ، الذين كانوا مصابيح الظلام ، وقادة هذا الأنام ، ومِلْحَ الأرض ، وحِلَى الدنيا ، والنجوم التى لا يضل معها السارى ، والمنار الذى إليه يرجع الباغى ، والحزب الذى كثَّرَ الله به القليل ، وأعزَّ به الذليل ، وزاد الكثير فى عدده ، والعزيز فى ارتفاع قدره . وهم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحذوا بمنطقهم الأذهان الكليلة ، فنبهوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها من سوء عادتها ، وشفوها من داء القسوة وغباوة الغفلة ، وداوَوْا من العِيِّ الفاضح

---

(١) الشعوبية جمع شعوبي ، والشعوبى هو كل من يحقر من شأن العرب ولا يعترف لهم بفضيلة تميزهم من غيرهم من الأمم ، وقد كان هناك قوم من الموالى ونفاضات الأمم رأوا أن لا شىء يرفع من قدرهم إلا الطعن على العرب وإنكار كل فضل لهم لتكون لهم ميزة يعرفون بها ولكنهم سقطوا من حيث أرادوا الارتفاع ، ومن الأسف أنه يوجد الآن بيننا خشارة من هذا النوع جهلوا ما للعرب من فضل وراعتهم المدنية الأوربية فقلدوا أسلافهم من الشعوبيين فى الطعن على العرب وأدبهم ولغتهم وأنكروا كل فضل لهم ورأوا الفضل كل الفضل للاوربيين ، وجعلوا ذلك بغيتهم التى تميزهم عن كتاب العربية وأدباء العربية ولكنهم والحمد لله موضع سخرية الساخرين حتى من الأوربيين أنفسهم . وستكون عاقبتهم عاقبة أسلافهم إن شاء الله

ونهجوا الطريق الواضح . ولولا الذى أملت فى تقديم ذلك وتعجيله من العمل بالصواب ، وجزيل الثواب ، لقد كنت بدأت بالرد عليهم ، وبكشف قناع دعاويهم . على أنا سنقول فى ذلك بعد الفراغ مما هو أولى بنا وأوجب علينا ، والله الموفق والمستعان .

وعلى أن خطباء السلف الطيِّب وأهل البيان من التابعين باحسان ، مازالوا يُسَمون الخطبة التى لم يبتدئْ صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد : « البتراء » ويسمون التى لم تُوَشَّح بالقرآن وتُزين بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم « الشَّوْهاء » .

وقال عِمْرانُ بنُ حِطَّانٍ : خطبت عند زِيادٍ خطبة ظننت أنى لم أُقصِّر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن عِلةً ، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن .

وخطب أعرابى فلما أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد ، والاستفتاح بالتمجيد ، فقال : أما بعد ، بغير ملال لذكر الله ولا إيثار غيره عليه ، فإنا نقول كذا ، ونسأل كذا . فراراً من أن تكون خطبته بَتراء ، أو شوها . وقال شَبيبُ بنُ شَيْبَةَ : الحمد لله وصلى الله على رسوله . أما بعد ، فإنا نسأل كذا ، ونُبذل كذا .

وَبِنا حفظك الله أشد الحاجة إلى أن يسلم كتابنا هذا من البتر القبيح ، واللقب السميج المعيب ، بل قد نحب أن نزيد فى بهائه ، ونستَميل القلوب إلى اجتبائه ، إذ كان الأمل فيه بعيداً ، وكان معناه شريفاً ثميناً .

ثم اعلم بعد ذلك أن جميع خطب العرب ، من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار . ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه . ومن الطوال ما يكون مستوياً فى الجودة ومُشاكلا فى استواء الصنعة ومنها ذات الفِقَر الحسان والنُّتَف الجياد ، وليس فيها بعد ذلك شىء يستحق

الحفظ ، وإنما حظها التخليد فى بطون الصحف . ووجدنا عدد القِصار أكثر ورُواة العلم إلى حفظها أسرع ، وقد أعطينا كل شكل من ذلك قِسطَهُ من الاختيار ووفينا حقه من التمييز ، ونرجو أن لا نكون قصرنا فى ذلك والله الموفق .

هذا سوى ما رسمناه فى كتابنا هذا من مُقَطَّعات كلام العرب الفُصْحاء ، وجُمل كلام الاعراب الخُلَّصِ ، وأهل اللَّسَنِ من رجالات قريش والعرب أهل الخطابة من أهل الحجاز ، ونتفٍ من كلام النُّسَّاك ومواعظ من كلام الزهاد ، مع قلة كلامهم وشدة تَوَقّيْهِم ، ورُب قليل يغُنى عن الكثير ، كما أن رُبَّ كثير لا يتعلق به صاحب القليل ، بل رُبَّ كلمة تُغْنى عن خطبة وتنوب عن رسالة ، بل رُب كناية تُرْبِى على إفصاح ولحظ يدل على ضمير ، وإن كان ذلك الضمير بعيدَ الغاية على النهاية .

ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وِفقاً ، ولذلك القدر لِفقاً ، وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع ، وأجدرَ أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويَحمى عِرضه من اعتراض العيّابين ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة .

ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً فى نفسه متخيَّراً فى جنسه ، وكان سالما من الفضول بريئا من التعقيد ، حُبب إلى النفوس ، واتصل بالأذهان والتحَمَ بالعقول وهشت إليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره وعظم فى الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم الرّيض

فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة ، وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يغش ، وكان مشغوفا بأهل الجماعة ، شَنِفا [1]

---

(١) كان بالاصول : شنقا ، بالقاف ، وليس هذا مكانها ، والصواب بالفاء كما أثبتناه . والشنف : المبغض المتكره

لأهل الأختلاف والفُرقة ، جُمعت له الحظوظ من أقطارها ، وسيقت إليه القلوب بأزمّتها ، وجُمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته ، وجُبلت على تصويب إرادته ومن أعاره الله من معرفته نصيباً ، وأفرغ عليه من محبته ذَنُوباً [١] حنت إليه المعانى . وَسَلِسَ له نظامُ اللفظ ، وكان قد أغنى المستمع من كدّ التكلف ، وأراح قارىء الكتاب من علاج التفهّم .

ولم أجد فى خطب السلف الطّيب والأعراب الأقحاح [٢] ألفاظاً مسخوطة ولا معانى مدخولة ولا طبعاً رديًّا ولا قولا مستكرها ، وأكثر ما نجد ذلك فى خطب المُوَلَّدِيْنَ البلديّين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين ، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، أو كان من نَتاج التخير والتفكر .

ومن شعراء العرب مَن كان يَدَعُ القصيدة تمكث عنده حولا كَرِيتا [٣] وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه ، إتّهاما لعقله وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله ذِماما على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، إشفاقا على أدبه ، وإحرازاً لما خوّله الله من نعمته . وكانوا يسمون تلك القصائد : « الحَوْلِيّات » و« المُقَلَّدَات » و « المنقّحَات » و « المُحْكَمَات » ليصير قائلها فحلاً خِنْذِيذاً ، وشاعراً مُفلقا .

وفى بيوت الشعر الأمثال والأوابد ، ومنها الشواهد ، ومنها الشوارد .

والشعراء عندهم أربع طبقات : فأولهم الفحل الخِنْذِيذُ ، والخِنْذِيذ هو التام ، قال الأصْمَعِيُّ : قال رُؤْبةُ [٤] هم الفحولة الرواة . ودون الفحلِ الخِنذيذِ : الشاعر

---

(١) الذنوب : الدلو الملآى ، استعارها هنا لافراغ المحبة حتى تعمه من فرقه إلى قدمه

(٢) الاقحاح جمع قح ، وهو الخالص العروبة

(٣) حولا كريتا : حولا تاما كاملا

(٤) هو رؤبة بن العجاج كان من فحول الرجاز فى الاسلام نشأ هو وأبوه فى الدولة الأموية وأدرك هو الدولة العباسية ونال الجوائز والصلاة من زعماء الدولتين . وهو أحد الرجاز الفصحاء المذكورين المقدمين فى معرفة اللغة . أخذ عنه وجوه الرواة واللغويين وصدور أهل الادب واحتجوا بقوله واتسموا بفصاحته . وقد روى الحديث ونقل عنه . قيل ليونس بن حبيب : من أشعر الناس ؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له : ولم ، ولم نعن الرجاز ؟ قال : هم أشعر من أهل القصيد . إنما الشعر كلام فأجوده أشعره . وقال رؤبة : بعث إلى أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بنى هاشم فلما دخلت عليه رأى جزعا

المفلق ، ودون ذلك : الشاعر فقط ، والرابع : الشُّعْرُورُ ، ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء :

يَا رَابِعَ الشُّعَرَاءِ فِيمَ هَجَوْتَنِي ... وَزَعَمْتَ أَنِّي مُفْحَمٌ لا أَنْطِقُ(١)

فقال : إسكن فلا بأس عليك ، ماهذا الجزع الذى ظهر منك ! قلت : اخافك ! قال : ولم ؟ قلت : لأنه بلغني انك تقتل الناس ! قال : إنما اقتل من يقتلني ويريد قتلي ، افأنت منهم ؟ قلت : لا .. قال : فهل ترى بأساً ؟ قلت : لا . فأقبل على جلسائه ضاحكا ثم قال : اما ابن العجاج فقد رخص لنا . ثم قال : انشدني قولك « وقاتم الأعماق خاوى المخترق » فقلت : لو انشدك اصلحك الله احسن منه ؟ قال : هات فأنشدته :

قلت ونسجي مستجدا حوكا ... لبيك إذ دعوتني لبيكا
احمد ربا ساقني إليكا

قال : هات كلمتك الأولى ؟ قلت : او انشدك احسن منها ! قال : هات . فأنشدته :

مازال يبني خندقا ويهدمه ... ويستجيش عسكراً ويهزمه
ومغنما يجمعه ويقسمه ... مروان لما ان تهاوت انجمه
وخانه في حكمه منجمه

قال : دع هذا وانشدني « وقاتم الأعماق » قلت : او احسن منه ! قال : هات ! فأنشدته :

رفعت بيتا وخفضت بيتا ... وشدت ركن الدين إذ بنيتا
في الأكرمين من قريش بيتا

قال : هات ماسألتك عنه ؟ فأنشدته :

مازال يأتي الأمر من أقطاره ... على اليمين وعلى يساره
مشمرا لا يصطلى بناره ... حتى أقر الملك في قراره
وفر مروان على حماره

قال : ويحك ، هات مادعوتك له وامرتك بانشاده ولا تنشد غيره ؟ ؟ فأنشدته « وقاتم الاعماق خاوى المخترق » فلما صرت إلى قولى « يرمى الجلاميد بجلمود مدق » قال : قاتلك الله ، لشد ما استصلبت الحافر ! ثم قال : حسبك ، انا ذلك الجلمود المدق . وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يدي ثم قال : يارؤبة ، إنك اتيتنا والاموال مشفوهة وإن لك لعودة إلينا وعلينا معولا والدهر اطرق مستتب فلا تجعل بيننا وبينك الاسدة . قال رؤبة : فاخذت المنديل منه وتالله مارايت اعجمياً افصح منه وما ظننت ان احداً يعرف هذا الكلام غيري وغير ابي ! . وكان رؤبة يراوح في الاقامة بين البادية والبصرة . مات سنة ١٤٥ هـ

(١) كان في الاصول : مقحم . ولا معنى لها هنا ، والصواب ما أثبتناه ، والمفحم : العيي الذى لايكاد يبين . وفي هذا المعنى يقول الحطيئة :

الشعراء فاعلمن أربعه ... فشاعر لايرتجى لمنفعه
وشاعر ينشد وسط المجمعه ... وشاعر يجرى ولا يجرى معه
وشاعر يقال خمر في دعه

فجعله سكّيتا مخلّفا ، ومسبوقا مؤخرا . وسمعت بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاثة : شاعر ، وشُوَيْعِر ، وشُعْرُور . قال : والشويعر مثل محمد بن حُمران بن أبي حُمران، سماه بذلك امرؤُ القيس بن حُجر . ومنهم ثم من بنى ضبة : المُفَوَّف ، شاعر بنى حُمَيس ، وهو الشُّوَيعر ، ولذلك قال العبدى :

أَلاَ تَنْهَى سَرَاةُ بَنِى حُمَيسٍ شُوَيْعِرَهَا فُوَيْلِيَةَ الأَفَاعِى (١)

قُبَيِّلَةٌ تَرَدَّدُ حَيْثُ شَاءَتْ كَزَائِدَةِ النَّعَامَةِ فِى الْكُرَاعِ (٢)

والشُّعير أيضا : صَفْوَانُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلَ من بنى سعد بن ليث ، ويقال إن اسمه رَبيعَةُ بنُ عثمان ، وهو الذى يقول :

فَسَائِلْ جَعْفَراً وَبَنِى أَبِيهَا بَنِى البَرْزَى بِطِخْفَةَ وَالمِلاَحِ (٣)

وَأَفْلَتَنَا أَبُو لَيْلَى طُفَيْلٌ صَحِيحَ الْجِلْدِ مِنْ أَثَرِ السِّلاَحِ

وقد زعمَ ناس أن الخِنْذِيذَ من الخيل هو الخصى ، وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر (٤)

يَالَيْتَنِى يَالَيْتَ لَمْ أَرَ مِثْلَهَا أَمَرَّ قِرًى مِنْهَا وَأَكْثَرَ بَاكِيَا

---

(١) قال الجاحظ : فويلية الأفاعى : دويبة سوداء فوق الخنفساء

(٢) كراع النعامة : مادون عقبها . والزائدة ماخرج فى العقب

(٣) طخفة : جبل أحمر طويل حذاؤه بئار ومنهل . وفى سفحه حدث يوم من ايام العرب كان لبنى يربوع على قابوس بن المنذر . والملاح : موضع ، قال ياقوت : قال الشويعر الكنانى واسمه ربيعة بن عثمان :

فسائل جعفرا وبنى أبيها بنى البرزى بطخفة والملاح

غداة أتيهم حمر المنايا يسقن الموت بالأجل المتاح

وأفلتنا أبو ليلى طفيل صحيح الجلد من أثر السلاح

(٤) اما البيت الأول من هذين البيتين فلم أقف له على قائل فيما لدى من مصادر ، وأما البيت الثانى فهو من قصيدة مالك بن الريب التى يرثى بها نفسه حينما أدركته الوفاة ، وذلك حيث يقول :

تذكرت من يبكى على فلم أجد سوى السيف والرمح الردينى باكيا

واشقر خنذيذاً يجر عنانه إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا

وكثيرا مالاحظت أن الجاحظ يخلط الشعر بعضه ببعض وقد يرويه لغير قائله لأنه كان يملى على قلمه من حافظته وكثيراً ماتخون الحافظة

وَأَكْثَرَ خِنْذِيذًا يَجُرُّ عِنَانَهُ ... إِلَى المَاوِمْ يَتْرُكْهُ المَوْتُ سَاقِيَا

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ (١)

وَخِنْذِيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ مِنْهُ ... كَطَىِّ الزِّقِّ عَلَّقَهُ التِّجَارُ

وأبين من ذلك قول الرُّجي « وَخَنَاذِيذَ خِصْيَةً وَفُحُولاً »

ويدل على ذلك قول العبسي :

دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ إِلَيَّ فَشَمَّرَتْ ... خَنَاذِيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالُ السَّوَاعِدِ

وكان زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى يسمى كبار قصائده « الحوليات » وقد فسر سُوَيْدُ بْنُ كُرَاعٍ العُكْلِيُّ (٢) ماقلنا في قوله :

أَبِيتُ بِأَبْوَابِ القَوَافِي كَأَنَّمَا ... أُصَادِي بِهَا سِرْبًا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعَا (٣)

أُكَالِئُهَا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَمَا ... يَكُونُ سُحَيْرٌ أَوْ بُعَيْدُ فَأَهْجَعَا (٤)

عَوَاصِيَ إِلاَّ مَا جَعَلْتُ أَمَامَهَا ... عَصَا مِرْبَدٍ تَغْشَى نُحُورًا وَأَذْرُعَا (٥)

---

(١) هو بشر بن أبي خازم الأسدي ، شاعر جاهلي قديم يعد من الفحول قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من فحول الجاهلية كانا يقويان : بشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني ، فأما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره فلم يعد ، وأمابشر فقال له أخوه سوادة إنك لتقوى ! فقال : وما الاقواء ؟ قال : قولك:

ألم تر أن طول الدهر يسلي ... وينسى مثل مانسيت جذام

ثم قلت : وكانوا قومنا فبغوا علينا ... فسقناهم إلى البلد الشآم

فلم يعد للاقواء . والبيت الذي جاء به الجاحظ في الأصل من قصيدة مفضلية تراها مشروحة بقلمنا بالمفضليات ص ١٦٢

(٢) هو سويد بن كراع العكلي ، شاعر إسلامي مقدم من شعراء الدولة الأموية ، وكان سيد قومه وصاحب الرأي فيهم والتقدم عليهم ، وعكل وضبة وعدي وتيم يقال لهم : الرباب ، وأول هذه الأبيات التي رواها له الجاحظ :

تقول ابنة العوفي ليلى الا ترى ... إلى ابن كراع لايزال مفزعا

مخافة هذين الأميرين سهدت ... رقادي وغشتني بياضا تفزعا

على غير جرم غير ان جار ظالم ... على فجهزت القصيد المقزعا

وقد هاشي الأقوام لما رميتهم ... بفاقرة إن هم ان يتشجعا

وفي رواية صاحب الأغاني لهذه الأبيات تغيير وتبديل وزيادة ونقص

(٣) اصادي : اتعرض لها لأصيدها ، والسرب : القطيع من الوحش ، والنزع المسرعات في عدوهن

(٤) أكالئها : اراقبها ، اعرس : انزل حتى بعيد السحر ، والهجوع : النوم

(٥) العواصي يريد بها القوافي الأوابد

أَهَبْتُ بِغُرِّ الآبِدَاتِ وَرَاجَعَتْ طَرِيقاً أَمَلَّتْهُ القَصَائِدُ مَهْيَعَا(١)
بَعِيدَةُ شَأْوٍ لاَ يَكَادُ يَرُدُّهَا لَهَا طَالِبٌ حَتَّى يَكِلَّ وَيَظْلَعَا(٢)
إِذَا خِفْتُ أَنْ تَرْدَى عَلَيَّ رَدَدْتُهَا وَرَاءَ التَّرَاقِي خَشْيَةَ أَنْ تَطَلَّعَا(٣)
وَجَشَّمَهُ خَوْفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا فَثَقَّفْتُهَا حَوْلاً جَرِيداً وَمَرْبَعَا(٤)
وَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِي عَلَيْهَا زِيَادَةٌ فَلَمْ أَرَ إِلاَّ أَنْ أُطِيعَ وَأَسْمَعَا

ولا حاجة بنا مع هذه الفقر إلى الزيادة فى الدليل على ما قلنا ، ولذلك قال الحطيئة : خير الشعر الحَوْلِيُّ المُحَكَّكُ (٥) . وكان الأصمعى يقول : زُهَيْرُ بنُ أبى سُلْمى والحُطَيئةُ وأشباههما عَبِيدُ الشعر ، وكذلك كل من يُجوِّد فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يُخرج أبياتَ القصيدة كلها مستوية فى الجودة . وكان يقال : لولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم فى باب التكلف وأصحاب الصنعة ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب الألفاظ لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعانى سَهْواً ورَهْواً (٦) ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا (٧) . وإنما الشعر المحمود كشعر النَّابغة الجعدى ورُؤْبَةَ ، ولذلك قالوا فى شعره : مِطْرَفٌ بآلاف وخِمَارٌ بِوَاف . وكان يخالف فى جميع ذلك الرواة والشعراء . وكان أبو عُبَيْدَةَ يقول ، ويحكى ذلك عن يُونس : (٨) ومن

(١) اهبت : دعوت . غر الآبدات : القوافى البيض الغرر . الطريق المهيع . الواسع المعبد
(٢) بعيدة الشأو : شاسعة الغاية . يظلع : يعرج
(٣) تردى : تأتى ميتة لاروح فيها
(٤) جشمه : كلفه . ابن عفان : يريد به سعيد بن عثمان بن عفان . ثقفها : هذبها ونقحها . حولا جريدا . حولا كاملا . ومربعاً : وربيعاً . يعنى وفصلا من فصول الحول الثاني
(٥) الحولى المحكك : الذى مضى عليه الحول تهذيباً وتنقيحاً
(٦) سهوا ورهوا : سهلا متدفقا
(٧) تنثال انثيالا : تأتى عفواً بلا تكلف
(٨) هو يونس بن حبيب البصري . كان مولى بنى ضبة ويكنى ابا عبد الرحمن . كان عالما بالنحو واللغة والغريب واسع الرواية فصيحا بليغا . وله فى النحو اقيسة ومذاهب تفرد بها . صحب اباعمرو ابن العلاء وسمع من الاعراب الفصحاء وروى عن سيبويه فأكثر . وسمع منه الكسائى والفراء وغيرهما من الكوفيين . وكانت حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب اللغة والادب والغريب ونوادر

تكسّبَ بشعره والتمس به صِلاتِ الأشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة في قصائد السِّماطين وبالطوال التي تُنشد يوم الحَفْل لم يجد بُدّاً من صنيع زُهَير والحُطَيئة وأشباههما ، وإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ، ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتداراً عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه . وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور بيتوه في صدورهم وقيدوه على أنفسهم فاذا قوّمه الثِّقاف وأُدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه مُحككا مُنقحا ، ومُصفًّى من الأدناس مهذبا . وقال الرَّبيعُ بنُ أبي الحُقَيقِ (١) لأبي ياسِرِ النَّضِيْرِيّ :

فَلاَ تُكثِرِ النَّجْوَى وَأَنْتَ مُحَارِبٌ ... تُؤامِرُ فيهَا كُلَّ نِكسٍ مُقَصِّرِ (٢)

وكان عبدُ اللهِ بنُ وَهبٍ الرَّاسِبيُّ يقول : إياي والرأي الفطير ! وكان يستعيذ بالله من الرأي الدَّبَرِيّ . قال سَحْبان وائل: شر خليطيك السؤوم المُحْزِمُ (٣) لأن السؤوم لا يصبر ، وإنما التفاضل في الصبر، والمحزم صعب لا يعرف ما يراد

الاشعار ، وبغشاها فصحاء الاعراب من البوادي . قال له رؤبة يوما : حتى م تسألني عن هذه البراطيل وازخرفها لك ، اما ترى الشيب قد تاع في لحيتك ؟ ! عاش طوال ايامه عزبا لم يتزوج ولم يتسر ، ولد سنة ٩٠ ومات سنة ١٨٢ هـ

(١) هو الربيع بن ابي الحقيق اليهودي ، كان من رؤساء بني قريظة وشاعراً من شعراء اليهود . وكان فارسا شجاعا . كان على بني قريظة يوم بعاث . اراد النابغة الذبياني شهود سوق بني قينقاع فرآه الربيع من اطمه فنزل إليه ولحق به فلما اشرفا على السوق سمعا الضجة ، وكانت سوقا عظيمة . فحاصت بالنابغة ناقته فانشأ يقول :

كادت تهال من الاصوات راحلتي

فقال الربيع : والنفر منها إذا ما أوجست خلق

فقال النابغة : لولا انهنهها بالسوط لاجتذبت

فقال الربيع : من الزمام وإني راكب لبق

فقال النابغة : قدملت الحبس في الآطام واستعفت

فقال الربيع : إلى مناهلها لو انها طلق

فقال النابغة : انت ياربيع اشعر الناس

(٢) النكس : الدنيء الذي لاخير فيه

(٣) المحزم : من حزمته التجارب فصار حازما

به وليس الحزم إلا بالتجارب ولأن عقل الغريزة مُسلَّم إلى عقل التجربة ، ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : رأيُ الشيخ أحب إليّ من جَلَد الشباب . ولذلك كرهوا ركوب الصعب حتى يذل والمهر الأَرِن (١) إلا بعد طول الرياضة ، ولم تُحوَّل المعانيقُ هماليجَ إلا بعد طول التخليع (٢) ، ولم يحلبوا الزَّبون إلا بعد الإبساس (٣)

وسنذكر من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لم يسبقه إليه عربي ولم يشاركه فيه عجمي ولم يُدَّعَ لأحد ولا ادّعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً .

فمن ذلك قوله : « ياخَيْلَ اللهِ ارْكَبِي » ومن ذلك قوله : « ماتَ حَتْفَ أَنفِهِ » ومن ذلك قوله : « لاينْتَطِحُ فيه عَنْزانِ » ومن ذلك قوله : « الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ » .

ولما قال عَدِيُّ بنُ حاتِمٍ في قتل عثمان رضي الله تعالى عنه : لا تَحبَقُ فيه عَناق (٤) قال له معاوية بن أبي سفيان رحمهما الله — بعد أن فُقِئَت عينه وقتل ابنه — يا أبا طَريف ، هل حَبقت في قتل عثمان عَناق ! ؟ قال : إِيْ والله ، والتيسُ الأضجم ! فلم يصر كلامه مثلا ، وصار كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا .

ومن ذلك قوله لأبي سفيان بن حرب (٥) : « كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا »

---

(١) المهر الأرن : النشط المرح الذى لم يمرن

(٢) المعانيق : الخيل الحسنة العنق وهو ضرب من السير . والمماليج : البراذين الجيدة السير في سرعة. ولعلها المعروفة لدينا باسم الرهوانات . وهو اسم عربي مشتق من الرهو وهو السير في لين وتدفق . والتخليع : تعليم السير بتخلع واضطراب

(٣) الزبون : الناقة التي تمنع حالبها من القرب منها . والابساس : قول الحالب للناقة : بس بس ، فلها حينا تسمع ذلك منه تسكن

(٤) لاتحبق فيه عناق : لاتضرط فيه عنز صغيرة

(٥) الصحيح أن هذا القول قيل في أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . وكان أخا النبي في الرضاعة وكان يألف النبي وهو صغير فلما بعث عاداه وهجاه ثم أسلم عام الفتح وشهد يوم حنين وقال فيه النبي : أرجو أن يكون خلفا من حمزة . وقيل فيه : أبو سفيان سيد فتيان أهل الجنة . مات بالمدينة سنة ٢٠ هـ

ومن ذلك قوله : « هُدْنَةٌ على دَخَنٍ وجماعةٌ علَى أقْذَاءٍ » (١) ومن ذلك قوله : « لايُلْسَعُ المؤمنُ مِنْ جُحْرٍ مرَّتَيْنِ »

ألا ترى أن الحارثَ بنَ خدَّان حين أُمر بالكلام عند مقتل يَزِيْدَ بنِ المُهلب قال : يا أيها الناسَ ، اتقوا الفتنة فإنها تُقبل بشبهة وتُدبر ببيان ، وإن المؤمن لا يُلسع من جُحْرٍ مرتين. فضرب بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل ، ثم قال : اتقوا عُصباً تأتيكم من الشام كأنها دِلاء قد انقطع وذَمُها (٢)

وقال ابن الأشعث لأصحابه وهو على المنبر : قد علمنا إن كنا نعلم وفهمنا إن كنا نفهم ، أن المؤمن لا يُلسع من جُحر مرتين ، وقد والله لُسعتَ بكم من جُحر ثلاث مرات ، وأنا أستغفر الله من كل ما خالف الإيمان وأعتصم به من كل ما قرب من الكفر .

وأنا أذكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلى الله عليه وسلم ، وهو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجَلَّ عن الصنعة ونُزِّه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يامحمد : « وما أنا مِنَ المتَكلِّفين » فكيف وقد عاب التَّشْدِيق وجانبَ أصحاب التقعير واستعمل المبسوط فى موضع البسط والمقصور فى موضع القصر وهجر الغريب الوحشى ورغب عن الهجين السُّوقى ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة وشُيد بالتأييد ويُسر بالتوفيق . وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه وَغَشَّاهُ بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة و بين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ومع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى مُعاودته ، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم (٣) ولا أفحمه خطيب ، بل يَبُذُّ الخطب الطوالَ بالكلام القصير ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا

(١) دخن : علة وفساد نية .

(٢) وذم الدلاء : سيورها

(٣) لم يقم له خصم : أى لم يطقه ولم يقو على معارضته

بالصدق ولا يطلب الفَلَجَ (١) إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل الموارَبة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ، ولا يعجل ولا يُسهب ولا يَحصر. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً، ولم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط بل كذلك يرون المتطرّف والمتكلف للغناء، ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا في المواضع التي يذمونها، قال قَيْس بن خَطِيم: (٢)

فَمَا المَالُ وَالْأَخْلَاقُ إِلاَّ مُعَارَةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

وإِنِّى لَأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ ... يَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وَلَيْسَ بِمُهْتَدِ

وَقال ابن قميئة (٣):

وَحَمَّالِ أَثْقَالٍ إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ ... عَنِ الْأَصْلِ لَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَكَلِّفُ

وقال محمد بن سلام، قال يونس بن حبيب: ماجاءنا عن أحد من روائع الكلام ماجاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد جمعنا في هذا الكتاب جملا التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار، ولعل بعض من لم يتسع في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أن تكلفنا له من الامتداح والتشريف ومن التزين والتجويد ماليس عنده ولايبلغه قدره، كلا والذى حرّم

---

(١) الفلج: الظفر والغلب

(٢) هو قيس بن الخطيم الأوسى، شاعر جاهلى من فحول شعراء المدينة. قتل ابوه وهو صغير فلما بلغ قتل قاتله فتسبب عن ذلك حروب بين الأوس والخزرج. وزعموا أنه كان جميلا مقرون الحاجبين ادعج العينين أحمر الشفتين براق الثنايا. وكانت زوجته حواء بنت يزيد قد اسلمت دون علمه فلما قدم مكة عرض النبي عليه الاسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة فيسلم على يديه هناك، فسأله النبي ان يجتنب زوجته واوصاه بها خيراً، ففعل وحفظ الوصية فقال النبي: وفى الأديبج. مات قبيل الهجرة على غير إسلام

(٣) هو عمرو بن قميئة بن سعد الضبيعى البكرى، شاعر فحل مقدم من قدماء الشعراء الجاهليين. عاش زمناً قبل امرىء القيس. سمته العرب عمرا الضائع لموته غريبا فى غير مأرب ولا مطلب. وكان في حداثته شابا جميلا حسن الوجه مديد القامة عفيفا. وهو يعد من شعراء الطبقة الثانية. لقيه امرؤ القيس فى آخر عمره وأخرجه معه إلى قيصر بالقسطنطينية فمات فى طريقه حوالى سنة ٥٦٠ م.

التزيد على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء وَبَهْرَجَ[١] الكذابين عند الفقهاء لا يظن هذا إلا من ضل سعيه .

فمن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر الأنصار فقال: « أمَا وَاللهِ مَا عَلِمْتُكُمْ إلاَّ لَتَقِلونَ عِنْدَ الطَّمَعِ وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَعْ » وقال: « النَّاسُ كُلُّهُمْ سَوَاءٌ كأَسْنَانِ المُشْطِ » و « المَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ » و « لاَ خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لاَيَرَى لَكَ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ »

وقال الشاعر :

سَوَاءٌ كأَسْنَانِ الحِمَارِ فَلاَ تَرَى ... لِذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِىءٍ فَضلاَ

وقال آخر :

شَبَابُهُمُ وَشِيبُهُمُ سَوَاءٌ ... فَهُمْ فِي اللَّوْنِ أَسْنَانُ الحِمَارِ[٢]

وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته ، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقته علمت فضل مابين الكلامين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ » فتفهم رحمك الله قلة حروفه وكثرة معانيه

وقال صلى الله عليه وسلم : « اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى » وَ « ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » وَقال : « لاَ تَجْنِ يَمِينُكَ عَلَى شِمَالِكَ » وذكر الخيل فقال : « بُطُونُهَا كَنْزٌ وَظُهُورُهَا حِرْزٌ » وقال : « خَيْرُ المَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ وَسِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ »[٣] وقالَ : « خيرُ المَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ » وقال : « نِعْمَتِ

(١) بهرج : زيف واسقط

(٢) الرواية : فهم فى اللؤم

(٣) مهرة مأمورة : فرس منتجة . وسكة مأبورة : السكة الصف المسطور من النخيل المأبور يعنى التى قلمه الابار لينمر . ويقال فى السكة المأبورة أيضا أنها الأرض المصلحة المعدة للزرع

العمة لكم النخلة تغرس في أرض خوارة وتشرب من عين خرارة»(١) وقال: «المطعمات في المحل الراسخات في الوحل» وقال: «ألحمى في أصول النخل»(٢) وذكر الخيل فقال: «أعرافها أدفاؤها وأذنابها مذابها» و: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» وقال: «ليس منا من حلق أو صلق أو شق»(٣) وقال: «نهيتكم عن عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات» وقال: «الناس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة»(٤) وقال: «ما أملق تاجر صدوق» وجاء في الحديث: «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» وقال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخير في السيف والخير مع السيف والخير بالسيف» وقال: «لا يوردن مجرب على مصح»(٥) وقال: «لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم تر الأمانة مغنما والصدقة مغرما» و «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس» و «لن يهلك امرؤ بعد مشورة» وقال: «المستشار مؤتمن» وقال: «المستشار بالخيار إن شاء قال وإن شاء أمسك» وقال: «رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم» وقال: «إفصلوا بين حديثكم بالاستغفار»

(١) أرض خوارة: سهلة لينة ذات زرع. والعين الخرارة: المتدفق ماؤها

(٢) الحمى: المكان الممنوع الدنو منه لعزته على صاحبه

(٣) الحلق والصلق والشق: أن تحلق المرأة شعرها عندموت عزيز عليها وتصلق برفع صوتها وتشق ثيابها. كل هذا ممنوع شرعا كما ترى

(٤) يعني أن خيار الناس وفضلاءهم في ندرة الوجود كالراحلة النجيبة الصالحة للركوب في الإبل. كلاهما عزيز

(٥) يعني أن صاحب الإبل الجرباء يحظر عليه الدخول بها على ذي الإبل الصحيحة لئلا تنتقل إليها عدواها

وقال : « إستعينوا على طول المشي بالسعي » وقال للختانة « يا أم عطية » أشميه ولا تنهكيه فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج » وقال : « لا تجلسوا على ظهور الطريق فإن أبيتم فغضوا الأبصار وردوا السلام واهدوا الضال وأعينوا الضعيف » وقال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » وقال : « يقول ابن آدم : مالي مالي وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو وهبت فأمضيت » وقال : « لو أن لابن آدم واديين من ذهب لسأل إليهما ثالثاً » و « لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » و « يتوب الله على من تاب » وقال : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون » وقال « إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجالس (١) يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيقهون » وقال : « إياى والتشادق » وقال : « إياى والفرج في الصلاة » وقال : « لا يؤمن ذو سلطان في سلطانه ولا يجلس في تكرمته إلا بإذنه »(٢) وقال : « إياكم والمشارة فإنها تميت الغرة وتحيي العرة » وقال : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً » وقال : « أعوذ بالله من الأعميين وبوار الأيم » وكان يقول : « أعوذ بالله من دعاء لا يسمع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع ».

وقال رجل : يارسول الله ، أوصني بشيء ينفعني الله به ؟ قال : « أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا وعليك بالشكر فان الشكر يزيد في النعمة وأكثر

---

(١) كان في الأصول : مجلسا . والصواب ما أثبتناه عن النهاية لابن الأثير

(٢) التكرمة : الوسادة التي يجلس عليها.

الدُّعاء فانك لا تدرى متى يُستجاب لك » وقال : «أيها النَّاسُ إنما بَغيُكُمْ على أنفُسِكم » و « إيَّاكَ والبَغْيَ فانَّ الله قدْ قضَى أنَّه مَن بُغِيَ عليه لَينصُرنَّه الله » و « إيَّاكَ والمكرَ فان الله قد قضى أن لا يَحيقُ المكرُ السيُّ إلاَّ بأهلهِ » وقيل : يارسول الله ، أى العمل أفضل ؟ فقال : « إجْتِنابُ المَحَارم ولا يزال فُوكَ رَطبا مِن ذكر الله» وقيل له: أى الأصحاب أفضل ؟ فقال: « الَّذِى إذا ذَكَرْتَ أعانك وإذَا نَسِيتَ ذَكَّرَكَ » وقيل : أيُّ الناس شَر ؟ قال: «العلماء إذَ فَسَدُوا » وقال: « دَبَّ اليكم دَاء الأُمم مِن قبلكم ، الحسد والبغضاء ، والبَغضاء هى الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشَّعَر ، والذى نفس محمد بيده لا تُؤمنون حتى تَحَابُّوا ، أو لا أُنبئكم بأمر إذا فعلتُموه تَحَابيتم ؟ أفشوا السلام بينكم » وقال : « تَهادُوا تَحَابُّوا »

وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصَانى رَبِّى بتسع : أوصانى بالأخلاص فى السِّرِّ والعلانية ، و بالعدل فى الرضا والغضب ، وبالقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى وأُعطى من حرمنى وأصل من قَطَعنى ، وأن يكون صمتى فِكراً ونطقى ذِكراً ونظرى عِبرا »

وثلاث كلمات رُويت مرسلة ، وقد رُويت لأقوام شتى ، وقد يجوز أن يكون إنما حكوها ولم يبتدؤها ، منها قوله : « لَوْ تَكاشفتم لما تدافنتم » ومنها قوله : « ألناسُ بأزْمانهم أشبهُ منهم بآبائهم» ومنها قوله : « ماهلك امروٌ عرفَ قدرَه »

وعن عبد الله بن دينار قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله كَرِهَ لكُمُ العَبَثَ فى الصلاة والرَّفَثَ فى الصيام والضحكَ عند المقابر » وقال : « إذَا أذَّنتَ فترَسَّلْ وإذَ أقمتَ فاجزم »

ومن حديث مُعاذ بن جَبَلٍ قال : قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم: « لَيْسَ مِن أخلاقِ المؤمنِ المَلَقُ إلاَّ فى طَلَب العلم » ومن حديث أنَسِ بنِ مالكٍ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « قيدُوا العِلم بالكتاب »(١) قال : « ويقول الله : لوْلاَ رِجَالٌ خُشَّعٌ وصِبيانٌ رُضَّعٌ وبهائمُ رُتَّعٌ لَصَبَبْتُ عليكُمُ العذاب صباً »

---

(١) قيدوا العلم بالكتاب : اي اكتبوه فى الصحف ولا تعتمدوا على الحافظة

ومن حديث عبد الله بن المبارك ، رفعه ، قال: « إذا سادَ القَبيلَ فاسِقُهُمْ وكان زَعيمَ القَوْمِ أرْذَلُهُمْ وأُكْرِمَ الرجُلُ اتِّقاءَ شَرِّهِ فلْيَنْتَظِروا البلاءَ » .

وعن أبى هُرَيْرَةَ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستَحْرِصونَ على الإمارةِ فَنِعْمَةِ المُرْضِعةُ وَبِئْسَتِ الفاطِمَةُ » .

وعن عبدِ الرحْمٰنِ بنِ أبى بَكْرَةَ عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَحْكُمُ الحاكِمُ بينَ اثنَيْنِ وَهُوَ غَضْبانٌ » .

ومن حديث عبدِ الله بن المبارك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن قوماً ركبوا سفينةً فى البحر فاقْتَسَموا فصارَ لِكل رَجُلٍ منهم موْضعٌ ، فنقَرَ رَجُلٌ منهم موْضعه بفأس فقالوا له : ما تَصْنَع ؟ فقال : هُو مكانى أصنع فيه ما شئتُ ! فإن أخذوا على يديه نجا ونجوا و إن تركوه هلَكَ وهلكوا » وقال : « عَلِّقْ سوْطَكَ حيثُ يراهُ أهلُكَ » .

ودخل السائبُ بنُ أبى صَيفِيٍّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، أتعرفنى ؟ قال: « كيف لا أعرِفُ شَريكى الذى كان لا يُشارينى ولا يُمارينى » ؟

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يُؤتَى بالوالى يجلدُ فوق ما أمر اللهُ به فيقول له الرب : عبدى، لِمَ جَلَدْتَ فوق ما أمرتُك به ؟ فيقول : ربى ، غَضِبتُ لِغَضبك ! فيقول : أ كان ينبغى لغضبك أن يكون أشد من غضبى ! ؟ ثم يُؤتَى بالمقصِّر فيقول : عبدى ، لِمَ قصَّرت عما أمرتك به ؟ فيقول : ربى ، رحِمتُه ! فيقول : أ كان ينْبغى لرَحمتك أن تكون أوسع من رحمتى ! ؟ قال : فيأمر فيهما بشىء . قد ذكره لا أعرفه ، إلا أنه صيرهما إلى النار .

وعن قُزَعَةَ قال : قال لى ابنُ عمرَ : أُودّعك كما ودَّعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استَوْدِعِ اللهَ دينَكَ وأمانَتكَ وخواتيم عملك » وقال : « كل أرض بسمائها »

وعن ابن لهيعة عن أشياخه أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الحضْرَمِيِّ ولقومه :

« من محمد رسول الله إلى الأقيال العَباهِلة [١] من أهل حضرَمَوتَ بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، على التِّيعة شاة والتِّيمة لصاحبها وفى السُّيُوب الخمس [٢] لاخِلاط ولاوِراط ولا شِناق ولا شِغار [٣] فمن أجبى فقد أربى [٤] وكل مسكرحرام »

ومن حديث راشد بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُغالوا فى النساء فإنما هُن سُقيا الله » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرُ نِساء رَكِبْنَ الإبلَ صوالح نساء قُريش ، أحناه على وَلدٍ فى صِغره وأرْعاه على بَعْلٍ فى ذوات يده »

وعن الشَّعْبِىِّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أللهم اذْهِبْ مُلك غسان وضَعْ مُهورَ كِنْدَةَ »

والذى يدلك على أن الله قد خصه من الإيجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعانى ، قوله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بالصَّبَا وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْـكَلِمِ » ومما روى عنه صلى الله عليه وسلم من استعمال الأخلاق الكريمة والأفعال الشريفة وكثرة الأمر بها والنهى عما خالف عنها ، قوله : « من لم يَقبلْ عذراً مِن مُتنصلٍ صادقاً كان أو كاذباً ، لم يرد علىَّ الحوض » وقال فى آخر وصيته : « إتقوا الله فى الضَّعيفين » وكلمته جارية فى السَّبى فقال لها : « مَنْ أنْتِ ؟ » قالت : أنا بنتُ الرجل الجواد

(١) الاقيال العباهلة : هم الذين اقروا على ملكهم لا يزالون عنه . وواحد العباهلة : عبهل

(٢) التيعة : إسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، وهى كالخمس من الابل ، والاربعين من الغنم . والتيمة : الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، او هى الشاة تكون لصاحبها فى منزله يحتلبها وليست بسائمة . والسيوب : قال الزمخشرى : السيوب جمع سيب يريد به المال المدفون فى الجاهلية او المعدن لانه من فضل الله تعالى وعطائه لمن اصابه

(٣) الخلاط : ان يخلط الرجل ماله من ماشية بما لغيره ليبخس حق الله فى الزكاة . والوراط : ان تخفى مالك من ماشية فى وهدة من الارض ، او تغيبها فى مال غيرك لكيلا يراها المصدق فيأخذ زكاتها . والشناق ان لا يؤخذ فى الزائد على الفريضة زكاة إلى ان تبلغ الفريضة الأخرى . والشغار : ان تزوج الرجل ابنتك او اختك او التى تلى امرها من محارمك على ان يزوجك نظيرتها دون ان يكون بينكما مهر . وقد كان هذا النكاح معروفا فى الجاهلية فابطله الاسلام بهذا الحديث

(٤) أجبى : الاجباء بيع الزرع قبل ان يبدو صلاحه ، او هو مواراة للمال عن المصدق فراراً من الزكاة ، وقيل : هو العينة ، وهو ان يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى اجل مسمى ثم يشتريها منه بالنقد باقل من الثمن الذى باعها به

حاتم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إرْحَمُوا عزيزاً ذَلَّ ، إرحموا غَنياً افتقر ، إرحموا عالماً ضاع بين جهال » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « سُرعة المشى تذْهَبُ ببهاء المؤمن »

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الأحاديث ستكثر عنى بعدى كما كثرت عن الأنبياء من قبلى ، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عنى ، قلته أولم أقله »

وسُئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خُلق النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: خلُق القرآن ، وتلت قول الله : « وإنكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم »

وقال محمد بن على : أدب الله محمداً صلى الله عليه وسلم بأحسن الآداب فقال: « خُذِ العفْوَ وأْمُر بالعُرْفِ وأعْرِضْ عنِ الجاهِلين » فلما وعى قال : « ما أتاكُمُ الرسولُ فخُذُوه وما نَهاكم عنهُ فانتهُوا واتقُوا الله »

وعن هِشام بن عُرْوَةَ قال : سمع عُمر بنُ الخطَّاب رضىَ الله تعالى عنه رجلا ينشد :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خيرَ نارٍ عِنْدَهَا خيرُ مُوقِدِ

فقال عمر: ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد كان الناس يستحسنون قول الأعْشَى :

تُشَبُّ لِمقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالمُحَلَّقُ

فلما قال الحطيئة البيت الذى كتبناه قبل هذا سقط بيت الأعشى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزَالُ المسْروقُ مِنه فى تُهَمَةِ مَن هو برىء حتى يكون أعظم جُرماً مِنَ السَّارِق »

وقال أبو الحسن : أجرى النبى صلى الله عليه وسلم الخيل وسابق بينها فجاء فرس له أدهم سابقاً فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال : « مَا هُوَ إلاَّ البَحْر » (١)

---

(١) وروى البخارى انه كان بالمدينة فزع فاستعار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبى طلحة يقال له « مندوب » فركبه وقال : « ما رأينا من فزع وإن وجدناه لبحرا » اى متدفق فى جريه

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كذب الحُطَيْئَةُ حيث يقول :

وَإِنَّ جِيَادَ الخَيْلِ لاَتَسْتَفِزُّنَا وَلاَجَاعِلاَتُ العَاجِ فَوْقَ المَعَاصِمِ (١)

وقد زَعَمَ ناس من العلماء أنه لم يستفزه سبق فرسه ولكنه أراد إظهار حب الخيل وتعظيم شأنها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويلبس العباء ويجالس المساكين ويمشى فى الأسواق ويتوسد يده الشريفة ويقص من نفسه (٢) ويلطع أصابعه (٣) ولا يأكل متكئاً ولم يُرَ قط ضاحكا ملء فيه ، وكان يقول « إنما أنا عَبْدٌ آكلُ كما يأكلُ العبدُ وأشْرَبُ كما يشربُ العبد ولو دُعِيتُ إلى ذِرَاعٍ لأجبت ولو أهدى إلىّ كُرَاعٌ (٤) لقَبِلْتُ » لم يأكل قط وحده ولا ضرب عبده ولا ضرب أحداً بيده إلا فى سبيل ربه ، ولو لم يكن من كرم عفوه ورجاحة حلمه إلا ما كان منه يوم فتح مكة لقد كان ذلك من أكمل الكمال ، وذلك أنه حين دخل مكة عَنوة ، وقد قتلوا أعمامه وبنى أعمامه وأولياءه وقادة أنصاره بعد أن حصَرُوه فى الشِّعاب وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب وجرحوه فى بدنه وآذوه فى نفسه وسفهوا عليه وأجمعوا على كيده ، فلما دخلها بغير حمدهم وظهر عليهم على ضِغْنٍ (٥) منهم ، قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أقول كما قال أخى يوسف : « لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ »

وإنما نقول فى كل باب بالجملة من ذلك المذهب ، وإذا عرفتم أولَ كل باب كنتم خُلقاء أن تعرفوا الأواخر بالأوائل والمصادر بالموارد .

---

(١) ويروى : ولا جاعلات الريط فوق المعاصم . ولكلام عمر بقية تركها الجاحظ وهو انه بعد إنشاد البيت قال : لو ترك هذا احد لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم . يعنى لو ترك احد السباق بالخيل .

(٢) يقص من نفسه : يعني يدع من له حق عنده ابا كان ان ياخذه بنفسه كما اخذ منه

(٣) يلطعها : يلحسها

(٤) الكراع : مستدق الساق

(٥) فى الأصول : على صغر ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه . والضغن الحقد

خطبة الوداع

ومن خطبه صلى الله عليه وسلم خطبة حِجة الوَدَاع . وهى :

« الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلاهادىَ له ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحُثُّكُمْ على طاعته وأستفتح بالذى هو خير .

أما بعد أيها الناس ، إسمعوا منى أُبَيِّنْ لكم فإنى لاَ أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .

أيها الناس ، إن دِماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحُرمة يَومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

ألا هل بَلَّغْتُ ؟ اللهم فاشهد .

فمن كانت عنده أمانةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَن ائْتَمَنَهُ عليها . وَإِنَّ رِبَا الجاهلية موضوع ، وإنّ أولَ رِباً أبدأ به ربا عمى العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإنّ أولَ دَمٍ نَبدأ به دم عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ . وإن مآثر الجاهلية موضوعة ، غيرَ السِّدَانةِ والسِّقَايَةِ .(١) وَالْعَمْدُ قَوَدٌ (٢) وَشِبهُ الْعَمْدِ ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

[ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد]

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَدَ فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تُحقرون من أعمالكم .

أيها الناس « إِنَّمَا النَّسِىءُ (٣) زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) السدانة : خدمة الكعبة . والسقاية : سقى الحجيج الماء

(٢) العمد : القتل عمداً

(٣) فى الاصول : إن النسىء : وهو خطأ والصواب ما اثبتناه كما فى القرآن الكريم

يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ » ، وإنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللهُ السموات والأرض ، و « إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ إثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، الذى بين جمادى وشعبان .

ألا هل بلَّغت ؟ أللهم فاشهد .

أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقًّا ، ولكم عليهن حق : لكم عليهن أن لا يُوطِئْن فُرُشكم غيركم ، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تَعْضُلُوهن[1] وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهنَّ ضرباً غير مبرِّح ، فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقُهن وكسوتُهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان[2] لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله،فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً .

ألا هل بلغت ؟ أللهم فاشهد .

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه .

ألا هل بلغت ؟ أللهم فاشهد .

فلا تَرجعُنَّ بعدى كُفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده ، كتابَ الله .

ألا هل بلغتُ ؟ أللهم فاشهد .

أيها الناس ، ربُّكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ،

---

(١) تعضلوهن : تمنعوهن من الزواج

(٢) عوان : متوسطات الأعمار ، والمراد أنهن غير مجربات

أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربيٍ على عجمي فضلٌ إلا بالتقوى .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

قالوا : نعم :

قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية ، ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث. والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ (١) . والسلام عليكم ورحمة الله »

وعن الحسن قال : جاء قَيسُ بنُ عاصِم المِنْقَرِى (٢) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر إليه قال : هذا سَيدُ أهل الوَبَرِ . فقال : يارسول الله ، خبّرنى عن المال الذى لاتكون علىّ فيه تَبِعَةٌ من ضيف ضافنى أو عيال إن كثروا علىّ ؟ قال : نعم ، المال الأربعون والأكثر الستون ، وويل لأصحاب المئين ، إلا مَن أعطى فى رَسْلها ونجدتها (٣) وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ونحر سمينها وأطعم القَانِعَ والمُعْتَرّ . قال : يارسول الله ، ما أكرمَ هذه الأخلاق وأحسنها ! ؟ ومايحل بالوادى الذى أكون فيه أكثر من إبلى . قال : فكيف تصنع بالطَّروقة ؟ قال : تغدو الإبل ويغدو الناس فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به . قال : فكيف تصنع بالأفقار ؟ (٤) قال : إنى لأفقر البَكر الضَّرِع والناب المسنة . قال : فكيف

(١) الصرف : التوبة ، أوالحيلة . والعدل : الاستقامة

(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد ، ويكنى أبا على . كان سيداً شريفا موصوفا بالحلم، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد تميم بعدالفتح فأسلم . وكان الأحنف بن قيس يقول : تعلمت الحلم من قيس بن عاصم ، أوتى بقاتل ابنه فقال : أزعجتم الفتى . وكان ابن عمه ، ثم أقبل عليه وقال: يابنى ، نقصت من عددك ، وأوهنت من ركنك ، وفتت فى عضك ، وأشمت عدوك ، وأسأت بقومك؟ خلوا سبيله . وما حل حبوته ولا تغير وجهه . وقال ابن الأعرابى : قيل لقيس : بماذا سدت قومك؟ فقال : بثلاث . بذل الندى ، وكف الأذى ، ونصر الولى . وكان شاعراً محلا . وشجاعاً باسلا ، كثير الغارات فى الجاهلية والاسلام مظفراً فى غزواته . توفى سنة ٤٧ هـ

(٣) رسلها ونجدتها : يقال : بعير رسل وناقة رسله لينة السير ، والرسل : القطيع من الابل

(٤) الافقار : الابل التى تعار للغير

تصنع بالمنيحة ؟ قال : إنى لأمنح فى كل سنة مائة . قال : فأى المال أحب إليك، أمالك أم مال مواليك ؟ قال : بل مالى . قال : فمالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت ، وما سوى ذلك للمواريث .

وعن محمد بن كعب القُرَظِى[١] قال : دخلت على عُمر بن عبد العزيز رحمه الله فى مرضه الذى مات فيه فجعلت أحدُّ النظر إليه ، فقال لى : يا ابن كعب ، مالك تحدُّ النظر إلىّ ؟ قلت : لما نحل من جسمك وتغير من لونك ، قال : فكيف لو رأيتنى بعد ثلاثة فى قبرى وقد سالت حَدَقاى على وجنتىّ وابتدر فمى وأنفى صديداً ودوداً كنت لى أشد نَكرة ، أعد علىّ حديثاً كنت حدثتنيه عن ابن عباس ؟ قلت : سمعت ابن عباس يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفا ، وإنَّ أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، ومَن أحبَّ أن يكونَ أعزَّ الناس فَليتق الله ، ومَن أحبَّ أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومَن أحبَّ أن يكون أغنَى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده » ثم قال : « ألا أُنبئكم بشرار الناس » ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال: « مَن نَزَل وحده ومنع رِفْده وجلد عَبده » ثم قال « ألا أُنبئكم بشر مِن ذلك » ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : « مَن لا يُقيل عَثْرَةً ولا يَقبل مَعذِرة » ثم قال : « ألا أُنبئكم بشَرٍّ مِن ذلك » ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : « مَن لا يُرجَى خيره ولا يؤمن شره » ثم قال : « ألا أُنبئكم بشر من ذلك » ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : « مَن يُبغِضُ الناس ويُبغِضُونه ، إن عيسى بن مريم قام خطيباً فى بنى إسرائيل فقال : يابنى اسرائيل ، لا تَكلَّموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تُكافئوا ظالما فيبطل فضلكم ، يابنى اسرائيل

(١) هو محمد بن كعب القرظى : راوية إخبارى قاص يكنى ، أباحمزة ، والقرظى نسبة إلى بنى قريظة، انتسب يوماً قرظياً فقيل له : لم لا تنتسب أنصارياً ؟ فقال : اكره أن أمن على الله بما لم أفعل ، كان يقص فى مسجده فسقط عليه وعلى أصحابه فقتلهم ،قيل أن ذلك كان فى سنة ١١٧ هـ

الأمور ثلاثة : أمر تَبين رُشده فاتّبِعوه ، وأمر تَبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فإلى الله رُدوه »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كل قوم على زينة من أمرهم ومَفْلَحةٍ من أنفسهم يزرون على من سواهم »

ويتبين الحق من ذلك بالمقايسة بالعدل عند ذوى الألباب من الناس .

وقال : « مَن رَضِى رقيقه فليمسكه ومَن لم يرض فليبعه ولاتعذبوا عبادالله » وقال فى آخر ماأوصى به : « إتقوا الله فى الضعيفين » .

وعن مَعاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عِمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قُسطنطينية ، وفتح قُسطنطينية خروج الدجال » ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدثه أو منكبه ثم قال « إنَّ هذا لحق كما أنك هاهنا » أو « كما أنك قاعد » يعنى معاذاً (١) .

وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حَصِّنُوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا البلاء بالدعاء »

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حج المساكين»

وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عَوان ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله »

وعن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يُحب الجواد من خَلقه »

وعن أبى هُريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَاخَلا يهودى بمسلم قط إلا هم بقتله » ويقال « حدث نفسه بقتله »

---

(١) لعل هذا الحديث من تسقطات الجاحظ التى أخذه بعضهم بها . وإلا فليس مثل الجاحظ من يروى مثل هذا الحديث على أنه سليم من الشوائب

وعن أسماء بنت يزيد قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَن ذَبَّ عن لحم أخيه بظهر الغيب (١) كان حقاً على الله أن يُحَرِّمَ لحمه على النار » وعن مَعاذ ابن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَيس مِن أخلاق المؤمن الملَق إلا في طلب العلم » وعن ثُمامة بن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَيِّدوا العلم بالكتاب » وقال : « فَضْلُ جَاهك تعود به على أخيك الذى لاجاه له صدقةٌ منك عليه ، وفضل لسانك تعبر به عن أخيك الذى لا لسان له صدقة منك عليه ، وفضل قوّتك تَعود بها على أخيك الذى لاقوّة له صدقة منك عليه ، وفضل علمك تعود به على أخيك الذى لا علم له صدقةٌ منك عليه ، وإماطتك الأذى عن الطريق صدقةٌ منك على أهله »

وإنما مدار الأمر والغاية التى يُجرَى إليها : ألفهم ثم الإفهام والطلب ثم التثبت .

وقال عمرو بن العاص : ثلاثة لاأملهم : جليسي مافهم عنى ، ودابّتى ماحملت رحلى ، وثوبى ماستر عورتى . وذكر الشعبي ناساً فقال : مارأيت مثلهم أشدتنابذاً فى مجلس ولا أحسن تفهماً عن محدث . ووصف سَهل بنُ هرون رجلا فقال : لم أر أحسن منه فهماً لجليل ولاأحسن تفهماً لدقيق . وقال سَعِيدُ بنُ سَلْم (٢) لأمير المؤمنين المأمون : لو لم أشكر الله إلا على حسن مابلانى فى أمير المؤمنين من قصده إلىّ بحديثه وإشارته إلى بطرفه ، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجبه الحرية . قال المأمون : لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حُسن الإفهام إذا حدّثتَ

---

(١) ذب عن لحمه بظهر الغيب : يعنى دفع عنه عدوان المتعدى عليه بلسانه فى غيبته

(٢) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى . كان من أمراء الدولة العباسية ، ولى لها ارمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة • وكان شجاعا باسلا ضابطاً لأموره مع ادب بارع ورواية طريفة : حدث عن نفسه فقال : مدحنى شاعر بيتين لم اسمع احسن منهما وهما قوله :

ابا سارياً بالليل لا تخش ضلة ... سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

لنا مقرم اربى على كل مقرم ... جوادحنا فى وجه كل جواد

فاغفلت صلته فهجانى ببيتين لم اسمع اهجى منهما ، وهما قوله :

لكل اخى مدح ثواب علمته ... وليس لمدح الباهلى ثواب

مدحت ابن سلم والمديح مهرة ... فكان كصفوان عليه تراب

وحسن الفهم إذا حُدِّثت ما لم يجده عند أحد فيمن مضى ولا يظن أنه يجده فيمن بقى . وقال له مرة : والله إنك لتستقى [١] حديثى وتقف عند مقاطع كلامى وتخبر عنه بما كنت قد أغفلته .

قال أبو الحسن : قالت امرأة لزوجها : مالك إذا خرجتَ إلى أصحابك تَطَلَّقْتَ وتحدثت ، وإذا كنت عندى تعقّدت وأطرقت ؟ قال : لأنى أجل عن دقيقك وتدقين عن جليلى . [٢] وقال أبو مُسهر بن المبارك : ماحدثت رجلا قط إلا أعجبنى حسن إصغائه حفظ عنى أم ضيع . وقال أبو عقيل بن درست : نشاط القائل على قدر فهم المستمع . وقال أبو عباد كاتب ابن أبى خالد : للقائل على المستمع ثلاث: جمع البال ، والكتمان ، وبسط العذر ، وقال أبو عباد : إذا أنكر القائل عَيْنى المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه وعن السبب الذى أجرى ذلك القول له، فان وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث وإن كان لاهياً عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة وعرفه بسوء الاستماع والتقصير فى حق المحدث .

وأبو عباد هذا هو الذى قال : ما جلس بين يدىَّ رجل قطّ إلا تمثل لى أنى سأجلس بين يديه .

وذُكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان ـ وعبد الملك يومئذ غلام ـ فقال : إنه لآخِذٌ بأربع وتارك لأربع : آخِذٌ بأحسن الحديثِ إذا حَدَّث وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث وبأيسر المؤنة إذا خُولف وبأحسن البِشْر إذا لَقِى ، وتارك لمحادثة اللئيم ومنازعة اللجوج وممارات السفيه ومصاحبة المأفون . [٣] وذم بعض الحكماء رجلا فقال : يجزم قبل أن يعلم ويغضب قبل أن يفهم . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى بعض رسائله إلى قُضاته : ألفهم الفهم فيما يختلج فى صدرك .

---

(١) يعنى ليتتبع الحديث حتى لا يفلته حرف منه

(٢) انظر صفحة ٢٤٤ سطر ٢١ من الجزء الأول

(٣) المأفون : الضعيف الرأي والعقل والمتمدح بما ليس عنده

ولا يمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ البال . وقال مَجْنُونُ بنى عامر : (١)

أَتَانِى هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْبِى فَارِغاً فَتَمَكَّنَا (٢)

وكتب مَالِكُ بْنُ أَسْمَاء بْنِ خَارِجَةَ إلى أخيه عُيينة بن أسماء : (٣)

أُعَيَيْنُ هَلاَّ إِذْ شُغِفْتَ بِهَا ... كُنْتَ اسْتَعَنْتَ بِفَارِغِ الْعَقْلِ

أَقْبَلْتَ تَرْجُو الْغَوْثَ مِنْ قِبَلِى ... وَالْمُسْتَغَاثُ إِلَيْهِ فِى شُغْلِ

وقال صالح المُرى : سوء الإستماع نفاق . وقد لايفهم المستمع إلا بالتفهم وقد يتفهم أيضاً من لايفهم . وقال الحارث بن حِلِّزة : (٤)

---

(١) هو قيس بن الملوح العامرى صاحب ليلى . وكان على ماقيل قد جن بها . قال الاصمعي : لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة . يعنى كان احمق . ومن الغريب ان الاصمعي مع تصحيحه هذه الحالة قد انكر وجوده فقال : رجلان ما عرفا فى الدنيا قط إلا بالاسم ، مجنون بنى عامر وابن القرية . وإنما وضعهما الرواة . والقائلون بان المجنون إسم لامسمى له كثيرون ، منهم الاصمعى ومنهم عيسى ابن داب قال : قلت لرجل من بنى عامر اتعرف المجنون وتروى من شعره شيئا ؟ قال : او قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى اشعار المجانين ! انهم لكثير ! قال : ليس هؤلاء اعنى ، إنما اعنى مجنون بنى عامر الشاعر الذي قتله العشق ، فقال : هيهات ! بنو عامر أغلظ أكبادا من ذاك ، إنما يكون هذا فى هذه اليمانية الضعيفة قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة رؤسها ، فأما نزار فلا . وابن الكلبي يقول : حدثت أن فتى من بنى أمية كان يهوى ابنة عم له وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التى يرويها الناس له ونسبها إليه . على أن ما يروى عن الاصمعى فى شأنه لا يدل على قطعه بنفيه أو إثباته ، وهناك كثير من الرواة يثبتونه . وأخباره مبسوطة بكتاب الاغانى

(٢) ويروى : فصادف قلبا خاليا .

(٣) وكان السبب فى هذا الشعر أن مالك بن أسماء عشق جارية لاخته هند وعشقها أخوه عيينة فاستغاث بأخيه مالك وهو لا يعلم ما يجد بها ، يشكو إليه حبها فقال مالك :

أعيين هلا إذ كلفت بها ... كنت استعنت بفارغ العقل

أرسلت تبغى الغوث من قبلى ... والمستغاث إليه فى شغل

وانت ترى ما بين الروايتين من الخلاف فى بعض الالفاظ

(٤) هو الحارث بن حلزة اليشكرى ، شاعر من فحول الشعراء الجاهليين ، قال ابو عبيدة : اجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد . وزعم الاصمعى ان الحارث قال قصيدته وهو ابن خمس وثلاثين ومائة سنة . وكان ابو عمرو الشيبانى يعجب لارتجال هذه القصيدة فى موقف واحد ويقول لو قالها فى حول لم يلم . مات سنة ٥٢٠ م والمراد بقصيدته التى ارتجلها — وأنا اسميه بسببها خطيب الشعراء — انشدها ارتجالا بين يدى عمرو بن هند . اولها :

آذنتنا ببينها اسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء

وَحَبَسْتُ فيها الرَّكْبَ أَحْدِسُ فِي كُلِّ الأُمُورِ وَكُنْتُ ذَا حَدْسٍ (١)

وقال النابغة الجعدى :

أبى لِي البَلاءُ وَأَنِّي امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ (٢)

وقال آخر :

تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنِ وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا (٣)

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم : العلم بالتعلم . واذا كانت البهيمة اذا أحست بشىء من أسباب القانص أحدّت نظرها واستفرغت قواها فى الاسترواح (٤) وجمعت بالها للتسمع ، كان الإنسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف . ولما اتهم قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَبَا مِجْلَزٍ لَاحِقَ بْنَ حُمَيْدٍ (٥) ببعض الأمر قال له أبو مجلز : أيها الأمير، تثبت فإن التثبت نصف العفو . وقال الأحنف : تعلمت الحلم من قيس ابن عاصم . وقال فيروز حُصين (٦) : كنت اختلف إلى دار « الاستخراج » أتعلم الصبر .

آذنتنا ببعدها ثم ولت ليت شعرى متى يكون اللقاء

وهى طويلة تناهز التسعين بيتا . واما البيت الذى رواه الجاحظ بالاصل فهو من قصيدة أخرى مفضلية تراها بالمفضليات مشروحة بقلمنا . اولها :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس
لا شىء فيها غير أصورة سفع الخدود يلحن فى الشمس
وغير آثار الجياد باعراض الجماد وآية الدعس
فحبست فيها الركب احدس فى كل الامور وكنت ذا حدس

(١) الحدس : الظن الصائب

(٢) يريد متى كشف لى عن جلية الغرض مضيت بلا تردد

(٣) حتى تحلم : حتى تروض نفسك على الحلم

(٤) كان بالأصول: أسباب القناص ، وهو خطأ . والصواب ما اثبتناه . والاسترواح : التشمم والتنسم

(٥) هو ابو مجلز لاحق بن حميد بن سدوس ، كان قيما بشؤون المال عارفا بامور الخراج ، وكان مقامه بخراسان مع قتيبة بن مسلم وابلى معه فى فتوحاته بلاء حسنا . استقدمه عمر بن عبد العزيز اليه وساله عن خراسان فاجابه بما شفى نفسه ثم ولاه بيت المال وضرب السكة « دار الضرب » فاحسن القيام على ذلك . مات سنة ١٠١ هـ

(٦) كان بالاصل : فيروز بن حصين وهو خطا والصواب ما اثبتناه ، وهو فيروز حصين الفارسي، وانما قيل له فيروز حصين لانه حين اسلم والى حصينا بن عبد الله العنبرى ، وهو جيد البيت فى الفرس

وقال سهل بن هرون : بلاغة الإنسان رِفق ، والعِيّ خُرْق . وكان كثيراً ما ينشد قول شُتَيْم بن خُوَيْلد:

وَلاَ يَشْعَبُونَ الصَّدْعَ بَعْدَ تَفَاقُمٍ   وَفِي رِفْقِ أَيْدِيكُمْ لِذِي الصَّدْعِ شَاعِبُ[(١)]

خطبة لأبي بكر الصديق

وقال إبراهيم الأنصارى ، وهو إبراهيم بن محمد المَفْلُوج من وُلد أبي زَيد القارى : الخلفاء والأئمةُ وأمراء المؤمنين ملوكٌ ، وليس كل ملك يكون خليفةً وإماماً . قال : ولذلك فصل بينهم أبو بَكْرٍ رضى الله تعالى عنه فى خطبته ، فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال :

إنّ أشقَى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك ! فرفَع الناسُ رؤُوسهم ، فقال : ما لكم أيها الناس ! إنكم لَطعانُون عجلون ! إن من الملوك من إذا ملك زهّدَهُ اللهُ فيما عنده ورغبه فيما فى يدى غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الإشفاق ،[(٢)] فهو يَحْسد على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة الباء ،

كريم المحتد معروف الآباء . وكان فيروز حصين شجاعا باسلا وجوادا نبيلا حسن الصورة جهير الصوت . حارب الخوارج مع المهلب وكانت له فيهم نكاية وبلاء . ولما خلع ابن الأشعث وخرج على الحجاج كان معه حتى إن الحجاج وهو يصاف ابن الاشعث القتال أطلق مناديا يقول : من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم ، ففصل فيروز من الصف فصاح بالناس : من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا فيروز حصين ، وقد عرفتم مالى ووفائى ، من أتى برأس الحجاج فله مائة الف . فقال الحجاج : والله لقد تركنى اكثر التلفت وإني لبين خاصتى . فلما انتهى امر ابن الاشعث اخذ فيروز وقدم إلى الحجاج فقال له : انت الجاعل فى رأس امرك مائة الف ؟ قال : قد فعلت . فقال : والله لأمهدنك ثم لأحملنك . اين المال ؟ قال : عندى . فهل إلى الحياة من سبيل ؟ قال : لا . قال : فأخرجنى إلى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلبك يرق على . فاخرجه الحجاج مخفوراً فاحل الناس من ودائعه واعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد إلى الحجاج فقال له : شأنك الآن فاصنع ماشئت . فعذبه اشد عذاب فلم يتأوه حتى مات .

(١) شعب الصدع : لأمه . وتفاقم الامر : جل الخطر واتسع الخرق على الراقع . يقول : إن اعداءكم لايصلحون فاسداً اما انتم ففي ايديكم الرفيقة صلاح كل فاسد ورأب كل متصدع

(٢) الاشفاق : الخوف والفزع

لايستعمل العبرة ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القَسِيِّ ،(١) والسراب الخادع ، جَذِلُ الظاهر (٢) حزين الباطن ، فإذا وَجَبَتْ نفسه (٣) ونَضَبَ عمره (٤) وضحى ظله (٥) حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه ، ألاَ إن الفقراء هم المرجومون ، وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة النُّبُوَّةِ ومَفْرَقِ المحجة ، وسترون بعدى ملكا عَضوضاً (٦) وملكا عَنوداً وأُمَّةً شَعَاعاً (٧) ودما مفاحاً (٨) فإن كانت للباطل نَزْوة (٩) ولأهل الحق جولة يعفو بها الأثر ويموت لها البشر ، فالزموا المساجد واستشيروا القرآن والزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلادكم خُرْسَة (١٠) إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها .

وصية أبي بكر الصديق لعمر الفاروق

إنِّى مُستخلفك مِن بَعدى وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لايقبله بالليل ، وإنه لا تُقبل نافلة حتى تُؤدَّى الفريضة ، فإنما ثَقُلت موازينُ مَن ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثِقَلِه عليهم ، وَحُقَّ لميزان لا يُوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين مَن خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وَحُقَّ لميزان لا يُوضع

(١) الدرهم القسى : اى الزائف المنقوص
(٢) جذل الظاهر : يرى هاشاً باشاً مرحا مسروراً
(٣) وجبت نفسه : خر ميتا .
(٤) نضب عمره : انتهت ايامه من الدنيا
(٥) ضحى ظله : زال فلا ظل له على الأرض
(٦) ملكا عضوضاً : يصيب الناس فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضاً
(٧) شعاعا : متفرقة الأهواء ذاهبة مزقا
(٨) دما مفاحا : سائلا هدرا
(٩) النزوة : الوثبة
(١٠) خرسة : بكر ضعيفة اسباب العيش

فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتُهم قلتُ إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار فذكرهم بأسوإ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتُهم قلتُ إني لأرجو أن لاَ أكون من هؤلاء . وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبدُ راغباً راهباً ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يُلقِي بيده إلى التهلكة فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائبٌ أبغضَ إليك من الموت ولستَ بمعجز الله .

وصية عمر للخليفة من بعده

وَأوصى عُمر رضى الله تعالى عنه الخليفة مِن بعده فقال :

أُوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً فَاقْبلْ من مُحسنهم وتجاوز عن مُسيئهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً فإنهم دَرْءُ العدو وجُبَاةُ الْفَيْءِ[1] لاتحمل فيئَهم إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً فإنهم أصل العرب ومادّةُ الإسلام أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذّمة خيراً أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدُّوا ماعليهم للمؤمنين طوعاً أو عن يد وهم صاغرون ، وأُوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مَقته أن يَطَّلِعَ منك على ريبة ، وأُوصيك أن تَخشَى الله فى الناس ولا تَخشَى الناس فى الله ، وأُوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تُؤثِر غَنيَّهم على فقيرهم فإن ذلك باذن الله سلامةٌ لقلبك وحطٌ لِوِزْرِكَ وخيرٌ فى عاقبة أمرك حتى تفضيَ من ذلك إلى مَن يعرفُ سريرتك ويحول بينك وبين قلبك ، وآمرك أن تشتد فى أمر الله وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ثم لا تأخذك

---

(١) كان بالاصل : ردء العدو . وهو عكس المراد لان الردء المعاون وليس هذا مكانها . والصواب ما اثبتناه . والدرء : الدفع . وجباة الفيء . محصلو الخراج

فى أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ماانتهك من حُرَم الله ، واجعل الناسَ عندك سواء لاتبالى على من وجب الحق ثم لاتأخذك فى الله لَومَة لائم ، وإياك والأَثَرَة والمُحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ماقد وسّعه الله عليك وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيمانا ورضوانا ، وإن غلبك الهوى اقترفت به سُخط الله ، وأوصيك أن لاتُرَخِّصَ لنفسك ولالغيرك فى ظلم أهل الذمة .

ولقد أوصيتك وحضضتُك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة واخترتُ من دَلالتك ما كنتُ دالاً عليه نفسى وولدى ، فإن عملت بالذى وعظتُك وانتهيت إلى الذى أمرتك أخذت به نصيباً وافراً وحظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تُنزل معاظم الأمور عند الذى يرضَى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا ، لأن الأهواء مشتركة ورأس كل خطيئة إبليس وهو داع إلى كل هَلَكَةٍ وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردهم النار ولَبِئْس الثمن أن يكون حظ امرىء موالاة عدو الله الداعى إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخُض إليه الغَمَرَاتِ وكن واعظا لنفسك . أنشدك الله لَمَا ترحمت على جماعة المسلمين فأجلت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقّرت عالمهم ولا تضربهم فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالفَىْء فتغضبهم ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ولا تُجَمِّرْهُمْ فى البعوث فتقطع نسلهم [1] ولا تجعل المال دُولةً [2] بين الاغنياء منهم ، ولا تُغلق بابك دونهم فيأكل قويُّهم ضعفَهم . هذه وصيتى إياك ، وأُشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام .

---

(١) ولا تجمرهم فى البعوث : لاتجمع جيوشهم فى أرض العدو ثم تمنعهم عن القفول إلى بلادهم وأهليهم

(٢) دولة : يتداوله الاغنياء فيما بينهم دون الفقراء

رسالة عمر الى أبي موسى الاشعري في القضاء

(١) كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد فان القضاء فريضةٌ محكمة وسنةٌ متبعة ، فافهم إذا أُدْلِي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك (٢) حتى لا يطمع شريف في حَيفِك (٣) ولا يخاف ضعيف من جورك ، والبينة على مَن ادَّعى واليمينُ على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صُلحاً حرم حلالا أو أحل حراماً ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعتَ فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ألفهمَ الفهم عند ما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، إعرف الأمثالَ والاشباه وقِسِ الأمور عند ذلك ثم اعمِد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى ، واجعل المدعى حقاً غائباً أو بينة أمد ينتهي إليه ، فان أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهتَ عليه القضاء فان ذلك أنفَى للشك وأجلى للعمى وأبلغ في العذر . ألمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرَّبا عليه شهادة زور أو ظنيناً في وَلاء أو قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشُّبُهَاتِ ، ثم إياك والقلقَ والضَّجر والتأذِّي بالناس والتنكّر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويُحسن بها الذُّخْر فانه من يُخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافَه منه هتك الله ستره وأبدى فعله ، والسلام عليك.

---

(١) رواها ابن عيينة وابوبكر الهذلي ومسلمة بن محارب ، وروروها عن قتادة ، ورواها ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم عن عبيد الله بن حميد الهذلي عن ابي المليح بن اسامة

(٢) آس بين الناس : ساوى بينهم

(٣) الحيف : الجور والظلم

خطبة لعلي بن أبي طالب

وقال أبو عُبيدة مَعمر بن المثنَّى :[١] أول خطبة خطبها عَليٌّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه [بالمدينة فى خلافته] حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال :[٢]

أما بعد [ألا] لا يَرْعين مُرع إلا على نفسه[٣] فان من أرعى على غير نفسه شُغل عن الجنة والنار أمامهُ[٤] ساع مجتهد وطالبٌ يرجو ومقصر فى النار ، ثلاثة ، وإثنان : ملَك طار بجناحيه ، ونبي أخذه الله بيده ، لا سادس[٥] هلك من ادَّعى ورَدِى من اقتحم ، اليمين والشِّمال مَضلة والوُسطى الجادة ، منهج عليه

(١) هو ابو عبيدة معمر بن المثنى ; الامام الراوية اللغوي البصري ، كان مولى لتيم قريش . قال له رجل : من ابوك وما أصله ؟ فقال : حدثني ابى ان اباه كان يهودياً بباجروان . اخذ ابو عبيدة عن يونس بن حبيب وابى عمرو ، واخذ عنه ابو عبيد القاسم بن سلام وابو حاتم السجستاني وابو عثمان بكر بن محمد المازني وابو الحسن على بن المغيرة الاثرم وعمر بن شبة . كان اعلم بالانساب وايام الناس من الاصمعي وابي زيد . وكان أبو نواس يتعلم منه ويصفه ويذم الاصمعي ، وكان يقول : أبو عبيدة اديم طوى على علم والاصمعي بلبل فى قفص ، لان الاصمعي كان حسن الانشاد والزخرفة . اقدم الرشيد ابا عبيدة من البصرة إلى بغداد وقرأ عليه . وكان ابوعبيدة شعوبياً وكان مع هذا يرى رأي الخوارج . قال الجاحظ : لم يكن فى الارض خارجي ولاجماعى اعلم بجميع العلوم من ابي عبيدة . وقال ابن قتيبة : كان الغريب اغلب عليه واخبار العرب وايامهم . وكان مع علمه ومعرفته ربما لم يقم البيت إذا انشده ولا يقيم إعرابه . وقد يروي الشعر مختلف العروض ويخطىء إذا قرأ القرآن نظراً . وكان يبغض العرب وله فى مثالبها كتاب ، وله مصنفات كثيرة . وكان يقول شعراً ضعيفاً ، وأصلح ماروى له منه قوله :

يكلمنى ويخلج حاجبيه ... لأحسب عنده علماً دفينا
وما يدرى قبيلا من دبير ... إذا قسم الذى يدري الظنونا

ولد سنة ١١٢ هـ وتوفى سنة ٢١١ هـ

(٢) اعتمدنا فى تقويم هذه الخطبة على ابن ابى الحديد ولا سيما وقد نقلها عن « البيان والتبيين » ويكون هذا التقويم ردا للشىء إلى اصله.

(٣) لايرعين : لايبقين . يعنى من أبقى على الناس فانما ابقى على نفسه

(٤) يعنى أن من كانت هاتان أمامه إنه لفى شغل عن أمور الدنيا إن كان ذا رشد

(٥) قسم المكلفين على خمسة اقسام ، ثلاثة منهم : ساع مجتهد وطالب راج ومقصر هالك ، واثنان معصومان هما الملك الطائر بجناحيه والنبى الذى أخذ الله بيديه ، ولا سادس لهم.

باقى الكتاب والسنة وآثار النبوة ، إن الله داوى هذه الأمة بدواءين : السوط والسيف ، لا هوادة عند الأمام فيهما . إستتروا فى بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم . مَن أبدَى صَفحَتَهُ للحق هلك ، قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين ، أما إنى لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف . سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه ، ويحه لو قصّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له ، أنظروا فان أفكرتم فانكروا وإن عرفتم فآزروا [1] حق و باطل ولكلٍ أهل، ولئن كثر أمر الباطل لقديماً فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل ، وقلما أدبر شيء فأقبل ولئن رجعت عليكم أموركم إنكم لسُعَدَاء[2] وإنى لَأخشى أن تكونوا فى فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وقال أبو عبيدة ، وزاد فيها [فى رواية] جعفر بن محمد [عن آبائه]

[ألا] إن أبرار عِترَتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغاراً وأعلم [الناس] كباراً ، ألَا و إنَّا أهلُ بيت مِن عِلم الله علمْنا و بحكم الله حُكمُنا ومن قول صادق سَمِعنا ، و إن تتبعوا آثارنا تَهتدوا ببصائرنا وإن لم تفعلوا يُهلككم الله بأيدينا ، معنا رايةُ الحق مَن تبعنا لَحِق وَمن تأخر عنها غَرِق ، ألَا وبنا تُردك تِرَةُ كل مؤمن و بنا تُخلع رِبقَةُ الذل عن أعناقكم و بنا فُتِحَ [لا بكم] و بنا يُختَمُ لا بكم .

خطبة أخرى له

ومن خطب على أيضاً رضى الله تعالى عنه قالوا : أغار سُفيانُ بنُ عوفٍ الأزدِى ثم الغامِدى على الأنبار زمان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعليها ابنُ حسان أو حسان البكرى[3] ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ،

(١) انظروا فان افكرتم : يعنى أفكروا فيما قلت فان كان منكراً فأنكروا وإن كان حقا فأعينوا

(٢) يريد أنه لو رجعت عليكم اموركم بتمكنى من الحكم فيكم عادت إليكم الايام بما يشبه ايام الرسول وسيرته فى المسلمين كنتم سعداء

(٣) حقق ابن أبي الحديد ان اسمه اشرس بن حسان البكري وكان على مسلحة الانبار ، يعنى كان قائد الجند فيها .

فخرج عليٌّ حتى جلس على باب السُّدة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : (١)

أما بعد فان الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة [خصه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجُنته الوثيقة] فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذُّل وشمِلهُ البلاء وَدُيِّثَ (٢) بالصَّغار [والقَماءة(٣) وضرب على قلبه بالاسهاب وأديل الحق منه بتضييع الجهاد] وسيم الخسفَ ومُنع النَّصَفَ (٤) . ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا و إعلانا وقلت لكم اغزُوهم قبل أن يغزُوكم فوالله ما غُزِي قومٌ قط فى عُقْرِ دارهم إلا ذلوا (٥) ، فتوا كلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شُنت عليكم الغارات [وملكت عليكم الأوطان] هذا أخو غامدٍ (٦) قد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان — أو ابن حسان — البكرى(٧) وأزال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجالا صالحين ،

(١) قابلنا هذه الخطبة بما رواه الشريف الرضى وأكملناها وقومناها عنه ، فكل ما كان بين هذين المعقوفين [ ] فمن الشريف رحمه الله

(٢) كان فى الأصل : ثوب الذلة ، والزمه الصغار ، وديث بالصغار : ذلل بالضيم ،

(٣) القماءة : الحقارة والضؤلة ، والاسهاب : يريد به هنا ذهاب العقل

(٤) وسيم الخسف : وكلف الذل والمشقة ، ومنع النصف : وحيل بينه وبين الانصاف

(٥) عقر دارهم ، اصل دراهم ،

(٦) هو سفيان بن عوف بن المغفل الغامدى ، وغامد قبيلة يمانية من ازد شنوءة . دعاه معاوية وقال له : إنى باعثك فى جيش كثيف ذى اداة وجلادة فالزم جانب الفراة حتى تمر بهيت فتقطعها فان وجدت بها جندا فأغر عليهم وإلا فامض حتى تغير على الأنبار فان لم تجد بها جندا فامض حتى توغل المدائن ثم اقبل إلي واتق ان تقرب الكوفة واعلم انك ان اغرت على اهل الأنبار واهل المدائن فكأنك اغرت على الكوفة ، إن هذه الغارات ياسفيان على اهل العراق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فينا هوى منهم وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر ، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك واخرب كل مامررت به من القرى واحرب الاموال فان حرب الاموال شبيه بالقتل وهو اوجع للقلب ، ثم امده بستة آلاف ،

(٧) قال حبيب بن عفيف : كنت مع اشرس بن حسان البكرى بالانبار على مسلحتها إذ صبحنا سفيان بن عوف فى كتائب تلمع الابصار منها فهالونا والله وعلمنا إذ رأيناهم انه ليس لنا طاقة بهم ولا يد ، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرقنا فلم يلقهم نصفنا وايم الله لقد قاتلناهم فأحسنا قتالهم حتى كرهونا ، ثم قتل اشرس وتفرق جمعه

وقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهَدَة [١].
فينتزعُ حجلها وَقُلُبَهَا [وقلائدها] وَرُعثها [٢] [ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام] ثم انصرفوا وافرين مانال رجلا منهم كَلْم [٣] [ولا أريق لهم دم].
فلو أن امرأً مسلما مات من بعدها أسفا ما كان عندى ملوماً بل كان عندى به جديرا ، فياعجباً من جد هؤلاء القوم فى باطلهم وفشلكم عن حقكم ! فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرْمَى وفيئاً ينهب ، يُغار عليكم ولا تُغيرون وتُغزَون ولا تَغزُون ويُعصى الله وترضون ، فإذا أمرتكم بالسير اليهم فى [أيام] الحر قلتم : [هذه] حَمَارَّة القَيْظِ [٤] أمهلْنَا حتى يَسْبَخ [٥] عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالسير [إليهم] فى الشتاء قلتم : [هذه صَبَارَّةُ القُرِّ] [٦] أمهلْنَا حتى ينسلخ عنا البرد [٧] . كل هذا فرارا من الحر والقر ! فاذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفرّ ، يا أشباه الرجال ولا رجال ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجَال ، وددت أن الله قد أخرجنى من بين ظهرانيكم وقبضنى إلى رحمته من بينكم ، والله لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم ، معرفةٌ والله جرّت ندماً [وأعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبى قيحا] وورثتم [٨] صدرى غيظاً وجرّعتمونى [نُغَبَ التَّهْمَام] [٩] أنفاساً وأفسدتم على رأيى بالعصيان والخذلان [حتى لقد] [١٠].
قالت قريش إن ابن أبى طالب [رجل] شجاع ولكن لاعلم له بالحرب ؟ لله أبوهم ، وهل أحد منهم أشد لها مِراسا [وأقدم فيها مقاما] وأطول لها تجربة منى ؟.

---

(١) المعاهدة : المرأة من اهل الذمة

(٢) كان بالاصل : احجالها . والحجل : الخلخال . والقلب : السوار المصمت . والرعثة : القرط

(٣) كان بالاصل : منسلخ . والصواب ما اثبتناه . ويسبخ : يخف

(٤) كان بالاصل : ما كلم رجل منهم كلما .

(٥) حمارة القيظ : شدة حره

(٦) صبارة القر : شدة البرد

(٧) كان بالاصل : القر . والقر والبرد سواء

(٨) كان بالاصل : وورثت .

(٩) كان بالاصل : وجرعتموني الموت . ونغب التهمام : جرع الهم

(١٠) كان بالاصل : والخذلان احق قالت .

لقد [نهضت فيها و] مارستها وما بلغت العشرين [وها أنا ذا] قد نيَّفتُ (١) فيها على الستين ، ولكن لارأى لمن لايطاع .

قال فقام رجل من الأزد يقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد [ابن] أخ له (٢) فقال : يا أمير المؤمنين أنا وأخى كما قال الله « رَبِّ إنى لاأملكُ إلاَّ نفسى وأخى » فمرنا بأمرك فوالله لننصر بن دونك وإن حال دونك جمر الغضا وشوك القتاد . قال : فأثنى عليهما وقال لهما خيرا وقال : أين تقعان مما أريد ؟ ! ثم نزل .

خطبة أخرى له

وخطبة أخرى بهذا الاسناد فى شبيه بهذا المعنى ، قام فيهم خطيبا فقال : (٣)

أيها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يُوهى الصُّمَّ الصلاَب وفعلكم يُطمع فيكم الأعداء (٤) تقولون فى المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم : حِيدى حيادِ (٥) ما عزَّت دعوة مَن دعاكم ولا استراح قلبُ من قاساكم ، أعاليلُ بأضاليل ! وسألتمونى التأخير دفاع ذى الدَّين المَطُول ، هيهات لا يمنعُ الضَّيمَ الذليلُ ولا يدرَكُ الحق إلا بالجد ، أى دار بعد داركم تمنعون ، أم مع أىِّ إمام بعدى تقاتلون ! ؟ المغرور والله مَن غرَرْتموه ومَن فاز بكم [فقد فاز بالسهم الأخيب ! [ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل] (٦) أصبحت والله لاَ أصدق قولكم ولا أطمع فى نصركم ، [ولا أوعد العدو بكم ، مابالكم ، ماطبكم القوم رجال أمثالكم ! أقولا بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غيرحق] فرق الله بينى و بينكم وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم * لوددت أن لى بكل عشرة منكم رجلاً من بنى فِرَاسِ بْنِ غُنْمٍ * (٧) صرف الدينار بالدرهم .

---

(١) ويروى : ذرفت ، وذرفت ونيفت كلاهما بمعنى زدت

(٢) هو جندب بن عفيف وابن أخيه عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف

(٣) قال هذه الخطبة حينما اغار الضحاك بن قيس على بلاده بعد مسالة الحكمين

(٤) كان بالاصل : اعداؤكم ، وما اثبتناه اليق بمقام الكلام

(٥) حيدي حياد : كلمة يقولها الفار من القتال ، اي فررتم وحرضتم غيركم على الفرار

(٦) وبافوق ناصل : بسهم مكسور الفوق ، وهو مدخل الوتر ، لانصل فيه

(٧) هذه الجملة التي بين النجمين ليست من هذه الخطبة وإنما هي من خطبة أخرى قلها فى إغارة

خطبة أخرى له

وخطب أيضاً على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال :

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوَدَاع [١] ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، [ألا] وإن المضمار اليومَ والسباقَ غداً [والسبقة الجنة والغاية النار ، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته ، ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ؟] ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل ، فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضرره أجله ، ومن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أجله [٢] ، ألا فاعملوا لله فى الرَّغبة كما تعملون له فى الرهبة، ألا وإنى لم أرَ كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجرُّ به الضلال إلى الردى ، ألا وانكم قد أمرتم بالظعن وَدُلِلتم على الزاد [٣] وإنَّ أخوف ما أخاف عليكم اتِّباع الهوى وطولَ الأمل [فتزودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا]

خطبة عبد الله بن مسعود

أصدقُ الحديث كتاب الله تعالى وأوثقُ العُرَى كلمةُ التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور مُحدثاتها وخير الأمور عزائمها ، ما قلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى ، نفس تُنجيها خير من إمارة لا تحصيها ، خيرُ الغِنى غنى النفس ، خير ما أُلقِيَ فى القلب اليقينُ ، الخمر

بسر بن أرطاة على اليمن والذى قاله فيها : أما والله لوددت أن لى بكم ألف فارس من بنى فراس بن غنم ، ثم قال متمثلا :

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، حى مشهور بالشجاعة والاقدام ، منهم علقمة بن فراس جذل الطعان وربيعة بن مكدم حامى الظعن حياً وميتاً .

(١) آذنت : اعلمت

(٢) كان فى الأصل : أمله . والصواب ما اثبتناه

(٣) يشير إلى قوله تعالى : « إن خير الزاد التقوى »

جِماع الآثام ، ألنساء حِبَالَةُ الشيطان ، الشباب شُعبة من الجنون ، حب الكفاية مفتاح المَعْجزة، من الناس من لا يأتى الجماعة إلا دَبْراً ولا يذكر الله إلا هُجراً [١] أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، سبابُ المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية [٢] مَن يتألَّى [٣] على الله يكذبه ومن يستغفر يغفر له ، مكتوب فى ديوان المحسنين مَن عفا عُفى عنه ، ألشقى من شقىَ فى بطن أمه ، ألسعيد من وُعظ بغيره ، ألأمور بعواقبها ، مِلاك العمل خواتيمه ، أحسن الهَدْى هَدْىُ الأنبياء [٤] أقبحُ الضلالة الضلالة بعد الهُدَى ، أشرف الموت الشهادة ، من يعرف البلاء يصبر عليه ، من لا يعرف البلاء ينكره .

خطبة عتبة بن غزوان السلمى بعد فتح الابلة [٥]

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال

أما بعد فان الدنيا قد تولت حَذَّاء [٦] مدبرة وقد آذنت أهلها بصرم [٧] وإنما بقى منها صُبابة كصبابة الاناء يَصطَبُّها [٨] صاحبها ، ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ففارقوها بأحسن مابحضركم ، ألا وإن من العجب أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الحجر الضخم يلقى فى النار من شفيرها فيهوى

---

(١) دبرا : فى آخر الأمر حيث لاعمل له . هجرا : فحشاً

(٢) أكل لحمه : يعنى بالغيبة والنميمة

(٣) تألى : حلف

(٤) الهدى : السيرة

(٥) هو عتبة بن غزوان بن باسر ، كان من اجلاء الصحابة وفى عداد المهاجرين الأولين ، وكان شجاعا بطلا وراميا حاذقا وفارساً مغواراً . قدم المدينة مهاجرا وله من العمر اربعون سنة ، وشهد بدرا وأبلى فيها بسهامه بلاء حسناً . وكان رجلا طوالا مشرف القامة . فتح الأبلة بعد انهزام جيش الفرس الذى كان بها ، واختط البصرة بأمر عمر بن الخطاب وامر محجن بن الادرع فاختط مسجدها . ثم ذهب إلى مكة فلما كان بمعدن بنى سليم ادركه الموت فتوفى سنة ١٧ هـ

(٦) حذاء : منقوصة .

(٧) آذنت اهلها بصرم : اعلمتهم بالقطيعة

(٨) صبابة : بقية . يصطبها : يفرغها

فيها سبعين خريفا [١] ولجهنم سبعة أبواب مابين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة ولتأتين عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام » ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة مالنا طعام إلا ورق البَشَام [٢] حتى قُرحت أشداقنا [٣] فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرة فشققتها بيني و بينه بنصفين والتقطت بُردة فشققتها بيني و بينه فأتزرت بنصفها ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، و إنه لم يكن نُبوة قط إلا تناسختها جبرية [٤] وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسي عظيما وفى أعين الناس صغيرا ، وستجربون الأمراء من بعدى فتعرفون وتنكرون.

خطبة لمعاوية بن أبي سفيان

قالوا [٥] لما حضرت معاويةَ الوفاةُ قال لمولى له : مَن بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك ! فقال : ويحك ! ولم ؟ قال: لا أدرى ! قال: فوالله مالهم بعدى إلا الذى يسوءهم . وأذن للناس فدخلوا فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال : [٦]

أيها الناس ؟ إنا قد أصبحنا فى دهر عَنُود [٧] وزمن شديد يُعدُّ فيه المحسن مُسيئاً و يزداد فيه الظالم عُتواً ، لانتفع بما عَلمنا ولا نسأل عمّا جهلنا ولا نتخوّف قارعةً حتى تَحِلَّ بنا [٨] ، فالناس على أربعة أصناف : منهم مَن لا يمنعه الفسادَ [فى الأرض] إلا مَهانةُ نفسه وكَلالةُ حدِّه ونَضِيضُ وَفرِهِ [٩] ومنهم المُصْلِتُ

(١) سبعين خريفا : سبعون عاما وليس من عام إلا وفيه خريف

(٢) البشام : شجر عطر الرائحة ويتخذ من قضبانه مساويك

(٣) قرحت اشداقنا : حدثت فيها قروح

(٤) تناسختها جبرية : غالبها جبروت ذوى السلطان فلما نسختها وإما غلبت لها

(٥) قال الجاحظ : رواها شبيب بن صفوان وزاد فيها اليقطرى وغيره

(٦) روى الشريف الرضى هذه الخطبة لعلى بن ابي طالب وهى به اشبه . وقد قومتها على روايته

(٧) عنود : جائر

(٨) القارعة : الخطب الذى يقرع اى يصيب

(٩) ونضيض وفره : اى قلة ماله

لسيفه والمُجلبُ بخيله ورَجْله (١) والمُعلن بشرّه ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لِحُطام ينتهزه (٢) أو مِقْنَبٍ يقوده (٣) أو منبر يفرعه (٤) ولَبِئْس المتجر أن [ترى الدنيا] لنفسك ثمناً ولما لك عند الله عوضاً ، ومنهم مَن يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامَنَ من شخصه(٥) وقارب من خطوه وشمَّر من ثوبه وزخرف [من] نفسه للأمانة(٨) واتخذ ستر الله ذَريعة للمعصية(٦)، ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضُؤُولَةُ نفسه (٧) وانقطاعُ سببه فقصرت به الحال عن أمله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس [أهل] الزّهادة وليس مِن ذلك في مَرَاحٍ ولا مَغْدًى ، وبقي رجال غضّ أبصارهم ذِكرُ المرجع وأراق دُموعَهم خوفُ المحشر فهم بين شريد نافر وخائف مقموع وساكت مَكْعُوم (٩) وداعٍ مخلص وثكلان موجَع ، قد أخملتهم التَّقيّةُ وشملتهم الذِّلة فهم [في] بحرٍ أُجَاجٍ أفواههم ضامزة(١٠) وقلوبهم قَرِحَةٌ قد وَعظوا حتى مُلوا وقُهروا حتى ذَلوا وقُتلوا حتى قَلوا ، فلتكن الدنيا في أعينكم أصغرَ مِن حُثالة القَرَظ وقُراضة الجَلَم (١١) واتَّعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم مَن كان بعدكم ، وارفضوها ذميمةً (١٢) فإنها قد رفضت من كان أشغَفَ بها منكم (١٣)

(١) الرجل جمع راجل كالركب جمع راكب

(٢) اشرط نفسه : هيأها واعدهاللفساد في الارض . واوبق دينه : اهلكه . لحطام ينتهزه : لمال يختلسه

(٣) او مقنب يقوده : المقنب الخيل مابين الثلاثين إلى الاربعين

(٤) او منبر يفرعه : اي يعلوه

(٥) طامن من شخصه : خفض وتظاهر بالخشوع

(٦) للأمانة : أي صنع ذلك ليخدع الناس حتى يأمنوه على مافي ايديهم

(٧) الذريعة : الوسيلة

(٨) الضؤلة : الحقارة والقماءة

(٩) مقموع : مقهور . ومكعوم : اي قد شد على فمه بالكعام (الكمامة)،وهو كناية عن السكوت . وفي الاصول معكوم وهو خطا

(١٠) كان بالاصول : أفواههم ضامرة ، ولا معنى لها هنا والصواب ما أثبتناه . والضامز : الساكت.

(١١) حثالة القرظ : ماالساقط من ورق السلم . قراضة الجلم : ما يقع مما يقرضه المقص

(١٢) وارفضوها ذميمة : يعني الدنيا

(١٣) قال الشريف الرضي : وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية . وهي من كلام أمير المؤمنين.

وفى هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب : منها أن هذا الكلام لايشبه السبب الذى من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أن هذا المذهب — فى تصنيف الناس وفى الاخبار عنهم وعمّاهم عليه من القهر والإذلال ومن التَّقِيَّة والخوف — أشبه بكلام على وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ، ومنها أنا لم نجد معاوية فى حال من الحالات يسلك فى كلامه مسلك الزُّهاد ولا يذهب مذاهب العُبَّاد ، وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم .

خطبة زياد بن أبى سفيان بالبصرة — البتراء

قال أبو الحسن المدائنى بسنده : قدم زيادٌ البصرة والياً لمعاوية بن أبى سفيان وضم إليه خُراسان وسجستان ، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر [وأموال الناس منتهبة والسياسة ضعيفة فصعد المنبر] : فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ، وقيل: بل قال :

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، أللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً :

أما بعد فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغَىّ المُوفِى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم [(1)] لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته فى الزمن السرمدى الذى لايزول ، أتكونون كمن طَرفت عينيه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحَدَث الذى لم تسبقوا

عليه السلام الذى لايشك فيه ، واين الذهب من الرغام والعذب من الاجاج ! وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها إلى معاوية ثم قال هى بكلام علىّ عليه السلام اشبه وبمذهبه فى تصنيف الناس وبالاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف اليق ، قال ومتى وجدنا معاوية فى حال من الاحوال يسلك فى كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد

(1) ويروى : الثواب الكثير

إليه من تركـكم الضعيف يُقهر ويُؤخذ ماله ! ؟ ما هذه المواخير المنصوبة [١] والضعيفة المسلوبة [٢] فى النهار المبصر ، [هذا] والعدد غير قليل ؟ ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواةَ عن دَلَجَ الليل وغارة النهار ؟ قرّبتم القرابة و باعدتم الدّين ، تعتذرون بغير العذر وتغضون عن المختلس ، كل امرىء منكم يذب عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبةً ولا يرجو معادا . ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس [٣] الريب ، حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا. إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف وشدة فى غير عُنف ، وإنى أقسم بالله لآخذنّ الولى بالولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصى والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : أنج سعد فقد هلك سُعيد ، أو تستقيم قناتكم . إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة ، فاذا تعلقتم علىّ بكذبة فقد حلت لـكم معصيتى فاذا سمعتموها منى فاغتمزوها فىّ واعلموا أن عندى أمثالها . مَن نُقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه ، فاياى ودَلج الليل فانى لا أوتَى بمدْلج إلا سفكت دمه ، وقد أجّلتـكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الـكوفة ويرجع إليكم . وإياى ودعوى الجاهلية [٤] فانى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن وقد أحدثنا لـكل ذنب عقوبة ، فمن غرق [بيوت] قوم غرقناه ومن حرق [على] قوم حرقناه ، ومن نقب [على أحد

(١) المواخير : بيوت الفسق والفجور

(٢) كانت المرأة من اهل البلد تاخذها الفتيان الفساق ويقولون لها نادي ثلاثة اصوات فان اجابك احد وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع ، فبلغ ذلك زياداً فغضب وامهلهم شهراً ثم دعا عبد الله بن حصين اليربوعى صاحب شرطه وامره بان يأتى براس كل من لقيه خارج منزله بعد العشاء الأخيرة ولو كان ابنه . فجاء في أول ليلة بسبعمائة رأس وفى الثانية بخمسين راسا وفى الثالثة براس واحد . وكف الفساق عن المعاصى .

(٣) مكانس الريب : مداخلها

(٤) دعوى الجاهلية : الاعتزاء إلى القبيلة ، وهو أن يقول فى الأمر جل به : يال فلان . وفى الحديث من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه هن ابيه ولا تكنوا

بيتا] نقبنا على قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه حياً فيه . فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدى ولسانى ، ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم فأضرب عنقه . وقد كانت بينى وبين أقوام إحن (١) فجعلت ذلك دَبر أذنى وتحت قدمى ، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحسانا ، ومن كان منكم مُسيئاً فلينزع عن إساءته ، إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السلال (٢) من بغضى لم أكشف له قناعاً ولم أهتك له ستراً حتى يُبدى لى صفحته ، فاذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس (٣) بقدومنا سَيُسَرّ ، ومسرور بقدومنا سيُبتئس .

أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذَادة (٤) نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونَذُودُ عنكم بفىء الله (٥) الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل [والانصاف] فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا ، واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابسا عطاء ولا رزقاً عن إبّانه ، ولا مُجَمِّراً لكم بَعثاً (٦) . فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى إليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم . مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم . أسأل الله أن يعين كلا على كل ، وإذا رأيتمونى أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله (٧) وأيم

(١) الاحن : الضغائن

(٢) السلال ، ويروى : السل ، وكلاهما واحد وهو المرض المعروف

(٣) المبتئس : الحزين المكتئب .

(٤) ذادة : مدافعون

(٥) الفىء : الخراج

(٦) تجمير البعث : حبس الجيش فى أرض العدو

(٧) على أذلاله : على حاله التى هو عليها دون تغيير ولا تبديل

الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى.

قال : فقام إليه عبد الله بن الاهتم فقال : أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ! فقال : كذبت ، ذاك نبي الله داود عليه السلام ! فقام الأحنف ابن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نثنى حتى نبتلى [ولا نحمد حتى نعطى] فقال له زياد : صدقت. فقام أبو بلال مرداس بن أُدَيَّة (١) وهو يهمس ويقول : [أيها الأمير] أنبأنا الله بغير ما قلت [وحكم بغير ما حكمت] قال الله « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » وأنك تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدبر ! فسمعها زياد فقال : [يا أبا بلال إني لم أجهل ما علمت ولكنا] لا نبلغ

(١) كان بالاصول : ابن امية ، وهو خطأ ، والصواب ما اثبتناه . وكان ابو بلال مرداس بن ادية ــ وادية امه ، وهو ابن حدير ــ كان من العباد النساك الزهاد يحب المعروف وينكر المنكر ، وكان مع هذا شاعرا فحلا وشجاعا باسلا . وكان ممن شهد صفين مع علي ثم انكر التحكيم . وهو رأس كل حروري ، خرج على عبيد الله بن زياد ، حينما ولاه معاوية البصرة واشتد على الخوارج ، وكان السبب في خروجه انه لما رأى ماحل بالبلجاء الخارجية من التقطيع والرمى بالسوق لم يطق الصبر على هذا الظلم ، نادى في اصحابه وقال لهم : والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا احكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل ، ثم خرج بهم وهو يقول :

أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ... ومن خاض في تلك الحروب المهالكا
احب بقاء أو أرجى سلامة ... وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتى وبصيرتى ... وهب لى التقى حتى الاقى اولئكا

فجهز إليه ابن زياد جيشاً من القين وعليهم أسلم بن زرعة ، وكان مرداس في اربعين رجلا فلما التقوا حمل عليهم مرداس برجاله فهزمهم وفرق جمعهم . فجهز ابن زياد جيشا أكثر عددا واوفر عددا وعليه عباد بن علقمة المازنى المعروف بعباد بن اخضر ، فراوحهم القتال وغاداهم فلما جاء وقت الصلاة قال له مرداس : هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى . فلما اخذ الخوارج في الصلاة مال عليهم عباد بجيوشه فقتلهم جميعا . وقد رثاه عمران بن حطان بقوله :

ياعين بكى لمرداس ومصرعه ... يارب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هائماً أبكي لمرزئتي ... في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يامرداس بالناس
إما شربت بكأس دار اولها ... على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا ... منها بأنفاس ورد بعد انفاس

ما نريد فيك وفى أصحابك [ولا نتخاص إلى الحق منكم] حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً .

قال الشّعبيُّ : ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء ، إلا زياداً ، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً .

أبو الحسن المدائنى قال : قال الحسن : أوعد عُمرٌ فعفا ، وأوعد زياد فابتلى .

قال : وقال الحسن : تشبه زِيادٌ بعُمَرٍ فأفرط ، وتشبه الحجاجُ بزيادٍ فأهلك الناس

***

قال أبو عثمان : قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه صدراً وذكرنا من خطب السلف جملا ، وسنذكر من مقطعات الكلام وتجاوب البلغاء ومواعظ النساك ، ونقصد من ذلك إلى القصار دون الطوال ليكون ذلك أخف على القارىء وأبعد من السآمة والملال ثم نعود بعد ذلك الى الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله .

مقطعات من كلام البلغاء ومواعظ النساك

قال أبو الحسن المدائنى : قدم عبدُ الرّحمن بن سليم الكلبى على المهلَّب بن أبي صُفرة فى بعض أيامه مع الأزارِقَة فرأى بَنيه قد ركبوا عن آخرهم (١) فقال : آنس الله الاسلام بتلاحقكم ، فوالله لئن لم تكونوا أسباطَ نُبوة إنكم لأسباطُ مَلحمة . قال أبو الحسن : دخل الهُذَيْلُ بْنُ زُفَرِ الكلابى على يزيدِ بْنِ المهلَّب فى حِمالات لزمته ونوائب نابته فقال : أصلحك الله ، إنه قد عظم شأنك عن أن يُستعان عليك ولست تصنع شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه ، وليس العجب بأن

(١) بنو المهلب هم : المغيرة ويزيد وقبيصة ومدرك وعبد الملك وحبيب ومحمد والمفضل . سأل الحجاج كعب الاشقرى عن بنى المهلب فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، وجوادهم وسخيهم قبيصة ، ولا يستحى الشجاع ان يفر من مدرك ، وعبد الملك سم ناقع ، وحبيب موت ذعاف ، ومحمد ليث غاب ، وكفاك بالمفضل نجدة . فقال له الحجاج : فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال كعب : خلفتهم بخير قد ادركوا ماأملوا وأمنوا ماخافوا . قال : فكيف كان بنو المهلب فيكم ؟ قال : كانوا حماة السرح نهاراً فاذا اليلوا ففرسان البيات . قال : فأيهم كان انجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفها

تفعل ولكن العجب بأن لا تفعل . فقال يزيد : حاجتك ؟ فذكرها فأمر بها وأمر له بمائة ألف درهم ، فقال : أما الحمالات فقد قبلتها ، وأما المال فليس هذا موضعه .

عيسى بنُ يزيدِ بن دَأْبٍ عمن حدثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال: قال عثمان بن أبي العاص الثقفي لبنيه : يابني ، إني قد أمجدتُكم في أمهاتكم وأحسنت في مِهنة أموالكم ، وإني ما جلست في ظل رجل من ثقيف أشتُم عرضه ، والناكح مُغْتَرِس ، فلينظر امرؤ حيث يضع غَرسه ، والعِرْق السوء قلما يُنجب ولو بعد حين . قال : فقال ابن عباس : يا غلام اُكتب لنا هذا الحديث. قال : ولما همت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان : معاشر ثقيف ، لا تكونوا آخر العرب إسلاما وأولهم ارتداداً ! ؟ قال : وسمعت أعرابيا ذكر يوما قريشا فقال : كفى بقريش شرفا أنهم أقرب الناس نسبا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأقربهم بيتا من رسول الله .

الأصمعي قال: قيل لعَقِيلِ بْنِ عُلَّفَةَ [1] : لم تَهجو قومك ؟ قال : الغنم إذا لم يصفر لها لم تشرب . قال : وقيل لعقيل بن عُلفة : لم لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

قال : وسأل عمرو رضى الله عنه عَمرو بن مَعد يكرب عن سَعد [2] فقال : كيف أميركم ؟ قال : خير أمير ، نَبطِيٌّ في حَبْوَته عربيٌّ في نمرته أسد في نامورته [3] يعدل في القضية ويَقسم بالسوية وينفر بالسَّرية وينقل إلينا حقنا كما تنقُل الذَّرَّة . فقال عمر : لشد ما تقارضتما الثناء !

(١) هو عقيل بن علفة بن الحارث المرى : كان شاعراً مجيداً من شعراء الدولة الأموية شعره قليل ، وكان اعرج جافيا شديد الموج والعجرفية والبذخ بنسبه فى بنى مرة لا يرى ان له كفؤا ، وهو بيت شرف قومه فى كلا طرفيه ، وكانت قريش ترغب فى مصاهرته ، تزوج إليه خلفاؤها واشرافها منهم يزيد بن عبد الملك تزوج ابنته الجرباء ، وتزوج بنته عمرة سلمة بن عبد الله بن المغيرة وكان من اشراف قريش واجوادها ، وله حوادث واخبار فى الغيرة.

(٢) يعنى سعد بن ابى وقاص

(٣) نبطى فى حبوته : يشبه بالنبطى فى جلسته واحتبائه ، عربي فى نمرته ؟ النمرة : الشملة . اسد فى نامورته : يعنى كانه الاسد فى عرينه

ولما تورد الحارث بن قَيس الجهضمى بعبيد الله بن زياد منزلَ مسعود بن عمرو العتكى عن غير إذن فأراد مسعود إخراجه من منزله (١) قال عبيد الله : قد أجارتنى بنت عمك عليك وعقدها العقد الذى يلزمك وهذا ثوبها علىّ وطعامها فى مذَاخرى (٢) وقد التف علىّ منزلك ! وشهد له الحارث بذلك .

مر الشَّعبى بناس من الموالى يتذاكرون النحو فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده .

وتكلم عبدُ الملكِ بنُ عُمَيْرٍ (٣) وأعرابى حاضر فقيل له : كيف ترى هـذا الـكلام ؟ قال : لو كان الـكلام يُؤْتَدَمُ به لـكان هذا . وقال : ألعذر طرف من البُخل . وقال أيضاً : الخَرَسُ خير من الخلابة . وقال أبو عمر الضرير : ألبَكَمُ خير من البَذَاء . وقدم الهَيْثَمُ بنُ الأسْوَدِ بْنِ العُرْيَانِ على عَبد الملك بن مَرْوَانَ فقال : كيف تَجدك ؟ قال : أجدنى قد أبيض منى ما كنت أحب أن يَسودّ ، وأسودّ منى ما كنت أحب أن يبيضّ ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولاَن منى ما كنت أحب أن يشتد ، ثم أنشد (٤) :

(١) لما مات يزيد بن معاوية وكان عبيد الله بن زياد على البصرة ، صعد المنبر وقال : إن امير المؤمنين يزيد قد توفى وقد اختلف اهل الشام وانتم اليوم اكثر الناس عددا واعرضه فناء واغناه عن الناس واوسعه بلادا ، فاختاروا لانفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فانا اول راض من رضيتموه فان اجتمع اهل الشام على رجل ترضونه دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وإن كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم فما بكم إلى احد من اهل البلدان حاجة وما يستغنى الناس عنكم ، وسد حوار بايعوه ثم انصرفوا يمسحون ايديهم فى الحيطان ويقولون أيظن ابن مرجانة أننا ننقاد له فى الجماعة والفرقة ؟ ! وكان فى سجن البصرة إذ ذاك اربعمائة من الخوارج فلما ضعف امره كلم فيهم فاطلقهم فخرجوا وافسدوا البيعة وحرضوا الناس على السلطان ، فلما رأى ان الامر قد خرج من يده ارسل إلى الحارث بن قيس الازدي فقال له : ياحارث إن ابي كان اوصاني اني ان احتجت إلى الهرب يوماً ان اختاركم . فاردفه خلفه ثم سار به ليلا حتى انزله دار مسعود بن عمرو بن عدي الازدي ، وكان يقال لمسعود هذا ، قمر العراق ، فاجاره ، ثم قتل بعد ذلك وحدثت خطوب بسببه بين الازد وربيعة وبين بنى تميم

(٢) مذاخري : امعائى

(٣) هو عبد الملك بن عمير : كان يكنى أبا عمرو ، ويلقب القبطى ، وأصله من لخم ، تولى قضاء الكوفة بعد الشعبي وظل فيه سنة ثم استعفى الحجاج فأعفاه ، وكان بليغاً راوية وشاعراً صاحب أخبار وكان دميما جداً ولدمامته كان يلقبه المختون « منفر الفيلان » ولد سنة ٣٣ هـ وتوفى سنة ١٣٦ م

(٤) راجع ص ٣٠٠ من الجزء الاول

إسمعْ أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ ... نَوْمُ العِشَاءِ وسُعَالٌ بالسَّحَرْ

وَقِلَّةُ النَّوْمِ إذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ ... وقِلَّةُ الطُّعْمِ إذا الزَّادُ حَضَرْ

وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وتَحْمِيجُ النَّظَرْ ... وتَرْكِيَ الحَسْنَاءَ مِنْ قِبَلِ الطُّهُرْ

وحَذَرًا ازْدَادُهُ إلى حَذَرْ ... والنَّاسُ يَبْلُونَ كما يَبْلَى الشَّجَرْ

وقال أَكْثَمُ بْنُ صيفي[(١)] : الْكَرَم حسن الفِطنة ، واللؤم سوء الفطنة .

وقال أكثم : تباعدوا فى الديار تقاربوا فى المودة . وقال لبنيه : تباذلوا تحابُّوا .

ودخل عِيْسى[(٢)] بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله على عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ[(٣)] وقد قُطِعت رجله فقال له عيسى : والله ما كنا نعدّك للصراع ، ولقد أبقى الله لنا أكثرك ، أبقى لنا سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك وإحدى رجليك . فقال له عُرْوَةُ : والله يا عيسى ماعزاني أحدٌ بمثل ماعزيتني به .

وكتب الحسن إلى عُمَرَ بْنِ عبد العزيز : أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إقرأوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، ولن يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله ، ولن يُقرّب من أجل ولن يُباعد من رزق أن يقوم رجل بحق أو يذكر بعظيم .

---

(١) هو أكثم بن صيفي : وهو من تميم من بطن منهم يقال لهم بنو شريف ، حكيم من حكماء العرب ، وخطيب من خطبائهم ، أدرك البعثة ولم يسلم ، وكان يحرض قومه على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم عاش ١٩٠ سنة وهو القائل :

وإن امرأً قد عاش تسعين حجة ... إلى مائة لم يسأم العيش جاهل

مضت مئتان غير ست وأربع ... وذلك من عد الليالى قلائل

(٢) هو عيسى بن طلحة بن عبيد الله : كان ناسكا نجيلا جيد الكلام وفد على عبد الملك بن مروان مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف وكلمه فى عزل الحجاج عن الحجاز فعزله . توفى سنة ١٠١ هـ

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام يكنى ابا عبد الله . كان فقيها فاضلا وصبوراً جلداً . اصابته اكلة فى رجله وهو عند الوليد بن عبد الملك فقطعت رجله والوليد حاضر فلم يتحرك ولم يشعر الوليد بقطعها حتى كويت وشم رائحة الكي ، وبقى بعد ذلك ثمان سنين . واحتفر بئراً بالمدينة يقال لها بئر عروة ليس بالمدينة بئر أعذب منها . مات بضيعة له قرب المدينة سنة ٩٤ هـ

وقال أعرابي لهشام بن عبد الملك : أتت علينا ثلاثة أعوام ، فعام أ كل الشحم وعام أ كل اللحم وعام انتقى العظم[1] وعندكم أموال ، فإن كانت لله فادفعوها إلى عباد الله ، وإن كانت لعباد الله فادفعوها إليهم وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزى المتصدقين ! ؟ قال : فهل من حاجة غير ذلك ؟ قال : ما ضربت إليك أ كباد الإبل أدّرعُ الهجير وأخوض الدُّجى لخاص دون عام .

قال شداد الحارثى ، ويكنى أبا عبيد الله : قلت لأمة سوداء بالبادية : لمن أنت يا سوداء ؟ قالت : لسيد الحضر يا أصلع . قال : قلت : ما غضبك من الحق ! قالت : ألحق أغضبك ، لاتسبب ترهب ولأن تتركه أمثل .

وقال الأصْمَعِيُّ : قال عيسى بنُ عُمَرٍ : قال ذو الرمة : قاتل الله أمة آل فلان ما كان أفصحها ! سألتها : كيف كان المطر عندكم . قالت : غُيِّثْنَا ما شئنا .

وأنا رأيت عبداً أسود لبنى أسيد قدم عليهم من شق اليمامة فبعثوه ناطوراً وكان وحشيًا محرماً لطول تغربه كان فى الإبل وكان لايلقى إلا الأكرة فكان لايفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رآنى سكن إلىّ وسمعته يقول : لعن الله بلاداً ليس فيها عرب ، قاتل الله الشاعر حيث يقول : حُرُّ الثَّرَى مُسْتَعْرَبُ التُرابِ . أباعثمان : إن هذه العرب فى جميع الناس كمقدار القُرحة فى جميع جلد الفرس فلولا أن اللهَ رقّ عليهم فجعلهم فى حاشية[2] لطمست هذه العُجْمَان آثارهم ، أترى الأعيارَ إذَا رأت العِتَاق[3] لاترى لها فضلا ؟ والله ما أمر اللهُ نبيه بقتلهم إلا لضنه بهم ولا ترك قبول الجزية منهم الا تنزيهاً لهم[4] قال الأحنف

(١) إنتق العظم : أخرج نقيه وهو النخاع الذى فى القصب

(٢) فى حاشية : بريد ان الله جعلهم فى شبه جزيرة منحازة عن الممالك الكبيرة والدول الشديدة

(٣) الاعيار : الحمير . والعتاق : الخيل الاصايل

(٤) هذا القول فى أعلى طبقات الرأى السديد والفكر الصائب وهو تخريج بديع

أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياء من الفرار. ولما مات أسماء بنُ خارِجَةَ الفَزَارِي[1] فبلغ الحجاج موته قال: هل سمعتم بالذى عاش [ماشاء] ثم مات حين شاء!؟ وقال سلم بن قتيبة: رَبُّ المعروف أشدُّ من ابتدائه.[2] وعن قتادة قال: قال أبو الأسود: إذا أردت أن تكذب صاحبك فلقنه. وقال أبو الأسود: إذا أردت أن تعظم فمُتْ. وقال أبو الأسود: اذا أردت أن تُفحم عالما فأحضره جاهلا. قيل لأعرابى: ما يدعوك الى نوْمة الضُّحَى؟ قال: مبرَدة فى الصيف مسخنة فى الشتاء. وقال أعرابى آخر: نوْمة الضحى مَعجزة مَبخرة. وجاء فى الحديث: «ألولد مَجْبَنَةٌ مَبْخلةٌ». ونظر أعرابى الى قوم يلتمسون هلال رمضان فقال: أما والله لئن ثُرْتموه لتُمْسِكُنَّ منه بِذُنَابَى عَيشٍ أغبر. وقال أسماء بنُ خارجة: إذا قدُمت المُصيبة تُركت التَّعزية. وقال: إذا قدم الأخاء قبح الثَّناء. وقال اسْحَقُ بنُ حَسَّان:[3] لاتُشَمِّت الأمراء ولا الأصحاب القدماء[4]. وسئل أعرابى عن راعٍ له فقال: هو السارح الآخر الرائح الباكر الحالب العاصر الحاذق الكاسر. وقال عُتْبَةُ بْنُ أبي سفْيَان[5] لِعبَدِ الصَّمد مؤدب وُلْدِهِ: ليكن أوّلَ ما تبدأ

(١) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزارى • من امجد بيوت العرب واسماها عمادا وكان سيد قومه ومن اشراف اهل الكوفة، وكان فارساً شجاعا وكريما جوادا ممدحا مذكورا ولعبد الله ابن الزبير الاسدى واعشى همدان وغيرهما فيه مدائح جياد. وكان ذا جاه عريض ومقام كبير فى الدولة الاموية. وكان متهما بالممالاة على قتل الحسين، ولذلك لما خرج المختار بن ابى عبيد طالباً بثار الحسين خطب الناس فقال: لتنزلن نار من السماء تسوقها ريح حالكة دهماء حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء. فقال أسماء: أو قد سجع بى ابو إسحق! لاقرار على زأر من الاسد. وهرب إلى الشام. فامر المختار بهدم داره فما اقدم عليها مضري لموضع اسماء وجلالة قدره في قيس. وزوج ابنته هند من الحجاج بن يوسف وقال لها ليلة زفافها: يابنية إن الامهات يؤدبن البنات وان امك هلكت وانت صغيرة، فعليك باطيب الطيب الماء واحسن الحسن الكحل، وإياك وكثرة المعاتبة فانها قطيعة للود. وإياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق، وكونى لزوجك امة يكن لك عبدا.

(٢) رب المعروف: تعهده وأصلاحه

(٣) هوابو يعقوب الخريمى

(٤) يعنى إذا عطس احدهم فلا تقل له يرحمك الله

(٥) هو عتبة بن ابى سفيان بن حرب اخو معاوية من أبيه. شهد الجمل مع عائشة وكان خطيبا بليغا إلا انه كان يضعف. ولاه معاوية مصر فبلغته أمور عن اهلها فصعد المنبر مغضبا وقال: ياحاملين الام

به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك فان أعينهم معقودة بعينك فالحسَنُ عندهم ما استحسنت والقبيحُ عندهم ما استقبحت ، وعلّمهم كتاب الله ولا تُكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روّهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه ، ولاتخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه فان ازدحام الكلام فى السمع مَضلة للفهم ، وتهددهم بى وأدبهم دونى وكن لهم كالطبيب الذى لايعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجَنِّبْهم محادثة النساء وروّهم سِيَرَ الحكماء ، واستزدنى بزيادتك إياهم أزِدْك ، وإياك أن تتكل على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك ، وزد فى تأديبهم أزدك فى برى إن شاء الله تعالى[١]

وكتب ابراهيم بن يحيى الأسلمى إلى المهدى يعزيه على ابنته : أما بعد فإن أحق من عرَفَ حقّ الله عليه فيما أخذ منه مَن عظم حقّ الله عليه فيما أبقى له واعلم أن الماضى قَبلك هو الباقى لك وأن الباقى بعدك هو المأجور فيك وأن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه . وقال سهْل ابن هرُون : ألتهنئةُ على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة . وقال صَالحُ بنُ عبد القدُّوس :

إنْ يَكُنْ مَابِهِ أُصِبْتَ جَليلاَ فَذَهَابُ العَزاءِ فِيهِ أَجَلُّ
كلّ آتٍ لاَ شَكَّ آتٍ وَذُو الجَهْـــلِ مُعنّى وَالهمّ وَالحُزْنُ فَضْلُ

وقال لقمان لابنه: يابنى إياك والكسلَ والضجرَ فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً وإذا ضَجِرْتَ لم تصبر على حق . وكان يقال: أربع لا ينبغى لأحد أن يأنف منهن وإن كان شريفاً أو أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه وخدمته لضيفه وقيامه على

انوف ركبت بين اعين ، إنما قلمت اظفارى عنكم ليلين مسي إياكم ، وسألتكم صلاحكم لكم إذ كان فسادكم راجعا عليكم ، فأما إذا ابيتم إلا الطعن فى الولاة والتنقص للسلف فوالله لاقطعن على ظهوركم بطون السياط فان حسمت داءكم وإلا فالسيف من ورائكم . فكم من موعظة منالكم مجتها قلوبكم ، وزجرة صمت عنها آذانكم ، ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذ جدتم لنا بالمعصية ، ولاأويسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التى هى ابر واتقى .

(١) وهذه الوصية من اجل الوصايا وانفعها واولاها ان تكون نموذجا لطريقة التعليم النافعة

فرسه وخدمته للعالم . وقال بعض الحكماء : إذا رغبتَ في المكارم فاجتنب المحارم. وكان يقال : لا تغتر بمودة الأمير اذا غشك الوزير . وكتب آخر : أما بعد فقد كنتَ لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا ترض إلا بالكل منا لك .

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال : ألسان أداةٌ يظهر بها حُسن البيان ، وظاهرٌ يخبر عن الضمير ، وشاهدٌ ينبئك عن غائب ، وحاكمٌ يُفصل به الخطاب، وناطقٌ يُرد به الجواب ، وشافعٌ تُدرك به الحاجة ، وواصف تُعرف به الحقائق ومعزٍّ يُنفىَ به الحزن ، ومُؤنس تَذهب به الوحشة ، وواعظٌ يَنهى عن القبيح، ومُزينٌ يَدعو إلى الحسن ، وزارع يحرث المودة . وحاصدٌ يَستأصل الضَّغينة ، ومُلْهٍ يُونقُ الأسماع[(١)]

وقال بعض الأوائل : إنما الناس أحاديث فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل .

ولما وصل عبدُ العزيز بن زُرارة [(٢)] إلى معاوية قال : ياأمير المؤمنين ، لم أزل أستدل بالمعروف عليك وأمتطى النهار إليك ، فإذا ألوى [(٣)] بى الليل فقبض البصر وعفى الأثر ، أقام بدنى وسافر أملى ، والنفس تلوم والاجتهاد يعذر ، وإذ بلغتك فقَطنى [(٤)]

وقال لُقمان : ثلاثةٌ لا يُعرفون إلا فى ثلاثةِ مواطن : لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا فى الحرب ولا تَعرف أخاك إلا عند حاجتك إليه . وقال أبو العتاهية :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا حِبِكَ الدَّهْرَ أَخُوه

(١) فى الاصول : وملهم بوفق الاسماع . وليس فى ذلك من معنى صحيح فى هذا المقام، والصحيح ما اثبتناه .

(٢) هو عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان الكلابي . كان فارسا شجاعا كريما جوادا وكان سيد قومه ومن رجالات عشيرته . وكان فصيحا بليغا وشاعرا مقلا مجيدا .

(٣) الوى : انطوى علي

(٤) قطني : حسبي وكفى

فاذَا احتَجتَ إليهِ ساعةً مَجَّكَ فوْه [١]

وقال على بن الحسين لابنه : يابنى اصبر على النائبة ولا تتعرض للحقوق ولا تُجب أخاك إلى شيء ضرره عليك أعظم من منفعته له .

وقال الأحنف : مَن لم يصبر على كلمةٍ سمع كلمات ، وقال : رُبَّ غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه ، وقال : مَن كثر كلامه كثر سقطه ومَن طال صمته كثرت سلامته .

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز رحمه الله : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكْثَرَ التنقّل .

وخطب صَعْصَعَةُ بنُ مُعاوية إلى عامِرِ بْنِ الظَّرِبِ العَدْوَانىّ ابنته عمْرَةَ [٢] وهى أم عامر بن صعصعة ، فقال : [٣] ياصعصعة ، إنك أتيتنى تشترى منى كبدى وأرحم ولدى عندى ، أبغيتك أو رددتك ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفرّ من السر إلى العلانية أنصح إبنا وأودع ضعيفاً قويا ، يامعشر عدْوَانَ : خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة ، أقسم لو قسم الحظوظ على قدر الجدود ماترك الأول للآخر ما يعيش به .

---

(١) مجه : قذفه

(٢) وروي ابو الفرج بسنده ان صعصعة بن معاوية اتى سعد بن الظرب العدواني فشكا إليه بعض الامر فزوجه بنت اخيه عمرة بنت عامر بن الظرب

(٣) وفى رواية ابي حاتم السجستاني انه قال : ياصعصع قد جئت تشتري منى كبدي واكرم ولدي عندي منعتك أو بعتك ، النكاح خير من الايمة والحسب كفاء الحسب والزوج الصالح يعد أبا ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، يامعشر عدوان خرجت كريمتكم من بين أظهركم من غير رغبة عنكم ولكنه من خط له شيء جاءه ، رب زارع لنفسه ماحصده غيره ، ولولا قسم الحظوظ ماأدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ولكن رزق آكل من آجل وعاجل . إن الذى أرسل الحيا أنبت المرعى ثم قسمه لكل فم بقلة ومن الماء جرعة ترون ولا تعلمون ولن يرى ماأصف لكم إلا كل قلب واع ولكل مرعى راع ولكل رزق ساع ولكل خلق خلق كيس أو حمق وما رأيت شيئاً قط إلا سمعت حسه ووجدت مسه وما رأيت شيئاً خلق نفسه وما رأيت موضوعا إلا مصنوعا وما رأيت جائياً إلا ذاهبا ولا غانما إلا خائباً ولا نعمة إلا ومعها بؤس ولو كان يميت الناس الداء لأعاشهم الدواء .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكنّ لها أهلا: لا يرجُوَنّ أحدكم الا ربه ولا يخافنّ الا ذنبه ولا يستحي أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، واذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان. وقال الأصمعي: أثنى رجل على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فأفرط، فقال علي — وكان يتهمه — أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك! وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: قيمة كل إنسان ما يُحسن. وقال له مالك الأشتر: (١) كيف وجد أمير المؤمنين

(١) هو مالك بن الحارث الاشتر النخعي، كان من شجعان العرب وأبطال الاسلام وفرسان الدنيا، وكان شاعرا مجيدا وخطيبا بليغا، وقائدا مدبرا، وكان من أعظم الرجال وأطولهم إلا أن في لحمه خفة قليلة. كان من قواد الجيوش مع علي بن أبي طالب وشهد معه وقائعه في الجمل وصفين وكان يلي الجزيرة له، وهو الذي كشف جيوش معاوية عن الماء بسيفه وقتل من قواده وصناديد أجناده سبعة في يوم واحد حتى أزاح الجيوش عن الماء في صفين. وقد بارز عبد الله بن الزبير يوم الجمل وصرعه مع شيخوخته وطيه ثلاثة أيام لم يطعم فيها شيئا ومع شباب ابن الزبير وفتائه وقوته وكان عبد الله يصيح وهو تحته: إقتلوني ومالكا. وفي ذلك يقول لعائشة أم المؤمنين صاحبة الجمل:

اعائش لولا انني كنت طاويا ... ثلاثا لالفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرجال تحوزه ... بأضعف صوت: إقتلوني ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وغمه ... خدب عليه في العجاجة باركا
فنجاه مني اكله وشبابه ... وأني شيخ لم اكن متماسكا
وقالت على اي الخصال صرعته ... بقتل أتى ام ردة؟ لاابالكا
ام المحصن الزاني الذي حل قتله؟ ... فقلت لها: لابد من بعض ذلك

ولما انتهى امر صفين والحكمين ولاه عليّ على مصر واعطاه دستورا للحكم هو من ابلغ ماوضع في اساليب الحكم، وكتب له كتابا إلى اهل مصر يقول فيه: أما بعد فاني قد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لاينام ايام الخوف ولا ينفل عن الاعداء حذار الدوائر لانا كل من قدم ولا واه في عزم من أشد عباد الله بأسا واكرمهم حسبا اضر على الفجار من حريق النار وابعد الناس عن دنس أو عار وهو مالك ابن الحارث الاشتر حسام صارم لانابي الضريبة ولا كليل الحد حليم في السلم رزين في الحرب ذو رأي اصيل وصبر جميل فاسمعوا له واطيعوا امري فان امركم بالنفر فانفروا وإن امركم ان تقيموا فأقيموا فانه لايقدم ولا يحجم إلا بامري وقد آثرتكم به على نفسي نصيحة لكم وشدة شكيمة على عدوكم، عصمكم الله وثبتكم بالتقوى ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى والسلام عليكم ورحمة الله. وكان معاوية لما بلغه توليته على مصر اضطرب وخاف إن تمكن منها حال بينه وبين مطامعه فيها فاعد له من يسقيه السم في طريقه إليها فكان ما كان ومات رحمه الله مسموما بالقلزم قبل دخوله مصر.

امرأته ؟ قال : كالخير من النساء إلا أنها قبّاء(١) قال : وهل يريد الرجل من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، حتى تُدْفِىء الضجيعَ وتروى الرضيع .

ووقف رجل على عامرِ الشّعبيّ فلم يدع قبيحاً إلا رماه به ، فقال له عامر : إن كنتَ كاذباً فغفر الله لك وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لى .

وقال إبراهيم النخعى لسليمان الأعمش — وأراد أن يماشيه — فقال : إن الناس إذا رأونا معاً قالوا : أعور وأعمش! قال: وما عليك أن يأثموا ونؤجر !؟ قال ابراهيم : وما عليك أن يَسلموا ونسلم ؟!

قال أبو الحسن : كان هِشام بنُ حَسان إذا ذكر يزيد بنَ المُهَلَّب قال: إن كانت السفنُ لَتجرِى فى جوده . قال : مكتوب فى الحكمة : ألتوفيق خير قائد وحُسن الخُلق خير قرين والوَحدةُ خير من قرين السوء .

وكان مالك بنُ دينارٍ يقول : ما أشد فِطام الكبير ! ويُنشد قول الشاعر :

وَترُوضُ عِرْسَكَ بعْدَ ماهَرِمَتْ ... وَمِنَ العناءِ رِياضةُ الهَرِمِ

وقال صالح المُرّى : كُنّ الى الإستماع أسرع منك الى القول، ومن خطأ الكلام أشد حذراً من خطأ السكوت . وقال الحسنُ بْنُ هانِىء :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَام ... وَامْضِ عنهُ بِسلام
مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الكلام
رُبّما استَفْتَحْتَ بالمَزْ ... حِ مَغاليقَ الحِمام(٢)
إنّمَا السّالِمُ مَنْ ... ألْجَمَ فَاهُ بِلِجَام

(١) قباء : دقيقة الخصر ضامرة البطن
(٢) وبعد هذا البيت يقول :

رب لفظ ساق آجا ... ل فئام وفئام
فالبس الناس على الصحة منهم والسقام
وعليك القصد إن القصد ابقى للجمام
شبت يا هذا وما تترك اخلاق الغلام
والمنايا آكلات شاربات للأنام

وقال أبو عبيدة وأبو الحسن: تكلم جماعة من الخطباء عند مَسْلَمَة بن عبد الملك فأسهبوا فى القول، ثم افترع المنطق(١) رجل من أخريات الناس لايخرج من حَسَن إلا إلى أحسن منه، فقال مَسلمةُ: ما شبهت كلام هذا بِعقب كلام هؤلاء إلا بِسَحابة لَبَّدَتْ عَجَاجَه.(٢)

قال أبو الحسن: علم أعرابى بنيه الخِرَاءة فقال: إتبعوا الخلا وابعدوا من الملا، واعلوا الضَّرَاء(٣) واستقبلوا الريح وافْجُوا فجاج النعامة(٤) وامتسحوا بأشملكم.

و يروى عن الحسن أنه قال: لما حضرَتْ قيْسَ بن عاصِم الوفاة دعا بنيه فقال: يابَنِى احفظوا عنى فلا أنصح لكم منى، إذا متُّ فسوِّدوا كِبارَكم(٥) ولا تسوِّدوا صِغاركم فيسفِّه الناس كبارَكم وتهونوا عليهم، وعليكم باستصلاح المال فإنه مَنبهةٌ للكريم ويُستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس فانها آخر كسب الرجل.

سُئل دَغْفَلُ النسابة عن بنى عامر بن صعصعة فقال: أعناقُ ظباء وأعجازُ نِساء، قيل: فتميم؟ قال: حجر أخشن إن دنوت منه آذاك وإن تركته أعفاك، قيل: فاليمن؟ قال: سيدٌ وأنوك. وكانوا يقولون لاتستشيروا معلماً ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء.

عَقَالُ بن شبة(٦) قال: كنت رديف أبى، فلقيه جَرِيْرٌ على بغل فحياه أبى.

(١) افترع المنطق: اقتض عذر الكلام وجاء بالعجب العجاب

(٢) لبدت عجاجة: العجاجة الغبار الذى أثاره الريح حتى عقد بين السماء والأرض. ولبدته أطفأت ثائرته والزقته بالارض

(٣) الضراء الشجر الملتف فى الوادي

(٤) افجوا فجاج النعامة: اي باعدوا بين ارجلكم كما تفعل النعامة حينما ترمي بصومها

(٥) سودوا كباركم: إجعلوا السيادة فيهم عليكم

(٦) كان بالأصول: عفان بن شيبة، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

وألطفه ، فقلت له : أبعد ما قال لنا ما قال ! قال : يابنى أفأوسع جرحى !؟ (١) قال: ودعا جرير رجلا من شعراء بنى كلاب الى مهاجاته ، فقال الكلابى : إن نسائى بأمتعتهن ولم تدع الشعراء فى نسائك مُتَرَقَّماً . وقال جرير : أنا لا أبتدى ولكنى أعتدى . (٢)

وكان الحسن فى جنازة فيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل بالرجوع ، فقال الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك فى دينك .

قال أبو عبيدة : لقى المخبَّلُ القُرَيْعىُّ (٣) الزبرقانَ فقال : كيف كنت بعدى أبا شَذرة ؟ قال: كما يسرك ، مُحَيلا مُجَرِّبا. (٤) قال : وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زُرعة — يعنى رَوح بن زِنباع — طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز .

---

(١) كان جرير قد هجاه بقصيدة منها هذا البت

فضح العشيرة يوم يسلح قائما   ظل النعامة شبة بن عقال

(٢) يريد انه لا يبتدىء أحدا بالعدوان ولكن من اعتدى عليه قابله بالمثل

(٣) هو ابو يزيد المخبل بن ربيعة القريعى ويقال له المخبل السعدى ايضا كان من فحول الشعراء المقلين وقد نشأ فى الجاهلية وادرك الاسلام وعمر طويلا وكان له ابن يقال له شيبان بن المخبل خرج عنه ولحق بجيش سعد بن ابى وقاص فى بلاد الفرس فجزع عليه جزعا شديدا ، وكان قد اسن وضعف ولم يملك الصبر عنه فذهب علقمة بن هوذة إلي عمر بن الخطاب فأخبره بحال المخبل وانشده قوله :

ايهلكنى شيبان فى كل ليلة   لقلبى من خوف الفراق وجيب
اشيبان ما ادراك أن رب ليلة   غبقتك فيها والغبوق حبيب
غبقتك عظماها سناما او انبرى   برزقك براق المتون اريب
اشيبان إن تأبى الجيوش بجدهم   يقاسون اياما لهن خطوب
ولاهم إلي البر او كل سابح   عليه فتى شاكى السلاح نجيب
يزودون جند الهرمزان كانما   يزودون اوراد الكلاب تلوب
فان يك غصنى اصبح اليوم ذاويا   وغصنك من ماء الشباب رطيب
فانى حنت ظهرى خطوب تتابعت   فمشى ضعيف فى الرجال دبيب
إذا قال صحبى ياربيع الا ترى   ارى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيبان ان لن يعقنى   تعق إذا فارقتنى وتحوب
فلا يدخلن الدهر قبرك حوبة   يقوم بها يوما عليك حسيب

فلما سمع عمر هذه الأبيات رق له وبكى وكتب إلى سعد بان يرجع شيبان فرده إلى ابيه ، ومات المخبل فى خلافة عثمان

(٤) محيلا مجربا : يعنى أن الدهر جعله ذا حيل وتجارب

وذُكر لعُمَرَ بن الخطاب إتلاف شباب من قريش أموالهم فقال عُمَرُ لحِرْفَةُ أحدهم أشد عليّ من عَيلته.[١] وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس . وقال زِيادٌ : لو أن لى ألف ألف درهم ولى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره ولو أن عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه. وقال عمرو بن العاص : البطنة تُذهب الفطنة[٢]. وقال مُعاوية ابن أبى سفيان : مارأيت رجلا مستهتَراً بالباءة إلا تبينت ذلك فى مُنته .

قال الأصمعى : قال أبو سليمان الفَقْعَسِىُّ لأعرابى من طىء : أبامرأتك حَمل؟ قال : لا وذو بيته فى السماء ما أدرى والله مالها ذنب تشال به وما أتيتها إلا وهى ضَبِعَةٌ[٣] قال أبو الحسن المدائنى : اتخذ يزيد بن المهلب بستانا بخراسان فى داره فلما ولى قُتيبة خُراسان جعل ذلك لإبله ، فقال له مرزبان مروان : هذا كان بستاناً ليزيد وقد اتخذته لابلك ! قال قتيبة : إن أبى كان أشتربان — يعنى رئيس الجمالين — وأبو يزيد كان بستان بان .

وقال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان يوماً: لو كان رجل من ذهب لَكُنْتُهُ ! قال : وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدنى أَمَةٌ بينى وبين آدم ماخلا هاجر! فقال : لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب .

ومات ابن لعبيد الله بن الحسن فعزاه صالح المرى فقال : إن كانت مصيبتك فى ابنك أحدثت لك عظة فى نفسك فمصيبتك فى نفسك أعظم من مصيبتك فى ميتك . وعزّى عَمْرو بن عبيد أخاه عَلَى ابن مات له . فقال : ذهب أبوك وهو أصلك وذهب ابنك وهو فرعك فما حالُ الباقى بعد ذهاب أصله وفرعه ؟ وكان يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ يقول: إحذفوا الحديث كما يحذفه مُسلم بن قتيبة. وقال رجل من بنى تميم لصاحب له : إصحب من يتناسى معروفه عندك و يتذكر

(١) كان بالاصول : خرقة ، وهو خطا والصواب ماأثبتناه . والحرفة نقصان الحظ ، وهى أيضا الصناعة ، والعيلة الفقر .

(٢) البطنة : كثرة الأكل

(٣) ضبعة : راغبة فى هذا الشيء .

حقوقك عليك . وعذل عاذلٌ شعيب بن زياد على شرب النبيذ ، فقال: لا أتركه حتى يكون شر عملي . وقال المأمون : أشرب به ما استَبْشعته حتى إذا سهل عليك فاتركه .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا كَتب أحدُكم فَلْيُتْرِبْ كِتابه فإن التراب مباركٌ وهو أنجح للحاجة » ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل في الشمس فقال : « تحول الى الظل فإنه مبارك »

وقال المُغِيْرَةُ بنُ شُعْبَةَ : لايزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب . وكان يقال : ترك الضحك من العجب أعجب من الضحك من غير العجب .

وقدم سعيدُ بْنُ العاصِ على مُعاوية فقال: كيف تركت أبا عبد الملك ؟ (١) قال : مُنفذاً لأمرك ضابطاً لعملك . فقال مُعاوية : إنما هو كصاحب الخبزة كُفى إنضاجها فأكلها ! فقال سعيد : كلا إنه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاماً كوقع النبل سهماً لك وسهماً عليك ! قال : فما باعد بينك و بينه ؟ قال : خفته على شرفي وخافني على مثله . قال : فأي شيء كان له عندك في ذلك ؟ قال : أسوءه حاضراً وأسره غائباً . قال : يا أبا عثمان ، تركتنا في هذه الحروب ! قال : نعم ، تحملتُ الثقل وكُفيتُ الحزم وكنتُ قريبا لو دُعيتُ لأجبت ولو أُمرت لأطعت !

(١) هو مروان بن الحكم : ولد لسنتين من الهجرة . وكان من عثمان بن عفان بمكان الوزير والمستشار، وكانت تصرفاته سببا في الفتنة التي قتل فيها عثمان والتي جرت على الاسلام من المصائب والنكبات ماهو معروف ومدون في بطون التواريخ . ولاه عبد الله بن عامر رستاقا من رساتيق اردشيرخرة ، ثم ولاه معاوية البحرين ثم المدينة مرتين . ولما مات معاويه بن يزيد بايع أهل الشام مروان بالخلافة. وبايع لعبد الله بن الزبير اهل البصرة كما اجتمعت له العراق والحجاز واليمن ومصر وبايعه سرا الضحاك بن قيس الفهرى بالشام والنعمان بن بشير بحمص وزفر بن الحارث الكلابى بقنسرين، ولولا ان مروان بن الحكم نازعه الامر واجتمعت عليه بنو أمية لما تم الامر لمروان ولكن صار الناس في الشام فرقتين تؤيد منهم اليمانية مروان وتؤيد القيسية الضحاك بن قيس مبايعين لابن الزبير . واقتتل الفريقان بمرج راهط فقهر مروان الضحاك وقتله . وكانت ولايه مروان بالغلب عشرة أشهر . وكان قد تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية لخوفه من خالد ، فاتفق أن شتم مروان خالداً شتما قبيحاً تناول به أمه فلما بلغها ذلك صبرت عليه حتى كان معها وتركته إلى أن نام فوضعت على وجهه وسادة وقعدت عليها هي وجواريها حتى مات سنة ٦٥ هـ

قال معاوية : يا أهل الشام هؤلاء قومى وهذا كلامهم .

قال : وكان الحجاج يستثقل زِيَادَ بْنَ عَمْرٍو الْعَتَكِيَّ (١) فلما أتى الوفد على الحجاج عند عبد الملك ــ والحجاج حاضر ــ قال زياد : يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومةُ لائم . فلم يكن بعد ذلك أحد أخف على قلبه منه .

وقال شَبيب بن شيبة لمسلم بن قُتيبة : والله ما أدرى أي يوميك أشرف : أيوم ظفرك أم يوم عفوك ! (٢) وقال غلام لأبيه ــ وقد قال : لست لى ابنا ــ : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ولأنت أشد تحصينا لأمى من أبيك لأمك .

وكتب عبد الله بن معاوية (٣) بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين الى رجل من إخوانه :

أما بعد فقد عاقنى الشكُّ فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، إبتدأتنى بلطف من غير خِبرة ثم أعقبتنى جفاءً من غير ذنب ، فأَطمَعنى أوَّلُك فى إخائك وآيسنى آخرك فى وفائك ، فلا أنا فى اليوم مجمعٌ لك اطِّراحاً ، ولا أنا فى غدٍ وانتظاره منك على ثقة ، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك

(١) هو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى الأزدى . كان من الفرسان الأنجاد والقالة الامجاد والكرام الاجواد . وقد أورد المبرد فى كامله هذه المقالة فقال : كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد ابن عمرو العتكى فلما أتت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد ابن عمرو : ياأمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لاينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لاتأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه . ولزياد يقول ابن قيس الرقيات ويعاتب المهلب بن أبى صفرة :

أبلغا جاري المهلب عنى ... كل جار مفارق لامحاله
إن جاراتك اللواتى بتكريت ... لتنبيذ رحلهن مقاله
لو تعلقن من زياد بن عمرو ... بحبال اما ذممن حباله
عتكى كأنه ضوء بدر ... يحمد الناس قوله وفعاله
ولقد غالنى يزيد وكانت ... فى يزيد خيانة ومغاله .
غلبت امه اباه عليه ... فهو كالكابلى أشبه خاله

(٢) راجع ص ٢٩٨ من الجزء الأول

(٣) مضت ترجمته فى ص ٢٢٨ من الجزء الأول

فيك ، فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف ، والسلام .

كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى أبى مسلم يستعطفه

وكتب إلى مسلم صاحب الدعوة من الحبس : (١)

من الأسير فى يديه بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه ، أما بعد فآتاك الله حفظ الوصية ومنحك نصيحة الرعية وألهمك عدل القضية ، فإنك مُستودع ودائع وولى صنائع ، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك ، فالودائع عارية والصنائع مَرعية ، وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها (٢) ولا بمبلوغ مداها [فاذكر القصاص واطلب الخلاص] ونبه للتفكير قلبك واتق الله ربك ، [وآثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً فإنك لاقٍ ما أسلفت وغير لاقٍ ما خلفت] (٣) وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحب أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرأفة والأمن من المخافة ، فقد أنعم الله عليك بأن فوض أمرنا اليك ، فاعرف لنا لين شكر المودة واغتفار مس الشدة والرضا بما رضيت والقناعة بما هويت ، فإن علينا من سَمك الحديد وثقله أذى شديداً مع معالجة الأغلال وقلة رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة و إيرادهم علينا الغموم وتوجيههم إلينا الهموم ، زيارتهم الحِراسة و بشارتهم الإياسة (٤) وإليك بعد الله نرفع كُرْبةَ الشكوى ونشكو شدةَ البلوى ، فمتى

(١) كان السبب فى حبس عبد الله انه لما خرج يدعو إلى نفسه ووجه إليه مروان بن محمد الجيوش فتخاذل عنه اصحابه خرج على دهش هو وإخوته قاصدين خراسان وقد ظهر بها ابومسلم فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التناء ذى مروءة ونعمة فسأله معونته فقال له أأنت إبراهيم الامام الذى يدعى له بخراسان ؟ قال : لا . قال : فلا حاجة لى في نصرتك . فخرج إلى أبى مسلم وطمع فى نصرته فأخذه ابومسلم وحبسه عنده وجعل عليه عينا يرفع إليه اخباره ، فرفع إليه انه يقول : ليس فى الأرض احق منكم باأهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم من غير ان تراجعوه فى شىء او تسألوه عنه ، والله مارضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى امر آدم عليه السلام فقالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » حتى قال لهم « إنى اعلم مالا تعلمون » ثم كتب إلى ابى مسلم هذه الرسالة . وراجع ص ٢٢٨ من الجزء الأول

(٢) بمنزور نداها : بقليل خيرها

(٣) هذه الزيادات عن الاغاني

(٤) الاياسة : اليأس

تُمل إلينا طرفاً وتولنا منك عطفاً تجد عندنا نصحاً صريحاً وودّاً صحيحاً لا يُضيع مثلُك مثلَه ولا يَنفى مثلُك أهلَه ، فارعَ حُرمة من أدركت بحرمته واعرفْ حجة من فلَجْت بحجته (١) فان الناس من حوضك رِوَاء ونحن منه ظِماء ، يمشون فى الأبراد ونحن نحجل فى الأقياد ، بعد الخير والسعة والخفض والدَّعة . والله المستعان وعليه التكلان صَريخ الأخيار (٢) مُنجى الأبرار ، ألناس من دولتنا فى رخاء ونحن منها فى بلاء حين أمن الخائفون ورجع الهاربون ، رزقنا الله منك التحنن وظاهر علينا من التمّن ، فإنك أمين مُستودَع ورائد مُستَصْنَع (٣) [وفقك الله لما ينجيك وآتاك شكر ما يبليك] (٤) والسلام ورحمة الله (٥)

قال هشام بن الكلبي : حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال : شكت بنو تغلب السنةَ إلى معاوية فقال : كيف تشكون الحاجة مع ارتجاج البكارة واختلاج المهارة ؟ ! (٦)

كتاب معاوية الى قيس بن سعد (٧)

وقال ابن الكلبى : كتب معُاوية إلى قَيْسِ بنِ سَعْدٍ : أما بعد فانك يهودى

(١) فلجت بحجته : ظفرت بسلطانه

(٢) كان بالاصول : صريخ الأخبار ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه . وصريخ الأخيار : مغيثهم ومنقذهم

(٣) فى بعض النسخ : مصطنع ، وفى بعضها : مصطفى . واللائق بمقام الكلام ما أثبتناه ليزدوج مع قوله مستودع

(٤) هذه الزيادة عن الأغانى

(٥) فلما وقف أبو مسلم على هذه الرسالة رمى بها ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا فلو خرج وملك أمره لأهلكنا . ثم دس إليه من سمه فمات رحمه الله

(٦) كان بالأصل : ارتجاع البكارة واختلاف المهارة . وهذا كلام سخيف ساقط لا معنى له والصواب ما أثبتناه . وارتجاج البكارة : عظم أسنمة النوق الأبكار من الخصب والكلأ . واختلاج المهارة : فطامها عن أمهاتها لقدرتها على الاستغناء بنفسها ولكثرة الكلأ أمامها

(٧) لما قرب يوم صفين خاف معاوية على نفسه أن يأتيه على بأهل العراق وقيس بأهل مصر فيقع بينهما ففكر فى استدراج قيس واختداعه فكتب إليه : أما بعد فانكم إن كنتم نقمتم على عثمان فى أثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو فى شتمه رجلا أو تسييره احدا أو فى استعماله الفتيان من أهله فقد علمتم أن دمه لم يحل لكم بذلك فقد ركبتم عظيما من الأمر وجئتم شيئاً إدا فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان وإن استطعت أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فبايعنا على أمرنا

ابن يهودى ، إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك و إن ظفرأبغضهما اليك قتلك ونكّل بك ، وكان أبوك وتّر قوسهَ ورمى غير غرضه فأكثر الحز وأخطأ المفصل فخذله قومه وأدركه يومه ثم مات طريداً بحوران والسلام

جواب قيس بن سعد لمعاوية

فكتب إليه قيسُ بنُ سَعْدٍ :

أما بعد فإنما أنت وثن بن وثن ، دخلت فى الإسلام كُرهاً وخرجت [منه] طوعاً لم يَقْدُم إيمانك ولم يَحدُث نِفاقُك ، وقد كان أبى وتر قوسه ورمى غرضه وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره ، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى دخلت فيه ، والسلام

وقدم وفد أهل العراق على مُعاوية وفيهم الأحنف فخرج الآذن فقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لايتكلم أحد إلا لنفسه . فلماوصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمة[1] أمير المؤمنين لأخبرته أن دَافةً دَفَّتْ[2] ونازلةً نزلت ونائبةً نابت

ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرت مابقيت ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لى سلطان وسلنى عن غير هذا ما تحب . فكتب إليه قيس : أما بعد فقد وصل إلى كتابك . . وأما ماسألتنى من مبايعتك على الطلب بدم عثمان وما عرضته على فقد فهمته وهذا أمر لى فيه نظر وفكر وليس هذا مما يعجل إلى مثله وانا كاف عنك وليس يأتيك من قبلى شىء تكرهه حتى ترى ونرى . فكتب إليه معاوية : اما بعد فقد قرأت كتابك فلم اراك تدنوفأعدك سلما ولم أرك تتباعدفأعدك حربا،اراك كحبل الجرور وليس مثلى بصانع بالخداع ولا يخدع بالمكايد ومعه عدد الرجال واعنة الخيل فان قبلت الذى عرضت عليك فلك ما اعطيتك وإن انت لم تفعل ملأت عليك مصر خيلا ورجلا والسلام . فكتب إليه قيس : اما بعد فالعجب من استسقاطك رأيى والطمع في ان تسومنى لا ابالغيرك الخروج عن طاعة اولي الناس بالأمر واقولهم للحق واهداهم سبيلا واقربهم من رسول الله وسيلة وتأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعة ابعد الناس من هذا الأمر واقولهم للزور واضلهم سبيلا وابعدهم من رسول الله وسيلة ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت إبليس ، واما قولك انك تملا على مصر خيلا ورجلا فلئن لم اشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنك لذوجد والسلام . فلما ايس منه كتب إليه مارواه الجاحظ فى الاصل ، واشاع فى اهل الشام ان قيسا بايعه فلما بلغت الاشاعة عليا عزله دون تدبر ولاتحقيق

(١) عزيمته : امره بعدم التكلم لغائب

(٢) دافة دفت : جائحةمستأصلة ظهرت وعمت

ونابتةً نبتت ، كلهم بهم حاجة الى معروف أمير المؤمنـين و بره . قال : حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد . وقال غَيلانُ بنُ خَرَشَةَ للأحنف : ما فيه بقاء العرب ؟ قال :[1] إذا تقلدوا السيوف وشدوا العمائم وركبوا الخيل ولم تأخذهم حَميَّةُ الأوغاد . قال : وما حمية الأوغاد ؟ قال : أن يعدُّوا التواهب فيما بينهم ضيما . وقال عمر: العمائم تيجانُ العرب . وقيل لأعرابى : مالك لاتضع العمامة عن رأسك؟ قال : إن شيئاً فيه السمع والبصر لحقيق بالصون . وقال على رضى الله تعالى عنه : جمال الرجل فى كُمته[2] وجمال المرأة فى خفها . وقال الأحنف : استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال . قال : وجرى ذكر رجـل عند الأحنف فاغتابوه فقال الأحنف : مالكم وماله ! يأكل رزقه وتحمل الأرض ثقله ويكفى قِرنه .

مَسلمة بن محارب قال : قال زياد لِحُرَقةَ بنت النعمان : ما كانت لذة أبيـك قالت : إدمان الشراب ومحادثة الرجال . وقال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفَارهَ[3] وتبطنا الحسناء ولبسنا اللين حتى استخشناه وأكلنا الطيِّبَ حتى أجمناه ، فما أنا اليوم إلى شىء أحوج منى إلى جليس يضع عنى مُؤنة التحفظ . وأشاروا على عبيد الله بالحقنة فتفحَّشها فقالوا : إنما يتولاها منك الطبيب ؟ فقال : أنا بالصاحب آنس . وقال معاوية بن أبى سفيان لِلنَّخَّار بن أوس العُذرى : أبغنى محدثا ؟ قال: أوَمَعِى يا أمير المؤمنين ! قال : نعم ، أستريح منه إليك ومنك إليه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مريم الحنفى : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح ! قال : فتمنعنى لذلك حقا ؟ قال : لا . قال : لا ضير إنما يأسف على الحب النساء[4] . وقال عمر لرجل هَمَّ بطلاق امرأته : لم

(١) وروى المبرد أنه قال لاتزال العرب عربا مالبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعدد الحلم ذلا ولا التواهب فيما بينها ضعة . قال المبرد : مالبست العمائم : ماحافظت على زيها ، وتقلدت السيوف يريد الامتناع من الضيم ، ولم تعدد الحلم ذلا ما عرفت موضع الحلم

(٢) الكمة : القلنسوة

(٣) الفارة : من الدواب الجيد السير ، ولا يطلق هذا الوصف إلا على البراذين والبغال والحمير ، وأما الفرس فلا يقال له الا رائع وجواد

(٤) لأن أبا مريم كان قتل زيد بن الخطاب أخا عمر في إحدي الوقائع بين المسلمين وخصومهم

تطلقها ؟ قال : لا أحبها ! قال : أوكل البيوت بنيت على الحب ! فأين الرعاية والتذمم ؟ !

وأُتى عبد الملك بن مروان برجل فقال : زُبيرى عميرى ، والله لا يحبك قلبي أبداً . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما تبكى على الحب المرأة ، ولكن عدل وإنصاف

عبد الله بن المبارك عن هِشام بن عُروة قال : نازع مَروانُ(١) ابنَ الزبير(٢) عند معاوية فرأى ابنُ الزبير أن ضِلع معاوية مع مروانَ فقال ابنُ الزبير : يا أمير المؤمنين ، إن لك حقاً وطاعة علينا وان لك بَسطة وحُرمة فينا ، فأطع الله نطعك فانه لا طاعة لك علينا إلا فى حق الله ، ولا تُطْرِق إطراق الأُفعوان فى أُصول السَّخْبَر(٣)

أبو عبيدة قال : قيل لشيخ مَرَّةً . ما بقى منك ؟ قال : يسبقنى مَن بين يدى ويلحقنى مَن خلفى وأنسى الحديث وأذكر القديم وأنعس فى الملا وأسهر فى الخلا وإذا قمت قَرُبَتِ الأرض منى وإذا قعدت تباعدت عنى . الأصمعى قال : قلت لأعرابى معه ضاجعة من شاء : لمن هذه ؟ قال : هى لله عندى .

ولما قتل عبدُ الملك بنُ مَروان مُصعبا ودخل الكوفة قال لهيثم بن الأسود النخعى : كيف رأيت الله صنع ! قال : قد صنع الله خيراً خفف الوطأة وأقل التثريب

(١) هو مروان بن الحكم

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، يكنى ابا بكر وابا خبيب . وامه اسماء بنت ابي بكر المعروفة بذات النطاقين . ولد بالمدينة بعد الهجرة بعشرين شهراً ، وقيل انه اول مولود ولد بها فى الاسلام . كان شجاعا بطلا ، وفارسا مغواراً وخطيبا بليغا ، طلب الخلافة لنفسه بعد وفاة معاوية ابن يزيد بن معاوية واستولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر وظلت هذه الأمصار في يده تسع سنين ، وكان أخوه مصعب بن الزبير واليا له على العراق فسير إليه عبد الملك الجيوش وحاربه محاربة شديدة وقتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان بعد خطوب ، ثم إن عبد الملك جهز الجيوش إلى عبد الله بقيادة الحجاج بن يوسف فناجزه الحرب وصابره القتال وحاصره بمكة ، وكان ابن الزبير قد هدم بناء الكعبة وجدده وجعل لها بابين ثم أعتصم فيها من الحجاج وجيوشه فرماه الحجاج بالنفط والنار فأحرقها ثم خرج ابن الزبير فقاتل اشد قتال واحره حتى اصابه سهم عائر فأرداه قتيلا . وكان يرمي بالبخل ويوصف بالشح وكان منحرفا عن على وآل بيت الرسول طوال ايامه . فلما مات صلب الحجاج جثته اياما وآلى على نفسه ان لا ينزلها حتى تشفع فيها امه اسماء . واسماء تأبى ان تذهب إليه . فمرت يوماً على خشبته وقالت : أما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟ فعد الحجاج ذلك طلبا منها فأنزله وسلمه إليها . وكان ذلك فى سنة ٧٤ هـ

(٣) الأفعوان : ذكر الافاعى . والسخبر : شجر تألفه الافاعى

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم قول : لا أدرى ، أصيبت مقاتله . وكانوا يستحبون أن لا يجيبوا فى كل ما سئلوا عنه . وقال ابن عمر : من قال عند مالا يدرى : لا أدرى فقد أحرز نصف العلم . وقال ابن عباس : إن لكل داخل دهشة فآنسوه بالتحية .

واعتذر رجل إلى مُسلم بن قتَيْبَةَ فقال مُسلم : لا يدعوَنَّك أمر قد تخلصت منه إلى الدخول فى أمر لعلك لا تخلص منه . وكان يقال : دعوا المعاذر فان أكثرها مفاجر . وقال ابراهيم النخعى لعبد الله بن عون : تجنب الاعتذار فإن الاعتذار يخالطه الكذب . واعتذر رجل الى أحمد بن أبى خالد فقال لأبى عباد : ما تقول فى هذا ؟ قال : يوهب له جُرمه ويُضرب على عُذره أربعمائة ، وقد قال الأول : عذره أعظم من ذنبه . وقيل لابن عباس : وُلد عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمى باسمه ، فقال ابن عباس : أى حق رُفع وأى باطل وُضع !

وقال عبدُ الله بنُ جعفر لابنته : يا بنية ، إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك والمعاتبة فانها تورث الضغينة ، وعليك بالزينة والطيب ، واعلمى أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء .

ولما نازع ابنَ الزبير مَروانُ عند معاوية قال ابنُ الزبير : يا معاوية لا تدع مروانَ يرمى جماهير قريش بمشَاقِصِهِ ويضرب صَفاتهم بمعاوله [١] ولولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فَراشة وأقل فى نفوسنا من خَشاشة [٢] ولئن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك طبقاً تخافه ! قال معاوية : إن يطلب هذا الأمر فقد طمع فيه من هو دونه [٣] وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه [٤] وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله اليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ولا يذكركم عند مُلمة ، يسومكم خَسفاً

(١) المشاقص : الحجارة الملس الصغار . صفاتهم : صخرتهم الصماء

(٢) الخشاشة : الحشرة

(٣) يعرض بعبد الله بن الزبير

(٤) يريد يزيد بن معاوية

ويوردكم تلفا. فقال ابن الزبير: إذاً والله نُطلق عِقال الحرب بكتائب تمور كَرِجْلِ الجراد[١] حافاتها الأسل[٢] لها دوى كدوى الريح تتبع غِطريفاً[٣] من قريش لم تكن أمه براعية ثلة[٤]. قال معاوية: أنا ابن هند، أطلقتُ عِقال الحرب فأكلت ذروة السنام وشربت عُنفوان المكرع وليس للآكل إلا الفلذة ولا للشارب إلا الرنق[٥].

بكر بن الاسود قال: قال الحسن بن على لحبيب بن مَسلمة: رُبَّ مسير لك في غير طاعة الله! قال: أما مَسيرى إلى أبيك فلا! قال: بلى، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة، فلعمرى لئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك فى دينك، ولو انك إن فعلت شرا قلت خيرا كنت كما قال الله تعالى «خَلَطُوا عَمَلاً صالحاً وآخرَ سَيئاً» ولكنك كما قال الله تعالى «كلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ مَا كانُوا يَكْسِبُونَ»

قال أبو الحسن: سمعت أعرابياً فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول: أما بعد فإنا أبناء سبيل وأنْضاءُ طريق وفَل سنة[٦] تصدقوا علينا فانه لاقليل مع الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت، أما والله إنا لنقوم هذا المقام وفى الصدر حزازة وفى القلب غُصة.

وقال الأحنف بخراسان: يابنى تميم، تحابُّوا تجتمع كلمتكم وتباذلوا تعتدل أموركم وابدأوا بجهاد بُطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تَغُلوا يسلم لكم جهادكم. ومن كلام الأحنف السائر فى أيدى الناس: إلزم الصحة يلزمك العمل.

وقال خالدُ بنُ صفوان، وسئل عن الكوفة والبصرة: نحن منابتنا قصب

(١) رجل الجراد: جماعة الجراد
(٢) الأسل: الرماح
(٣) الغطريف: الكريم ويريد به نفسه
(٤) الثلة: العدد القليل من الغنم يعرض بأم مروان بن الحكم
(٥) الرنق: الماء المشوب
(٦) فل سنة: بقية سنة مجدبة

وأنهارنا عَجب وسماؤنا رطب وأرضنا ذهب . وقال الأحنف : نحن أبعد منكم سَرية وأعظم منكم تَجرية وأكثر منكم ذرية وأغذى منكم برية . وقال أبو بكر الهُذلي : نحن أكثر منكم سَاجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهراً عجاجا . وكتب صاحب لأبي بكر الهذلي إلى رجل يُعزيه عن أخيه : أوصيك بتقوى الله وحده ، فإنه خَلقك وحده ويَبعثك يوم القيامة وحده ، والعجب كيف يُعَزِّى ميتٌ ميتاً عن ميتٍ والسلام .

وقال رجل لابن عباس : أيما أحب إليك ، رجل قليل الذنوب قليل العمل أو رجل كثير الذنوب كثير العمل ؟ قال : ما أعدل بالسلامة شيئاً (١) . وقال آخر : حماقة صاحبي عليّ أشد ضرراً منها عليه . وقال عَبدُ الرَّحمن بنُ أبي ليلى :(٢) لا أُماري أخي ، فإما أن أكذبه وإما أن أُغضبه . واحتد على ابن أبي ليلى رجل من جلسائه فقال ابن أبي ليلى : إهد إلينا من هذا ما شئت! فلما مات ابن أبي ليلى وعَمرُو بنُ عُبيد رحمهما الله ، قال أبو جعفر المنصور : ما بقي أحدٌ يُستحيي منه . ولما مات عبدُ الله بنُ عَامرٍ قال معاوية : رحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن يفاخر مَسْلَمَةَ ابنُ مُحارب ؟ ! وقال زيادٌ : ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت عقله فيه .

أبو معشرُ (٣) قال : لما بلغ عَبدَ اللهِ بنَ الزُّبير قتلُ عبد الملك بن مروان

(١) قد فضل صاحب الذنوب القليلة والعمل القليل

(٢) هو عبد الرحمن بن ابي ليلى من ولد احيحه بن الجلاح . كان من فضلاء الفقهاء ومن اكابر اهل الفتوى ومن خاصة اصحاب الراى وكان حليما سمحا كريما ولي القضاء لبنى امية ثم رأى أبو جعفر مافيه من المزايا والصفات الجيدة فولاه القضاء . وكان بينه وبين ابن شبرمة مايكون بين المتعاصرين من اهل الصناعة الواحدة فكان يدفعه عن نسبه إلى ابن الجلاح وكان يقول فيه :

وكيف ترجى لفصل القضاء ولم تصب الحكم فى نفسكا
وتزعم انك لابن الجلاح وهيهات دعواك من اصلكا

مات وهو على القضاء سنة ١٤٨ هـ

(٣) هو ابو معشر نجيح ، كان مولى لام موسى بنت منصور الحميرية ، وكان من المحدثين الرواة مات ببغداد سنة ١٧٠ هـ ، وراجع ص ٣٠٩ من الجزء الاول .

عَمرو بنَ سعيدٍ الأشدق قام خطيباً فقال : إن أبا ذِبَّان قتل لَطِيمَ الشيطان (١) «كذَلِكَ نوَلِّي بعضَ الظَّالمينَ بعضاً بما كانوا يكسِبونَ » ولما جاءه قتل أخيه مُصعَبِ بن الزُّبير قام خطيبا بعد خطبته الأولى فقال : إن مُصعَباً قدم أيْرَهُ وأخر خيره وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك حَلْبَةَ أهل الشام حتى غشيته فى داره ، ولئن هلك مُصعَبٌ إن فى آل الزبير خلفا منه . ولما قدم ابنُ الزبير بفتح أفريقية أمره عثمان فقام خطيبا ، فلما فرغ من كلامه قال عثمان : أيها الناس إنكحوا النساء على آبائهن وأخوتهن فانى لم أر فى ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أشبه به من هذا (٢)

وسمع عمرُ بنُ الخطَّاب رضى الله تعالى عنه أعرابيا يقول : أللهم اغفر لأم أوْفَى ! قال : ومن أم أوفى ؟ قال : إمرأتى وإنها لحمقاء مِرغامه أكول ملقامه لاتبقى لها حامه (٣) غير أنها حسناء فلا تُفرَك وأم غلمان فلا تترك . ودفعوا إلى أعرابية عِلكا (٤) لتمضغه فلم تفعل ، فقيل لها فى ذلك فقالت : ما فيه إلا تعب الأضراس وخيبة الحنجره .

وكان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم (٥) حين ورد عليه كتاب المنصور فى

(١) ابو ذبان هو عبد الملك بن مروان وكان خصومه ينبذونه بهذه الكنية زعموا انه كان ابخر شديد البخر حتى ما كان الذباب يمر بفيه إلا مات . ولطيم الشيطان هو عمرو بن سعيد الاشدق وكان خصومه ينبذونه بهذا اللقب زعموا انه اصيب بلقوة اعوج لها شدقه ومن هنا لقبوه ايضا بالاشدق ، اما انصاره فيقولون إنما لقب بالاشدق لانه كان خطيباً مفوها . قال الشاعر يصفه :

تشادق حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب لاابالك اشدق

(٢) انظر صفحة ٣٠٩ من الجزء الأول

(٣) مرغامة : كثيرة المغاضبة . ملقامة : كثيرة اللقم وهو الاكل . وكان بالأصل : ا كول قامه ، ولا معنى لها هنا . لانبقى لها حامة : من يحامى عنها ويدفع عنها العوادى .

(٤) العلك ما يمضغ كصمغ اللبان ونحوه

(٥) وفى رواية المسعودى : أن ابا مسلم اراد المسير إلى ابى جعفر فقال له مالك بن الهيثم لاتفعل وقال فى مكان آخر بعد قتل ابي مسلم : ودعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة ابى مسلم فقال له: استشارك ابو مسلم بالمسير إلى فنهيته ؟ قال : نعم ! قال : ولم ؟ قال : سمعت اخاك إبراهيم الامام يحدث عن ابيه قال : لا يزال المرء يزداد فى عقله إذا محض النصيحة لمن شاوره ، فكنت له كذلك وانا الان لك كذلك .

القدوم عليه بذلك فلم يشر عليه ، فلما قتل أبو مسلم أذكره ذلك فقال: ان أخاك ابراهيم الإمام حدث عن أبيه محمد بن علي أنه قال: لا يزال الرجل يزاد فى رأيه اذا نصح لمن استشاره ، فكنت له يومئذ كذلك وأنا اليوم لك كذلك .

وقال الحسن : ألتقدير نصف الكسب والتودد نصف العقل وحُسن طلب الحاجة نصف العلم . وقال رجل لِعَمْرو بن عُبيدٍ : انى لأرحمك مما يقول الناس فيك ! قال : أفتسمعنى أقول فيهم شيئاً ؟ قال : لا . قال: إياهم فارحم .

ومدح نصيب أبو محجن (١) عبد الله بن جعفر فأجزل له من كل صنف . فقيل له : أتصنع هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ فقال: أما والله لئن كان جلده أسود فإن ثناءه لأبيض وان شِعره لعربى ، وقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وانما أخذ رواحل تُنضى وثياباً تَبلى ومالا يفنى ، وأعطى مديحا يُروى وثناء يَبقى (٢) .

وقف أعرابى فى بعض المواسم فقال : أللهم إن لك علىّ حقوقاً فتصدق بها علىّ وللناس تَبِعات قِبلى فتحملها عنى ، وقد أوجبتَ لكل ضيف قِرى وأنا ضيفك فاجعل قِرَاىَ فى هذه الليلة الجنة . ووقف أعرابى فسأل قوما فقالوا له : عليك بالصيارفة ! قال: هناك والله قرارة اللؤم .

وقال مَسْلَمَةُ : ثلاثة لا أعذرهم : رجل أحْفَى شعره (٣) ثم أعفاه ، ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ، ورجل كان عنده سرارى فتزوج حرة .

أبو اسحق قال: قال [أبو] حُذيفة : كُنْ فى الفتنة كابن لبُونٍ : لاَ ظهر فيُركب ولا لبن فيُحلب (٤) . وقال الشاعر — وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا : —

---

(١) كان بالاصل : ابو الحجناء ، وقد نبهنا فى الجزء الاول إلى خطأ هذه الكنية والصواب ما أثبتناه

(٢) وفى رواية ابى الفرج صاحب الاغانى : أتى النصيب عبد الله بن جعفر فحمله واعطاه وكساه . فقال له قائل : يا ابا جعفر ، اعطيت هذا العبد الاسود هذه العطايا ! فقال: والله لئن كان اسود إن ثناه لابيض وإن شعره لعربى ، ولقد استحق بما قال اكثر مما نال ، وما ذاك ! إنما هى رواحل تنضى وثياب تبلى ودراهم تفنى ، وثناء يبقى ، ومدائح تروى

(٣) احفى شعره : بالغ فى حلقه

(٤) ابن اللبون : ولد الناقة فى عامه الثانى

أَلَمْ تَرَى أَنَّ النَّابَ تُحْلَبُ عَلْبَةً   وَيُتْرَكُ ثِلبٌ لاَ ضِرَابٌ وَلاَ ظَهرٌ(١)

عُتبة بن هرون قال : قلت لِرُؤْبَةَ : كيف خلفت ما وراءك ؟ قال : ألتراب يابس والمرعى عابس .

وقال معاوية بن أبي سفيان لابن عباس : إني لأعلم أنك واعظ نفسه ولكن الصدور إذا لم ينفث جَوِى(٢)

وقيل لعُبيد الله بن عَبد الله بن عُتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه ؟ قال: لابد للمصدور من أن يَنفث(٣)

قال أبو الذيال شُويس : أنا والله العربيُّ لا أرفع الجربان ولا ألبس التبَّان ولا أحسن الرطانة ، ولأنا أرسى من حجر وما قرقني إلا الكرم .(٤)

---

(١) الناب : الناقة المسنة . والعلبة التي تعصب حتى تحلب . والثلب : البعير لايصلح للضراب ولا للركوب

(٢) جوي : اصابه الجوى وهو حرقة الوجد وشدته

(٣) وعن ابن شهاب قال : جئت عبيد الله يوما في منزله فوجدته ينفخ وهومغتاظ فقلت له : مالك؟ قال : جئت عمر بن عبد العزيز فسلمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان فلم يردا على فقلت :

فما تراب الارض منها خلقنا   وفيها المعاد والمصير إلي الحشر
ولا تانفا ان تسالا وتسلما   فما حشى الانسان شرا من الكبر
فلو شئت ان الفى عدوا وطاعنا   لالفيته او قال عندي في السر
فان أنا لم آمر ولم انه عنكما   ضحكت له حتى يلج ويستشري

قال : فقلت له : رحمك الله ، أتقول الشعر في فضلك ونسكك ؟ قال : إن المصدور إذا نفث برأ

(٤) كان في الاصول : قال أبو الذيال قال شويس ، كأنهما رجلان متغايران ، والصحيح أنه رجل واحد . قال ابو عبيد البكرى : قال ابو الذيال شويس الاعرابي العدوى : أنا ابن التاريخ ، أنا والله العربي المحض ، لا أرفع الجربان ولا ألبس التبان ولا احسن الرطانة وإني لأرسب من رصاصة وما قرقني إلا الكرم . قال أبو عبيد : قوله : انا ابن التاريخ يعني انه ولد سنة الهجرة ، ويريد بجملة قوله انه اعرابي بدوى محض من أهل الوبر لامن اهل المدن ولا من اهل الامصار التي تكون على الارياف والانهار فهم يتعلمون فيها السباحة ، وانه لم يجاور العجم فيحسن رطانتهم . والاعرابي إذا قال : قدمت الريف فانما يريد الحضر ، واما قوله : وما قرقني إلا الكرم فانه يعني ان اباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا في اهله فجاء ولده ضاويا ومنه الحديث « اغتربوا لاتضووا » اي انكحوا في الغرائب . قلت : ومعنى آخر قاله ابن منظور وهو : ماقرقني إلا الكرم ، اى إنما جئت ضاويا لكرم آبائي وسخائهم بطعامهم عن بطونهم . والجربان : القميص ههنا . والتبان : سراويل صغير يتسربل به الملاحون والمصارعون

أبو الحسن وغيره قال : قال عمرو بن عُتبة بن أبى سُفيان للوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو بالنَّجراء من أرض حِمص : يا أمير المؤمنين ، إنك تستنطقنى بالأُنس بك وأ كف عن ذلك بالهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ، أفأسكت مطيعا أم أقول مشفقا ؟ قال : كل ذلك مقبول منك ولله فينا عِلْمُ غيبٍ نحن صائرون إليه ، ونعود فنقول . قال: فقتل بعد أيام .

وكان أيوب السِّخْتيَانى يقول : لا يَعرف الرجل خطأ مُعلمه حتى يسمع الاختلاف. قال بعضهم : كنت أجالس ابن صُعَيْرٍ فى المسجد (١) فجلست إليه يوما فسألته عن شىء من الفقه فقال : ألك بهذا حاجة ؟ عليك بذلك . وأشار بذلك إلى سعيد ابن المسيب ، فجلست إليه لا أظن أن عالما غيره ، ثم تحولت إلى عُروة (٢) ففتقت به ثَبَجَ بحرٍ (٣) قل: وقلت لعثمان البَرِّى : دلنى على باب الفقه ! قال: إسمع الاختلاف

وقيل لأعرابى : عند من تحب أن يكون طعامك ؟ قال : عند أم صبى راضع أو ابن سبيل شاسع أو كبير جائع أو ذى رحم قاطع .

وقال بعضهم : إذا اتسعت المقدُرة نقصت الشهوة . قال : قلت : فمن أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته و بعدت همته وقويت شهوته وضاقت مقدُرته . وذكر عند عائشة الشرف فقالت : كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به .

ودخل رجل على أبى جعفر فقال له : إتق الله ! فأنكر وجهه فقال: يا أمير المؤمنين عليكم نزلت ولكم قيلت وإليكم رُدت .

وقال رجل عند مَسلمة : ما استرحنا من حائك كندة (٤) حتى جاءنا هذا

(١) كان بالاصول : ابن صعير في النسب ، وهو خطأ والصواب ماأثبتاه . وابن صعير هو عقبة ابن صعير كان من المحدثين والرواة

(٢) هو عروة بن الزبير

(٣) ثبج البحر : امواجه

(٤) حائك كندة : يريد به عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث

الْمَزُونِي[١] فقال مَسْلَمَةُ : أتقول هذا لرجل سار اليه فريقاً قريش ؟ — يعني نفسه والعباسَ بنَ الوَليدِ [٢] — : يزيد بن المهلب حاول عظيما ومات كريماً .

عبدُ اللهِ بنُ الحسَنِ قال : قال عليٌّ بنُ أبي طالب رضى الله تعالى عنه : خُصِصْنا بخمس : فصاحة وصباحة وسماحة ونَجدَة وحظوة — يعنى عند النساء .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : جُبِلَتِ القلوبُ على حُب مَن أحسن اليها وبُغض من أساء إليها .

وقال الأصمعي : كُتِب كتابُ حكمة فبقيت منه بقية ، فقالوا : ما نكتب فيه ؟ فقال : أكتبوا : يُسْأَلُ عن كل صناعة أهلها .

وقال شَبِيْبُ بنُ شيْبة للمهدى : إن الله لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد أخوف لله منك .

---

(١) المزونى : يريد به يزيد بن المهلب

(٢) يريد أن فريقى قريش سارا الى يزيد ممثلين فيه يعنى فى مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد لقتاله ، وهذا غاية الفخر له

والعباس بن الوليد بن عبد الملك كان من أبطال بنى أمية وشجعانهم وكان يلقب « فارس بنى أمية » وكان امرأ صدق لم يكن فى بنى أمية مثله وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز فى عرفان الحق وانكار المنكر . وكانت أمه رومية . وكان يسامى عمه مسلمة بن عبد الملك فى مضاء العزيمة ونباهة الذكر ، لازمه فى كثير من حروبه ووقائعه وفتوحاته وكان كثيرا مايقود الصوائف والشواتي إلى ارض الروم وله وقائع مشهورة فى الغرب وفى افريقية . وقد بالغ فى تقليد عمر بن عبد العزيز حتى منع الشعراء الجوائز والاعطيات فرموه بالبخل ، مدحه ابن هرمة فلم يثبه فامسك الشعراء عن مدحه زمنا فقال : ما بال الشعراء تمدح اهل بيتى اجمع ولا تمدحنى ! فبلغ ذلك ابن هرمة فقال:

ومعجب بمديح الشعر يمنعه   من المديح ثواب المدح والشفق
يا آبى المدح من قول يحبرة   ذونيقة من حوانى شعره انق
انك والمدح كالعذراء يعجبها   مس الرجال ويثنى قلبها الفرق

ولما ظهر من الوليد بن يزيد ما ظهر من لهوه وانهماكه فى اللذات مشى بنو امية بعضهم الى بعض فى شان خلعه وكلموا العباس بن الوليد فى ذلك فقال لهم : اظن ان الله قد اذن فى هلاككم ثم انشد:

إنى أعيذكم بالله من فتن   مثل الجبال تسامي ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم   فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم   إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم   فثم لا فدية تغنى ولا جزع

مات فى اوائل عهد مروان بن محمد

قال يَحيَى بنُ أَكْثَمْ :[١] سياسةُ القضاء أشد من القضاء ، وقال : إنَّ مِن إهانة العلم أن تُجارى فيه كلَّ مَن جاراك .

وحَمَّلَ رَقَبَةُ بنُ مَصْقَلَةَ من خُراسان رجلاً إلى أمه خمسمائة درهم فأبى الرجل أن يدفعها اليها حتى تكون معها البينة على أنها أُمه ! فقالت لخادم لها : إذهبى حتى تأتينا ببعض من يعرفنا ! فلما أتاها الرجل برزت وقالت : الحمد لله أشكو الى الله الذى أُبرزنى وشهر بالفاقة أهلى ! فلما سمع كلامها قال : أشهد أنك أُمُّهُ ! فردى الخادم ولا حاجة بنا الى أن تجىء البينة .

وكان الحسن يقول فى خطبة النكاح : بحمد الله والثناء عليه ، أما بعد فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المنقطعةَ والأنسابَ المتفرقةَ وجعل ذلك فى سُنةٍ من دينه ومنهاج واضح من أمره ، وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة

عامر بن سعيد قال : سمعت الزُّبيرَ [٢] يعزى عبدَ الرَّحمن [٣] على بعض

(١) هو يحيى بن أكثم ، من ولد أكثم بن صيفى حكيم العرب . كان احد اعلام الدنيا علما وفضلا ورياسة وسياسة وبارع تدبير ، وكان مع هذا اديباً جامعاً وكاتباً بليغاً وخطيبا مفوها وشاعراً مجيداً وذا رأى محكما . ولاه المأمون رئاسة القضاء وكان لايكاد يصبر عنه . وما كان وزراء الدولة يعملون شيئا فى تدبير الشؤون وتصريف الامور إلا بعد مطالعته . ولما حضر المأمون إلى مصر سنة ٢١٥ احضره معه وولاه قضاء مصر مادام فيها فجلس فيها للقضاء ثلاثة ايام ثم خرج معه إلى بغداد . وتروى عنه أخبار مع الاحداث لاندرى مبلغها الصحة . كان مولده سنة ١٥٩ وتوفى بالربذة سنة ٢٤٢ هـ

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد الاسدى ، كان من اكابر صحابة رسول الله واحد العشرة الكرام واحد اصحاب الشورى ، وهو ابن عمة النبى وحواريه . وكان من الابطال الشجعان والفرسان المغاوير شهد مع رسول الله المشاهد والفتوح وابلى فيها بلاء حسنا ، وحضر إلى مصر مددا لعمرو بن العاص وعلى يديه كان الفتح الاول . وكان ممن حرض عائشة على الخروج على علىّ وكان من ذلك حرب الجمل ، غير ان عليا لما واجهه اقنعه بخطئه فاقتنع وترك الامر وقفل راجعاً إلى المدينة فلما كان بوادى السباع نزل فنام فجاء عمرو بن جرموز فقتله وذلك سنة ٣٦ هـ عن ٦٤ عاماً . ومن اولاد عبد الله ومصعب وعروة

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف الزهرى . كان من اجلاء الصحابة واحد العشرة الكرام واحد اصحاب الشورى وكان من الفرسان الشجعان شهد المشاهد مع رسول الله وابلى فيها بلاء حسنا . كان مولده بعد الفيل بعشر سنين ، وكان ذا مال كثير حتى انه لما حضرته الوفاة أعتق فى يوم واحد ثلاثين عبداً واوصى ان يصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان وقسم ميراثه على ستة عشر سهما فبلغ نصيب السهم الواحد ثمانين الف درهم . وكانت وفاته سنة ٣٢ هـ

نسائه فقال وهو قائم على قبرها : لا يَصْفِرِ رَبْعُكَ[١] ولا يُوحِشْ بيتُكَ ولا يَضيع أجرك ، رحم الله متوفاك وأحسن الخلافة عليك .

قال عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : خير صِناعات العرب أبياتٌ يقدمها الرجل بين يدى حاجته ، يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم

وَلِيمَ ابنُ الزُّبير[٢] على طول خطبته عشية عَرفةَ فقال : أنا قائم وهم جلوس وأتكلم وهم سكوت ، ويضجرون ! ؟

وقال موسى بن يحيى : كان يحيى بن خالد[٣] يقول : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الكتابُ يدل على مقدار عقل كاتبه والرسولُ على مقدار عقل مرسله والهديةُ على مقدار مهديها . وذكر أعرابى أميراً فقال : يقضى بالعَشْوَه[٤] ويطيل النشوه ويقبل الرِّشوه .

---

(١) لايصفر ربعك : لايخلو منزلك من اهله

(٢) هو عبد الله بن الزبير . تقدمت ترجمته فى ص ٧١ من هذا الجزء

(٣) هو يحيى بن خالد البرمكى . كان رجل الدولة العباسية عقلا ورأيا ونبلا ، وهو الذى ربى هرون الرشيد ونشأه وخرجه وكان هرون يقول له : ياأبى . ولما استخلف الرشيد دعا به وقال له : ياأبى انت الذي اجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر . يعنى جعله رئيساً للوزراء والكتاب إليه إصدار أمور الدولة وإيرادها وسياسة شؤونها وتدبير أحكامها وضبط اطرافها . وكان مع هذا كاتبا بليغا وخطيبا مصقعا وكريما جوادا . ومن كلامه لولده : إكتبوا أحسن ماتسمعون واحفظوا احسن ماتكتبون وتحدثوا باحسن ماتحفظون . وحج الرشيد ومعه الامين والمامون وحج معه يحيى بن خالد ومعه الفضل وجعفر ابناه فلما صاروا بمكة جلس الرشيد ومعه يحيى واعطى الناس ثم جلس الامين ومعه الفضل فاعطى الناس ثم جلس المامون ومعه جعفر فاعطى الناس . فقال فى ذلك محمد بن مناذر :

اتانا بنو الاملاك من آل برمك … فياطيب اخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة فى كل عام إلى العدى … واخرى إلى البيت العتيق المطر
إذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت … بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى … بمكة ماحجوا ثلاثة اقمر
فما خلقت إلا لجود اكفهم … واقدامهم إلا لاعواد منبر

ثم غضب الرشيد على البرامكة فنكبهم النكبة المشهورة ومات يحيى فى محبسه سنة ١٩٠ هـ

(٤) يقضى بالعشوة : يعنى يتخبط فى قضائه ويحكم على غير هدى

وقال يَزيدُ بنُ الوليد : إن النَّشوة تحل العقدة وتُطلق الحبوة . وقال : إياكم والغِناء فإنه مفتاح الزنا .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إذا توجه أحدكم فى وجه ثلاث مرات فلم يُصب خيراً فَلْيَدَعْهُ .

قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه . لاتكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغى الزيادة فيما بَقِى ويَنهى ولا يَنتهى ويأمر الناس بما لا يأتى ، يُحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويُبغض المسيئين وهو منهم ويكره الموت لكثرة ذنوبه لا يدعها فى طول حياته .

قال أعرابى : خرجت حيث انحدرت أيدى النجوم وشالت أرجلها ، فلم أزل أصدع الليل حتى انصدع لى الفجر . وسألت أعرابياً عن مسافة ما بين بلدين فقال : عُمر ليلة وأديم يوم . وقال آخر : سواد ليلة أو بياض يوم . وقال بعض الحكماء : لا يضرك حب امرأة لا تعرفها .

وقال رجل لأبى الدَّرداء : فلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ومحمل خفيف . وسرق مُزَبِّدٌ(١) نافجة مسك فقيل له : إن كل من غَلَّ يأتى يوم القيامة يحمله على عنقه ! قال : إذًا والله أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل . قال : ومن أبخال البخل ترك رد السلام . قال ابن عُمرٍ : لعمرى إنى لأرى حق رجع جواب الكتاب كرد السلام . وجاء رجل إلى سليمان فقال : يا أبا عبد الله ، فلان يقرأ عليك السلام ! فقال : أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانة فى عنقك . قال مُثَنّى بنُ زُهَيرٍ(٢) لرجل : إحتفظ بكتابى حتى توصله الى أهلى ، فمن العجب أن الكتاب مُلَقًّى والسكران موقى(٣) . وكان عبدالملك بن حجاج يقول : لأنا للعاقل المُدْبِرِ أرجَى من

(١) هو مزبد المدنى صاحب النوادر والفكاهات . راجع ترجمته واحاديثه المضحكة فى كتابنا « ادب الجاحظ »

(٢) هو مثنى بن زهير صاحب الحمام الزاجل وقد ذكر له الجاحظ فى كتاب الحيوان اخبارا فى قيافة الحمام هى العجب العاجب .

(٣) كان بالاصول : مؤتى ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه

الأحمق المُقبل . قال : وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه ربّما أراد أن ينفعك فضرك .
وكتب الحجاج الى عامل له بفارس : إبعث إليَّ بعسل من عسل خُلّار من النحل الأبكار من الدستفشار الذى لم تمسه النار . وقال الشاعر :(١)

وَمَا المَرْءُ إلاَّ حَيْثُ يجْعَلُ نفسَــهُ فَفِي صَالِحِ الأَخْلَاقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ (٢)

ونظر أبو الحارث جُمّين(٣) إلى برذون يُسْتَقَى عليه الماء فقال : وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ، لو أن هذا البرذون هَمْلَجَ ما فُعل به هذا .

عِمْرَانُ بْنُ هداب قال : قال مُسْلِمُ بنُ قُتَيْبَةَ : رَبُّ المعروف أشــد من ابتدائه(٤) . وقال محمدُ بنُ وَاسعٍ : ألاتقاء على العمل أشد من العمل . وقال يحيى ابنُ أكثم : سياسة القضاء أشد من القضاء . وقال محمد بن محمد الحمراني : من التوقى

---

(١) قال الشاعر : هو منقر بن فروة المنقري ، وبعد هذا البيت يقول :

وإن خفت من امر فواتا فوله سواك وعن دار الاذى فتحول

(٢) الرواية : ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل .

(٣) هو ابو الحارث جمين المدني ، كان من اصحاب النوادر والفكاهات كثير المزح حتى ليقلب الجد هزلا فى صورة تأخذ بمجامع القلوب . وقد زعم الفيروزبادي ان المحدثين أخطأوا فى إسمه والصواب عنده ان اسمه جميز ، واستشهد على ذلك بقول أبي بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا قد أوتى الحكمة والميزا

وعندى ان الاسم جمين صحيح ، وما سماه ابن مقسم وغيره جميزا إلا من باب التندر به والتلاعب باسمه لغرابته . فمن نوادر جمين انه سمع مغنية تغنى بقول الشاعر :

أشارت بمدراها وقالت لاختها أهذا المغيري الذى كان يذكر ؟

فقال : إمرأته طالق إن كانت اشارت إليه بمدراها إلا لتفقأ بها عينه ، هلا أشارت إليه بنقانق مطرفه بالخردل أو سنبوسجة مغموسة فى الخل او لوزينجة شرقة بالدهن ! فان ذلك أنفع له واطيب لنفسه وادل على مودة صاحبته . وولع ابو الحارث بابن سيابة حتى اخجله فقال ابن سيابة يهجوه :

بنى ابو الحارث الجميز فى وسط من ظهره وقريبا من ذراعين

ديرا لقس إذا ماجاء يدخله ألقى على بابديرالقس خرجين

يعدو على بطنه شدا على عجل لا ذو يدين ولا يمشى برجلين

وفلج ابوالحارث فعاده دعبل وقال له : ماهذا ياابا الحارث ؟ فقال : اخذت من شعرى ودخلت الحمام فغلط بي الفالج وظن انى قد احتجمت ! فقال له : لو تركت خفة الروح والمجون فى موضع لتركتهما فى هذا الموضع وعلى هذه الحال . وعلى الجملة لقد كان من اظرف اهل زمانه

(٤) رب المعروف : يعنى موالاته عند من احسنت إليه والقيام على تعهده اشد من ابتدائه عند من لم يسبق لك الاحسان إليه

ترك الإفراط في التوقي . وقال أبو قرة : الجوع للحمية أشد من العلة . وقال الجماز[١] الحية إحدى العلتين . وقال القُمِّي : من احتمى فهو على يقين من تعجيل المكروه وفي شك مما يأمل من دوام الصحة . وقال : اعتبر عزمه بحميته وحزمه بمتاع بيته. قال وذكر أعرابي رجلا فقال: حناء المبتلى حنوط المعافى . وقالوا : أمران لا ينفكان من الكذب : كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . وقيل لرجل من الحكماء : ما جماع البلاغة ؟ قال: معرفة السليم من المعتل وفصل ما بين المضمَّن والمُطلق وفرق ما بين المشترك والمفرد وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيد .

وقال سَهْلُ بْنُ هرُونَ في كتاب له : واجب على كل ذي مقالة أن يبتدىء بالحمد قبل استفتاحها كما بدىء بالنعمة قبل استحقاقها . وقال أبو البلاد[٢] :

إنَّا وَجَدْنا النَّاسَ عُودَيْنِ طَيِّباً ... وعُوداً خَبِيثاً لا يَبِضُّ عَلَى العَصْرِ[٣]
تَزِينُ الفَتَى أَخْلاَقُهُ وتَشِينُهُ ... وتُذْكَرُ أَخلاقُ الفَتَى وهو لا يَدْرِي

وقال آخر في هذا المعنى :

سَابِقْ إلى الخيْرَاتِ أَهْلَ العُلَى ... فإنما النَّاسُ أَحَادِيثُ
كلُّ امْرِىءٍ في شأْنِهِ كادِحٌ ... فَوَارِثٌ مِنْهُ وَمَوْرُوثُ

ولما قال حَمَلُ بنُ بدرٍ لبني عبس — والأسنة في ظهورهم والبوارق فوق رؤسهم — نؤدِّي السبق ونَدِي الصبيان وتُخلون سربنا وتَسُودُون العرب ! انتهره حُذيفةَ وقال: إياك والكلام المأثور[٤] .

وقال الشاعر:[٥]

الْيَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبَرٌ ... وَالدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ إِنْعَامٍ وَإِبْآسِ

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو الجماز . راجع ترجمته وحوادثه في كتابنا « أدب الجاحظ »

(٢) هو أبو البلاد الطهوى كان من فحول الشعراء الاسلاميين المقلين

(٣) عودين طيبا : يعني عود طيب وعود خبيث . لا يبض : إذا عصرته لا يخرج منه شيء يعني لا خير فيه

(٤) هذا الحديث من نتائج سباق داحس والغبرا في الجاهلية بين عبس وفزارة

(٥) أنظر ص ١٦٤ من الجزء الأول

وقال أعرابي : إن المسافر ومتاعه لعلى قَلَتٍ إلا ماوقى الله[١] . وقالوا : ألسفر قِطعةٌ من العذاب ، وصاحب السوء قطعة من النار .

وجلس معاوية بن أبي سفيان بالكوفة يبايع على البراءة من علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فجاءه رجل من بني تميم فأراده على ذلك فقال : يا أمير المؤمنين ، نُطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت إلى المُغِيرة[٢] فقال : إن هذا رجل فاستوص به خيراً . وقال الشاعر[٣]

قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ بَرْقَةِ وَاسِطٍ ... يَا ابْنَ الْغَدِيرِ لَقَدْ جَعَلْتَ تَغَيَّرُ
أَصْبَحْتَ بَعْدَ زَمَانِكَ الْمَاضِي الَّذِي ... ذَهَبَتْ شَبِيبَتُهُ وَغُصْنُكَ أَخْضَرُ
شَيْخاً دِعَامَتُكَ الْعَصَا وَمُشَيَّعاً ... لاتَبْتَغِي خَبَراً وَلاَ تُسْتَخْبَرُ

وكان الرَّبيعُ بنُ خُثَيْم[٤] لايُخبر ولايستخبر . وكان مُطَرِّفُ بنُ عَبْدالله[٥] يَستخبر ويُخبر . قالوا : فينبغي أن يكون أعقلهم . وقال أبو عبيدة : كان ابن

---

(١) لعلى قلت : أي بعرض هلكة

(٢) هو المغيرة بن شعبة ، وقد مضت ترجمته في ص ٨٦ من الجزء الأول

(٣) هو حسان بن الغدير ، شاعر مجيد من شعراء الاسلام . قال مجمع بن يعقوب الانصاري : أدركت حسان بن الغدير شيخاً كبيراً من اجمل الشيوخ وأحسنهم فحدثني قال : سارت علينا سائرة من بني جشم بن بكر فرأيت فيهم فتاة مارأيت في نساء العرب مثلها حسنا فذهبت أخطبها فلم يقدر لي تزوجها فضرب الدهر بيننا فاني بعد ذلك بأربعين سنة لفي بلادي إذ أهلوها قدساروا وإذا بها عجوز تسأل عني فلما رأت كبري قالت : أأنت ابن الغدير ؟ فقلت : نعم ، قالت : لقد اكل الدهر عليك وشرب ! فقلت فيها وقد تغيرت وكبرت :

قالت امامة يوم برقة واسط ... يا ابن الغدير لقد جعلت تغير
اصبحت بعد شبابك الغض الذي ... ولت شبيته وغصنك أخضر
شيخا دعامتك العصا ومشيعاً ... لا تبتغي خبرا ولا تستخبر
فأجبتها أن من يعمر يقترف ... ما تزعمين وينب عنه المنظر
ولقد رايت شبيه ما عيرتني ... يسري على به الزمان ويبكر
وجعلت ينضبني اليسير وملني ... اهلي وكنت مكرما لا اكهر
وشربت في القعب الصغير وقادني ... نحو الجماعة من بني الاصغر

، وانت ترى خلافا في بعض الالفاظ بين رواية الجاحظ وهذه الرواية ولذلك اثبتناها

(٤) كان من افاضل التابعين زاهدا متنسكا مستقيم الطريقة

(٥) مضت ترجمته في ص ٩٩ من الجزء الاول

سيرين[١] لا يستخبر ولا يخبر ، وأنا أخبر واستخبر .

وقال أبو عَمْرو بنُ العَلاءِ [٢] لأهل الكوفة : لكم حذلقةُ النَّبَطِ وَصَلَفُهُمُ ولنا دَهَاء فارس وأحلامهم . وأنشدوا الحارثِ بْن حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِىِّ[٣]

لا أعرفنَّكَ إِنْ أرْسَلْتَ قافية تُلْقِى المَعَاذيرَ إن لم تنفعِ العِذَر

إنَّ السَّعيدَ لهُ فى غيرهِ عِظَةٌ وفى التَّجَارِبِ تحكيمٌ ومُعتبرُ

ومعنى المعاذير هاهنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن « بَلِ الإِنسانُ على نفسهِ بَصِيرَةٌ ولَوْ ألقَى مَعَاذِيرَه » [المعاذير] هاهنا الستور .

أراد رجل الحج فسلم على شُعْبة بنِ الحجاج[٤] فقال له : أما إنك إن لم تعدّ الحلم ذُلا والسفه أنفا ، سَلِمَ لك حجك .

وكان على رضى الله تعالى عنه بالكوفة قد منع الناس من القُعود على الطريق فكلَّمُوه فى ذلك فقال : أدَعكم على شريطة ؟ قالوا : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : غَض الأبصار ورد السلام و إرشاد الضلال . قالوا : قد قبلنا . فتركهم .

وكان [أبو] نوْفل بْنُ أبى عقْرَبٍ لا يجلس إلا على باب داره ، وكان عامراً بالمارة ، فقيل له : إن فى ذلك نُشْرَةً[٥] وصرف النفوس عن الأمانى واعتباراً لمن اعتبر وعظة لمن فكر ، فقال : إن فى ذلك حقوقاً يعجز عنها أبنُ خَيْثَمَة: قالوا : وما هى ؟ قال : غض الطرف ورد التحية وإرشاد الضال وضم اللقطة والتعرض لِطلاَّب الحوائج والنهى عن المنكر والشغل بفضول النظر الداعية إلى

(١) مضت ترجمته فى ص ١٦٨ من الجزء الأول

(٢) » » » ١٢١ » »

(٣) » » » ٣١ فى هذا الجزء

(٤) هو شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الاشاقر عتاقة . يكنى ابا بسطام . زعموا انه ظل فى بطن امه سنتين . كان من اصحاب الحديث شيعى الراى . وكان شاعراً متكلما به ثقة وكان يقول : والله لانا فى الشعر أسلم منى فى الحديث ولو اردت الله ماخرجت إليكم ولو اردتم الله ما جئتمونى ولكنا نحب المدح ونكره الذم . وهذا كلام يدل على الصدق والاخلاص وسلامة القصد فلله دره من صدوق . ولد سنة ٨٠ وتوفى بالبصرة سنة ١٦٠ هـ

(٥) نشرة : عوذة يستفاق بها

خضول القول والعمل ، وعادة إن قطعتها اشتدت وحشتك ، و إن وصلتها قطعتك عن أمور هى أولى بك .

قال فضيْلُ بنُ عياضٍ لِسُفْيَان الثَّوْرى[١] دُلنى على جليس أطمئن إليه ؟ قال : هيهات ، تلك ضالة لاتوجد . وقيل لبعض العلماء : أىالأمور أمتع ؟ قال : مذاكرة العلماء . وقيل لعبد الرحمن بن أبى بكرة : أى الأمور أمتع ؟ قال : الأمانى .

وقال رجاء بنُ حَيْوَة لعبد الملك بنمروان فى أسارى ابن الأشعث : إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فاعط الله ما يحب من العفو .

وقال هُرَيْمُ بنُ عَدِىٍّ بن أبى طحمة ليزيد بن عبد الملك بعد ظفره بيزيد ابن المهلب : ما رأينا أحداً ظُلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك . قال: وذم رجل رجلا فقال : هو سيء الرويّة قليل التقّية كثير السعاية قليل النكاية .

قال مُعاوية لمعاوية بنِ حُديجٍ الكندى[٢] : ما جرأك على قتل قريش؟ قال: ما أنصفتمونا ! تقتلون حلماءنا وتلوموننا على قتل سُفهائكم ؟! وهو الذى قال لأم الحكم بنت أبى سفيان : والله لقد نكحتِ فما استكرمتِ وولدتِ فما أنجبتِ .

ولما قدم قتيبة بنُ مسلم خراسان قال : من كان فى يديه شيء من مال عبدالله

---

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى يكنى اباعبد الله وينسب إلي ثور بن عبد مناة او ثور اطحل ، وهو جبل . وكان من التابعين واهل الحديث مع الفقه والورع والتقوى وكان شيعى الراى . طلب للقضاء فلم يقبل ، فطلبه السلطان ليأخذه بتشيعه ففر وظل متواريا بالبصرة حتى مات ودفن عشاء ، وفيه يقول الشاعر :

تحرز سفيان وفر بدينه   وامسى شريك مرصدا للدراهم

وكان مولده سنة ٩٧ وتوفى سنة ١٦١ هـ

(١) كان بالأصول معاوية بن خديج ، وهو خطأ شائع ، والصواب ماأثبتناه .

وهو معاوية بن حديج السكسكى الكندى . كان من شيعة معاوية شجاعا متهورا ذا عجرفية . وكان مقيما بمصر من عهد عثمان . فلما ولى محمد بن أبى بكر مصر من قبل على خرج عليه وتبعه ناس كثيرون مطالبا بدم عثمان . وكان معاوية قد بعث إليه بذلك ، وبعث عمرو بن العاص على جيش كثيف لفتح مصر وليس مع محمد بن أبى بكر كثير جند . فقاتلوه ومن معه حتى ألجأوه إلي الفرار فلحق به معاوية بن حديج وأخذه من خربة فقتله وجعله فى جيفة حمار ثم احرقه بالنار .

ابن خازم[١] فلينبذه و إن كان فى فيه فليلفظه و إن كان فى صدره فلينفثه. فعجب الناس من حسن مافصل وقسّم . قال : ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن خازم وما بخراسان أحسن حالا منهم[٢] .

عَنْبَسَةُ القطّان قال : شهدت الحسن[٣] وقال له رجل : بلغنا أنك تقول : لو كان علىّ بالمدينة يأكل من حَشَفها لـكان خيراً له مما صنع ! ؟ فقال الحسن : يالـكع ، أما والله لقد فقدتموه سهما من مرامى الله غير سَؤُم لأمر الله ولا سروقة لمال الله ، أعطى للقرآن عزائمه فيما عليه وله فأحل حلاله وحرم حرامه حتى أورده ذلك رياضاً مونقة وحدائق مُغدقة ، ذاك ابن أبى طالب يالـكع[٤]

وقال عبدُ الملك بنُ صالح يوصى إبنه وهو أمير سَرِية ونحن ببلاد الروم فقال له : أنت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الـكيِّس الذى إن وجد ربحاً تَجِرْ وإلا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفاً من احتيال عدوك عليك .

وقال بعض الحـكماء : لا تصطنعوا إلى ثلاثة معروفا : ألّلئيم فإنه بمنزلة الأرض السَّبِخَة ، والفاحش فإنه يَرَى الذى صنعت إليه إنما هو لمخافة فُحشه ، والأحمق

---

(١) كان فى الأصول : عبد الله بن حازم ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

وهو عبد الله بن خازم السلمى ، يكنى أبا صالح . كان شجاعا بطلا وفارسا مغوارا وقائدا محنكا ، وكانت أمه سوداء وكان أقوى الناس أيدا وأعظمهم بسالة . قال بعضهم : إن في الناس من هو أقوى من الأسد ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : انا لم نر الاسد فتح مدينة ورأينا عبد الله بن خازم فتح مدينة وحده . كان على خراسان عشر سنين ، وكان الحشرج بن الأشهب جمع له جموعا وغلب على قهستان فسار إليه عبد الله بن خازم فقتله وأخذها منه ثم فتح الطبسين . ثم ثار به أهل خراسان من العرب وقاتلوه فخر صريعا بالمركهوذلك فى عهد معاوية سنة ٥٦ هـ

(٢) كان بالاصول : أحسن مالا منهم ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه

(٣) هوالحسن البصرى ، وكل ماجاء فى هذا الـكتاب من قوله : قال الحسن ، فهوالمراددون سواه.

(٤) كان الحسن يرمى بالانحراف عن على ورويت عنه فى ذلك أخبار ، ومن الناس من يدفع عنه هذه التهمة ويقول إنه كان من محبيه والمعظمين له . روى ابن عبد البر في الاستيعاب ان إنسانا سأل الحسن عن على فقال : كان والله سهما صائبا من مرامي الله على عدوه وربانى هذه الامة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله ، لم يكن بالنؤمة عن أمر الله ولا بالملومة فى دين الله ولا بالسروقة لمال الله ، اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مؤنقة ، ذلك على بن أبي طالب يالـكع .

فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه ، فإذا اصطنعت إلى الكرام فازدرع المعروف. واحصد الشكر . قال : وواضع المعروف فى غير أهله كالسرج فى الشمس والزارع فى السبخ . ومثله البيت السائر فى الناس :

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ فِى غَيْرِ أَهْلِهِ ... يُلاقِ الَّذِى لاقَى مُجِيرُ امِّ عَامِرِ (١).

وقالوا : من لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يولى . وقال الإيادى صاحب الصرح الذى اتخذ سُلماً لمناجاة الرب — وهو الذى كان يقول : مُرضعة وفاطمة ، القطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلم — قال : زعم ربكم ليجزين بالخير ثواباً و بالشر عقاباً ، إن مَن فى الأرض عَبيدٌ لمن فى السماء ، هلكتْ جُرْهُمْ وَرَبَلتْ إياد (٢) وكذلك الصلاح والفساد ، من رَشدفاتبعوه ومن غَوىَ فارفضوه ، كل شاة برجلها معلقة . و إياه عنى الشاعر بقوله :

وَنَحْنُ إيَادٌ عَبِيدُ الإلٰهِ ... وَرَهْطُ مُنَاجِيهِ فى السُّلَّمِ

وَنَحْنُ وُلاَةُ حِجَابِ الْعَتِيقِ ... زَمَانَ الرُّعَافِ عَلى جُرهُمِ

تعزية امرأة للمنصور عَلَى أبى العباس مَقدمه من مكة ، قالت : أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجل من مُصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك .

وقال عثمان بن حِذْيم للمنصور حين عفا عن أهل الشام فى إجلائهم مع عبد الله بن على (٣) عمه : يا أمير المؤمنين ، لقد أُعطيت فشكرتَ وابتُليت

---

(١) أم عامر : كنية الضبع

(٢) ربلت : كثرت اولادها واموالها

(٣) هو عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس . كان من اعمام ابى العباس السفاح وابى جعفر المنصور . وكان من مؤسسى الدولة العباسية وموطدي دعائمها . وكان شجاعا بطلا وفارسا مغوارا وقائدا . مدبرا وهو الذي هزم جيوش مروان بن محمد واباد بنى امية . وكان ابو العباس السفاح ولاه على مصر والشام وجعل إليه التصرف فى شؤونهما . وكان يطمع فى ان تكون الخلافة له بعد ابى العباس لماله من البلاء فى تأسيس الدولة . وبينا هو فى حروبه جاءه نعى ابى العباس فانصرف بمن معه من الجيوش واكثرهم من أهل الشام حتى بلغ حران فبايعه الجند على الخلافة . فلما علم بذلك ابو جعفر المنصور ندب له ابا مسلم وسيره إليه وزوده بما استطاع من جند وسلاح وطعام وعلوفة وامره بحربه . وكان جنده مؤلفا من أهل الجزيرة واهل خراسان . فقاتله نحو ستة اشهر والحرب بينهما سجال . ثم إن ابامسلم احكم تدبيره وحمل على عسكره فضعضعه فلما راى عبد الله ذلك سار فى نفر من خاصته إلى العراق.

فَصَبِرْتَ وقدرت فعفوت . وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، ألا إنتقام عدل والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف ، فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين . وقال آخر : مَن انتقم فقد شفى غيظ نفسه وأخذ أقصى حقه ، وإذا انتقمت فقد انتقصت وإذا عفوت [فقد] تطولت ، ومَن أُخذ حقه وشفى غيظه لم يجب شكره ولم يذكر فى العالمين فضله ، وكظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفى طرف من العجز ، ومن رضى أن لا يكون بين حاله و بين حال الظالم إلا سِتر رقيق وحجاب ضعيف فلم يجزم فى تفضيل الحلم وفى الإستيثاق من تركْ دواعى الظلم ، ولم نر أهل النهى والمنسوبين إلى الحِجْى والتقَى مدحوا الحكام بشدة العقاب وقد ذكروهم بحسن الصفح و بكثرة الاغتفار وشدة التغافل ! و بعد فالمعاقب مُستعدٌ لعداوة أولياء المذنب ، والعافى مُستدع لشكرهم آمن من مكافأتهم أيام قدرتهم ، ولأن يُثنَى عليك باتساع الصدر خير من أن يُثنَى عليك بضيق الصدر ، على أن إقالتك عثرة عباد الله موجب لإقالتك عثرتك من رب عباد الله ، وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك .

قال : ألموت الفادح خير من اليأس الفاضح ، وقال الآخر : لا أقل من الرجاء ؟ ! فقال الآخر : بل اليأس المريح . وقال عبدُ الله بنُ وهب الرّاسبى : إزدحام الجواب مَضلة للصواب ، وليس الرأى بالارتجال وليس الحزم بالاقتضاب، فلا تدعونك السلامة من خطأ موبق أو غنيمة من صواب نادر إلى معاودته والتماس الأرباح من قِبلهِ ، إن الرأى ليس بنُهْبَى وخمير الرأى خير من فطيره ورب شىء غابُّهُ خير من طريه وتأخيره خير من تقديمه . ولما قدم بعبد الجبار بن

ونزل البصرة على اخيه سليمان بن على متواريا عنده فلما علم ابو جعفر شأنه ارسل الى سليمان بن على يأمره باشخاص عبد الله إليه وكتب له عهدا بالامان غلظ فيه الاقسام والايمان حتى رضى عبدالله فخرج به سليمان حتى اتى المنصور سنة ١٣٩ فامر المنصور بحبسه وحبس من كان معه ثم أخرج أصحابه وقتلهم واستمر عبد الله فى محبسه حتى مات سنة ١٤٧ هـ .

عبد الرحمن [(١)] إلى المنصور قال : يا أمير المؤمنين ، قِتْلةٌ كريمة ! قال : تركتها وراءك يا ابن اللخناء .

ولما احتال أبو الأزهر المهلب بن عُبَيْثر المهرى لعبد الحميد بن رَبعى بن خالد ابن مِغداق وأسلمه الى حُمَيدِ بن قَحْطبة [(٢)] وأسلمه حُميد إلى المنصور ، فلما صار الى المنصور قال : لا عُذر فأعتذر وقد أحاط بي الذنب وأنت أولى بما ترى ! قال : لست أقتل أحداً من آل قحطبة بل أهب مُسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم ! قال : إن لم يكن فىّ مُصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم ! قال : أخرج فإنك جاهل وأنت عتيقهم ماحييت .

قال زياد بن ظَبْيان التَّيمى لابنه عُبيد الله بن زياد — وزياد يومئذ يكيد بنفسه وعبيد الله غلام — ألا أوصى بك الأمير زياداً ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال: إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت فالحى هو الميت [(٣)]

ودخل عمرو بن سعيد على مُعاوية بعد موت أبيه — وعمرو يومئذ غلام — فقال له معاوية : إلى مَن أوصى بك أبوك يا غلام ؟ قال : إن أبى أوصى إلىّ ولم يوص بى ! قال : و بأى شىء أوصاك ؟ قال: أوصانى أن لا يفقد إخوانُه منه إلا وجهه ! قال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيد هذا لأشدق .

ولما داهن سُفيان بنُ مُعاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن إبراهيم بن عبد الله [(٤)]

---

(١) هو ابن اخي معن بن زائدة ، وكان من الشجعان إلا انه فر من الخوارج يوما ، وكان فى خاصة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى

(٢) هو حميد بن قحطبة الطائى ، كان من أكابر القواد فى الدولة العباسية ومن اشد اركانها وكان شجاعا باسلا وفارسا كميا ، وكان ابو جعفر المنصور يحسده على جاهه ونفوذه ويخافه على ماق بده ، فاراد ان يتخلص منه ولكنه خشي إن قتله ثار الجند به ، فكتب له كتابا إلى زفر بن عاصم والي حلب وامره بالمسير إليه وإعطائه الكتاب . وكان فى الكتاب « إذا قدم عليك حميد فاضرب عنقه » لكن حميداً داخله الشك في الكتاب ففضه فى الطريق وعرف مافيه ، فعدل عن طريقه وسار بمن معه من خاصته إلى العراق متواريا .

(٣) راجع ص ٢٤٠ و ٢٥٠ من الجزء الاول

(٤) ابراهيم بن عبد الله العلوي الخارج على ابي جعفر

وصار سفيان إلى المنصور أمر الربيع فخلع سواده ووقف به على رؤس اليمانية فى المقصورة فى يوم الجمعة ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين ، قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه وحسن بلائى عنده والذى حاول من الفتنة والغدر والبغى وشق العصا ومعاونة الأعداء ، وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم وغادركم لوفيكم.

قال يُونُسُ بنُ حَبِيْبٍ : ألمفحَم يأتيه دون ما يرضى ويطلب فوق ما يقوي

وذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتَزيُّدَ البحْريين فقال : ألبحر كثير العَجائب وأهله أصحاب الزوائد ، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق وأدخلوا مالا يكون فى باب ما قد يكاد أن يكون ، فجعلوا تصديق الناس لهم فى غرائب الأحاديث سُلما إلى ادّعاء المحال . وقال بعض العرب : حدّث عن البحر ولا حرج ، وحدث عن بنى إسرائيل ولا حرج ، وحدث عن مَعْنٍ ولا حرج (١) . وجاء فى

---

(١) هو معن بن زائدة الشيبانى ، كان من أكابر الشجعان واماثل الفرسان ، وكان جواد كريما ومعطاء مبذالا كثير الخير والمعروف ممدحا مقصود الجناب ، وكان فى ايام بنى امية يلى الولايات وكان فى خاصة يزيد بن عمر بن هبيرة امير العراقين ومن ابطال قواده فلما ظهرت الدولة العباسية وحارب أبو جعفر يزيد بن عمر وحاصره بوأسط ابلى معن بلاء حسنا مع يزيد ، فلما نقض ابوجعفر عهده مع يزيد وقتله خاف معن على نفسه فاختفى مدة وجعل ابو جعفر لمن يأتي به مالا فاضطرب معن لذلك فغير هيئته ولوح وجهه فى الشمس وركب جملا واراد الخروج إلى البادية ، قال : فلما خرجت من باب حرب أحد أبواب بغداد تبعنى عبد اسود ومعه سيف حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه ثم قبض على يدى وقال : أنت طلبة امير المؤمنين ! انت معن بن زائدة ! فقلت له : إتق الله أين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا فاني والله لاعرف بك منك . فقلت له : هذا عقد جوهر خذه ولا تكن سبباً في سفك دمى وهو يساوى اضعاف ماجعله ابو جعفر لمن يأتيه بى . فاخذه ونظر فيه ثم قال : صدقت فى قيمته ولن أقبله حتى أسألك عن شيء فان صدقتنى اطلقتك ، إن الناس قد وصفوك بالجود ، فهل وهبت مالك كله قط ؟ فقلت : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا . قال : فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر فاستحييت فقلت : اظن انى فعلت هذا ! فقال : ماهذا بعظيم ! انا راجل ورزقى من ابى جعفر فى كل شهر عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمته الوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم ان فى هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ! ثم رمى العقد فى حجرى وتركنى وولى ، فقلت : ياهذا قد فضحتنى ولسفك دمي اهون على مما فعلت فخذ العقد فانى غنى عنه ! فضحك وقال : اتريد ان تكذبنى فيما قلت ! والله لا اخذت على معروف ثمنا ابدا . ثم مضى لسبيله ، وظل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وقد خرج قوم من اهل خراسان على أبي جعفر فقاتلوه حتى ضيقوا عليه ، فجاء معن متنكرا متلثما وحمل على القوم وقاتلهم قتال اهل النجدة والشهامة

الحديث «كَفَى بالمرْءِ حِرصاً رُكُوبهُ البحر»

وكتب عَمْرو بنُ العاصِ إلى عمر بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه يصف له البحر فقال : يا أمير المؤمنين ، البحر خَلق عظيم يركبه خلق صغير ، دُودٌ على عود. وقال الحسن : إملاء الخير خير من الصمت ، فالصمت خير من إملاء الشر . وقال بعضهم : مُروا الأحداثَ بالمراء والكهولَ بالفكر والشيوخ بالصمت .

عَبدُ الله بنُ شدّادٍ قال : أرى دَاعيَ الموت لايقلع وأرى مَن مَضى لايرجع لا تزهدن فى معروف فان الدهرَ ذو صروف ، كم من راغب قد كان مرغوبا إليه وطالب أصبح مطلوبا إليه ، والزمان ذُو ألوان مَن يصحب الزمان ير الهوان ، وإن غُلبت يوما على المال فلا تُغلَبَنَّ على الحيلة على حال ، وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالا أقل ما تكون فى الباطن مالا .

وقيل لِقَيْسِ بن عاصم : بِمَ سُدت قومك ؟ قال : ببذل الندى وكف الأذى ونصر المولى . وقيل لشيخ : أين شبابك ؟ قال : من طال أمده وكثر ولده ودف عدده وذهب جَلده ، ذهب شبابه . وقال زياد : لا يَعدِمَنَّك مِن الجاهل كثرة الالتفات وسُرعة الجواب .

وقال عبدُ الرَّحمن بنُ أم الحكم [١] : لولا ثلاث ما باليت متى مت : تزاحفُ الأحرار إلى طعامى وبذلُ الأشراف وجوههم الى فى أمر أجد اليه السبيل وقول المنادى الصلاة أيها الأمير .

حتى فرقهم ومزق شملهم ، فلما امن المنصور جانبهم قال له من انت ؟ فكشف معن لثامه وقال انا طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة ! فأمنه المنصور وأكرمه وحباه ورتبه فى خواصه . وله فى الجود اخبار حسان . وكان شاعره مروان بن ابي حفصة . وكان قد ولى سجستان فى اواخر ايامه . فبيناهو فى داره وعنده صناع يعملون له إندس بينهم بعض الخوارج فقتلوه . فتتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد حتى ابادهم عن آخرهم . وذلك فى سنة ١٠٨ هـ

(١) هو عبد الرحمن بن ام الحكم بنت ابى سفيان . ولاه معاوية عدة ولايات ومنها الكوفة فلم تحمد ولايته فعزله واطرحه وقال له : يابنى قد جهدت ان انفقك وانت تزداد كسادا . وكان عبدالله ابن الزبير الاسدى مدحه فلم يثبه فهجاه فحبسه وضربه ضربا مبرحا وهدم داره فشكاه إلى معاوية فاعطاه وارضاه . غير ان كلماته التى رواها الجاحظ تدل على العقل والنبل والكرم

وقال ابنُ الأشعث : لولا أربع خِصال ما أعطيت بشرياً طاعة ، لو ماتت أم عِمران ، يعنى أمه ، ولو شاب رأسى ولو قرأت القرآن ولو لم يكن رأسى صغيراً

وقال مُعاوية : أُعِنْتُ عَلَى عَلِيّ بثلاث خصال : كان رجلا يُظهر سره وكنتُ كتوماً لسرى ، وكان فى أخبث جُند وأشده خِلافاً وكنت فى أطوع جند وأقله خلافا[1] ، وخلا بأصحاب الجمل فقلت : إن ظفر بهم اعتددت بهم عليه وَهَناً فى دينه وإن ظفروا به كانوا أهون عَلَىَّ شوكة منه ، وكنتُ أحبَّ إلى قُرَيش منه فكم شتيت جامع إلىّ ومفرق عنه .

جَهْمُ بْنُ حَسّان السَّليطى قال : قال رجل للأحنف : دلنى على حمد بلا مَرزئة ! قال : الخلق السجيح والكف عن القبيح ، ثم اعلموا أن أدوى الداء اللسان البذىء والخلق الردىء .

وقال محمد بن حَرب الهلالى : قال بعض الحكماء : لا يكونن منكم المحدِّثُ ولا يُنْصَتُ له ، والداخل فى سر اثنين لم يُدخلاه ، ولا آتى الدعوةَ لم يُدع إليها ، ولا الجالس المجلس لا يستحقه ، ولا الطالب الفضلَ من أيدى اللئام ، ولا المتعرض للخير من عند عدوه ، ولا المتحمق فى الدالة .

باب مزدوج الكلام

قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاوية بن أبى سفيان « أللّهُمَّ عَلِّمْهُ الكتَابَ والحسَابَ وَقِهِ العذَابَ »

وقال رجل من بنى أسد : مات لشيخ منا ابنٌ فاشتد جزعه عليه فقام إليه

(١) وللجاحظ فى هذا الشان تعليل بديع قال : ألعلة فى عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام أن أهل العراق أهل نظروذوو فطن ثاقبة . ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث ، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال والتمييز بين الرؤساء وإظهار عيوب الامراء ، وأهل الشام ذوو بلادة وتقليد وجمود على رأى واحد لايرون النظر ولايسألون عن مغيب الاحوال ، وما زال العراق موصوفا أهله بقلة الطاعة وبالشقاق على اولى الرئاسة .

شيخ منا فقال : إصبر أبا أُمامة ، فإنه فرط أفرطته وخير قدمته وذُخر أدّخرته ! قال مجيباً له : ولدٌ دفنته وثُكل تعجلته وغيب وُعدته ، والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد .

قال الأصمعي : قال ابنُ قَصير : خير الخيل الذي إذا استدبرته حبّاً وإذا استقبلته أقعى وإذا استعرضته استوى وإذا مشى ردى وإذا ردى دحا . ونظر ابنُ قصير إلى خيل عبدِ الرحمنِ بْنِ أُم الحكم فأشار إلى فرس منها فقال : تجيء هذه سابقة ! قالوا : وكيف ؟ قال : رأيتها مشت فكَتَفَتْ وخَبَّتْ فوجفت وعدت فنسفت ، وذكرت امرأة زوجها فقالت : ذهب ذفره [1] وأقبل بَخره [2] وفتر ذكره . وكان مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه يسمع شعر جَرِيرٍ والفرَزْدَقِ فسأله أبوه عنهما فقال: جَرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر ، فقال : الذي يُغرف من بحر أشعرهما .

***

قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الأحاديث بعد ما أسقطنا به مؤنة الخطب الطوال، وسنذكر من الخطب المسندة إلى أربابها مقداراً لا يستفرغ مجهود من قرأها ثم نعود بعد ذلك إلى ما قصر منها وخف وإلى أبواب قد تدخل في هذه الجملة وإن لم تكن مثل هذه بأعيانها ، والله الموفق .

خطبة عبد الله بن الاهتم

عن خالدِ بنِ صفوان قال: دخل عبدُ الله بنُ الاهتم على عمرِ بن عبدالعزيز

---

(١) كان بالاصول : ذهب زفره . وهو خطأ والصواب بالذال كما اثبتناه . والذفر : الرائحة الشديدة الاريج .

(٢) البخر : نتن الفم

رحمه الله تعالى مع العامة فلم يفجأ عمر إلا وهو مائل بين يديه يتكلم(١)، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإن الله(٢) خلق الخلق غنيا عن طاعتهم آمناً لمعصيتهم ، والناس يومئذ فى المنازل والرأى مختلفون والعرب بشَرٍّ تلك المنازل ، أهل الوبر وأهل المدر(٣) تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاغة عيشها(٤) ميتهم فى النار وحيهم أعمى مع مالا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه ، فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته بعث [فيهم] رسولا [من أنفسهم] « عزيزٌ عليهِ ما عنِتّمْ حَريصٌ عليكم بالمؤْمنينَ رَؤُفٌ رَحيم » فلم يمنعهم ذلك [من] أن جرحوه فى جسمه ولقبوه فى اسمه ، [وأخرجوه من داره](٥) ومعه كتاب من الله لا يرحل الا بأمره ولا ينزل الا بأذنه [ويمده بملائكته ويخبره بالغيب المكتوم من أمره وضمن له ظفر عاقبة الأمور](٦) واضطروه الى بطن غار(٧) فلما أمر بالغرامة(٨) أصفر لأمر الله لونه ، فأفلج الله حجته ، وأعلى كلمته ، وأظهر دعوته(٩)، ففارق الدنيا تقيا نقيا صلى الله عليه وسلم

ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فسلك سنته وأخذ بسبيله ، وارتدت العرب(١٠) فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الذى كان

(١) فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم: ودخل خالد بن صفوان بن الاهتم على عمر ابن عبد العزيز فقال يا امير المؤمنين اتحب ان تطرأ ؟ قال : لا . قال . افتحب ان توعظ ؟ قال: نعم ، قال فقام فحمد الله ، الخ

(٢) فى السيرة : فان الله بجلاله خلق .

(٣) فى السيرة : اهل دبر واهل وثن واهل حجر

(٤) فى الاصول : ورفاعة عيشها ، وهو خطأ والصواب ما اثبتناه . ورفاغة العيش سعته ولينه

(٥) هذه الزيادة من السيرة لابن عبد الحكم

(٦) فى السيرة : « معه من الله بينة لايتقدم إلا بامره ولا يخرج إلا باذنه »

(٧) فى السيرة : « احتبا فيه ولخذ حبل الذمة من الاملاء »

(٨) فى السيرة : « فلما امر بالعزم وحمل على الجهاد وانبسط لامر الله ومضى على الذى امر به من تبليغ الرسالة وإظهار الحق ومجاهدة العدو »

(٩) فى السيرة : فقبضه الله على سنته

(١٠) فى السيرة : « او من ارتد منهم وعرضوا على ان يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة فابى ان يقبل »

قابلا منهم ، فانتضى السيوف مِن أغمادها وأوقد النيران من شُعلها ثم ركب بأهل الحق أهلَ الباطل فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقى الأرض دماءهم حتى أدخلهم فى [1] الذى خرجوا عنه وقررهم بالذى نفروا منه . وقد كان أصاب من مال الله بَكْراً يرتوى عليه وحبشية ترضع ولداً له فرأى ذلك غصة عند موته فى حلقه ، فأدى ذلك إلى الخليفة مِن بعده وبرىء إليهم منه ، وفارق الدنيا تقا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنه .

ثم قام من بعده عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمصَّرَ الأمصار وخلط الشدة باللين وحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه وأعد للأمور أقرانها وللحرب آلتها ، ولما أصابه قِنُ [2] المغيرة بن شُعبة أمر ابنَ عباس يسأل الناس : هل يُثبتون قاتله ؟ فلما قيل له : قِن المغيرة ، استهل يحمد الله أن لا يكون أصابه ذو حق فى الفىء فيستحل دمه بما استحل من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضعاً وثمانين ألفاً ، فكسر بها رباعه وكره بها كفالة أهله وولده ، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما . ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظُلَع . [3] ثم إنك يا عمر ابنُ الدنيا [4] ولدتك ملوكها [وغذتك كلاءها] [5] وألقمتك ثديها [6] ، فلما وليتها ألقيتها حيث ألقاها الله [7] ، فالحمد لله الذى جلا بك حوبتنا وكشف بك كربتنا [8] ، إمض

(١) فى السيرة : « فى الباب الذى »

(٢) قن المغيرة : هو ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وهو الذى وجأ عمر فقتله

(٣) ظلع : عرج

(٤) فى السيرة : « ثم انت يا امير المؤمنين بين يدى الدنيا »

(٥) فى السيرة : « وأنت بت تلتمسها من مظانها حتى إذا افضت اليك »

(٦) فى السيرة : « إلا ماتزودت منها »

(٧) كان بالاصول : حوبتها وكربتها . والصواب ماأثبتناه عن السيرة . وفى السيرة بعدذلك ، وصدق بك قولنا عليك .

ولا تلتفت فإنه لا يُغني من الحق شيئاً ، (١) أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات . قال . ولما أن قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدها إلا على ظَلع ، سكت الناس كلهم إلا هشاماً فإنه قال : كذبت .

خطبة عمر بن عبد العزيز

خطب عمر بن عبد العزيز بِخُنَاصِرَةَ (٢) خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عَبثا ولن تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم (٣) ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء وحُرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا بباق ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى تُرد إلى خير الوارثين ، ثم أنتم فى كل يوم تُشيِّعون غاديا ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ثم تُغيبونه فى صَدع من الارض ثم تَدَعونه غير مُوسد ولا مُمهد قد خُلع الأسلاب وفارق الأحباب وواجه الحساب [وسكن التراب مرتهنا بعمله] (٤) غنيا عما ترك فقيراً إلى ما قدم ، وأيم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فأستغفر الله لى ولكم ، وما تبلغنا حاجة يتسع لها ماعندنا إلا سددناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدى وبلحمتى (٥) الذين يلوننى حتى يستوى عيشنا وعيشكم ، وأيم الله أن لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولا عالما بأسبابه ، لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

---

(١) فى السيرة : « فانه لايذل على الحق شىء ولا يعز على الباطل شىء » .

(٢) خناصرة : بلد بالشام قيل إنها سميت باسم خناصرة بن عروة بن الحارث

(٣) فى السيرة : « وإن لكم معاداً ينزل الله تبارك وتعالى للحكم فيه والفصل بينكم »

(٤) الزيادة من السيرة

(٥) كان بالاصول : ويحمى . وليس هذا مكانها والصواب عن السيرة وهو اليق بالمقام.

ثم بكى فتلقى دموع عينيه بطرف ردائه ثم نزل فلم يرعلى تلك الأعواد حتى قبضه الله .

خطبة أخرى ذهب عني اسنادها

أما بعد فإنك ناشئ فتنة وقائد ضلالة قد طال جثومها واشتدت غمومها وتلونت مصائد عدو الله فيها وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما فى عواقبها ، فلن يهد عمودها ولن ينزع أوتادها إلا الذى بيده تلك الأشياء ، وهو الله الرحمن الرحيم ، ، ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمتها ولم يشايعوا أهلها على شبهتها ، مصابيح النور فى أفواههم تزهو وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ، ركبوا نهج السبيل وقاموا على العلم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم وبهم يصلح الله البلاد ويدفع عن العباد ، فطوبى لهم وللمستصبحين بنورهم ، أسأل الله أن يجعلنا منهم . .

خطبة ابي حمزه الخارجي

دخل أبو حَمْزَةَ الخارجى (١) مكة — وهو أحد نساك الإباضية وخطبائهم،

(١) هو ابو حمزة يحيى بن المختار بن عوف الازدى الخارجي كان يرد الموسم كل سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد ، وظل هكذا حتى ورد عبد الله بن يحيى فى اواخر سنة ١٢٨هـ فقال له : يارجل ، اسمع كلاماً حسناً اراك تدعو إلى حق فانطلق معى فانى رجل مطاع فى قومى ، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه ابو حمزة على الخلافة ودعا إلى الثورة على مروان وآل مروان ، وبينما الناس بعرفة سنة ١٢٩ طلع عليهم ابو حمزة فى سبعمائة من اتباعه يحملون رماحاً عليها أعلام وعمائم سود ، ففزع الناس ، وراسلهم عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك ، وكان يومئذ على مكة والمدينة ، ثم خلى لهم مكة فدخلها أبو حمزة واصحابه بغير قتال ، وفى سنة ١٣٠ دخل ابو حمزة المدينة بعد قتال شديد وقع له بقديد مع عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعساكره ، وقد خطب على منبر رسول الله خطباً آية فى البلاغة والموعظة ، ثم إن ابا حمزة ترك المدينة وسار بجموعه نحو الشام ، وكان مروان قد اعد لقتاله اربعة آلاف فارس بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى ، فجد عبدالملك فى طلبه حتى لقيه بوادى القرى فصمد له وقاتله اشد قتال ، وما زال به حتى خر أبو حمزة صريعاً وانهزم اصحابه ، وذلك فى اواخر سنة ١٣٠ هـ

واسمه يحيى بن المختار — فصعد منبرها مُتوكئاً على قوس له عربية ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (١)

أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايتأخر ولا يتقدم إلا باذن الله وأمره ووحيه ، أنزل الله له كتابا بَيَّنَ له فيه ما يأتى وما يتقى فلم يكن فى شك من دينه ولا شبهة فى أمره ، ثم قبضه الله إليه وقد علَّم المسلمين معالم دينهم (٢) وولى أبا بكر صلاتهم فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر دينهم ، فقاتل أهل الرِّدَّة وعمل بالكتاب والسنة ، فمضى لسبيله رضى الله تعالى عنه .

ثم (٣) ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسار بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة وجبى الفىء وفرض الأعطية وجمع الناس فى شهر رمضان وجلد فى الخمر ثمانين وغزا العدو فى بلادهم ، ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه

ثم (٤) ولى عثمان بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه .

---

(١) روى ابو الفرج هذه الخطبة لابى حمزة وقال انه إنما ألقاها عن منبر الرسول بالمدينة . وكان سبب ذلك ان ابا حمزة لما دخل المدينة بلغه ان أهلها يعيبون اصحابه لحداثة اسنانهم وخفة احلامهم فصعد المنبر وقال : ياأهل المدينة قد بلغتنى مقالتكم فى اصحابى ولولا معرفتى بضعف رأيكم وقلة عقولكم لاحسنت ادبكم . ويحكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل عليه الكتاب وبين له فيه السنن وشرع له فيه الشرائع وبين له فيه مايأتى وما يذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ولا يحجم إلا عن امر الله حتى قبضه الله إليه وقد ادى الذى عليه لم يدعكم من امركم فى شبهة .

(٢) قال : ثم قام من بعده ابو بكر فأخذ بسنته وقاتل اهل الردة وشمر فى امر الله حتى قبضه الله إليه والامة عنه راضية ، رحمة الله عليه ومغفرته

(٣) قال : ثم ولى بعده عمر فأخذ بسنة صاحبيه وجند الاجناد ومصر الامصار وجبى الفىء وقسمه بين اهله وشمر عن ساقيه وحسر عن ذراعيه وضرب فى الخمر ثمانين وقام فى شهر رمضان وغزا العدو فى بلادهم وفتح المدائن والحصون حتى قبضه الله إليه والامة عنه راضية رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته .

(٤) قال : ثم ولى من بعده عثمان بن عفان فعمل فى ست سنين بسنة صاحبيه ثم احدث احداثا ابطل آخرها اولها واضطرب حبل الدين بعدها فطلبها كل امرىء لنفسه واسر كل رجل منهم سريرة ابداها الله عنه حتى مضى على ذلك .

ثم ولى على بن أبى طالب فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع له مناراً ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه .

ثم(١) ولى مُعاوية بن أبى سُفيان لَعين رسول الله وابن لَعينه ، اتخذ عباد الله خولا ومالَ الله دولا ودينه دَغلا ، ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله .

ثم(٢) ولى يزيد بن معاوية ، يزيد الخمور ويزيد القرود ويزيد الفهود ، الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه(٣)

ثم اقتصَّهم خليفة خليفة فلما انتهى إلى عمر بن العزيز(٤) أعرض عنه ولم يذكره ثم قال :

ثم(٥) ولى يزيد بن عبد الملك الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه الذى لم يؤنس منه رشد وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى « فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً

---

(١) قال : ثم ولى معاوية بن ابى سفيان لعين رسول الله وابن لعينه وجلف من الاعراب وبقية من الاحزاب مؤلف طليق فسفك الدم الحرام واتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا وبغى دينه عوجا ودغلا وأحل الفرج الحرام وعمل بما يشتهيه حتى مضى لسبيله .

(٢) قال : ثم ولى بعده ابنه يزيد يزيد الخمور ويزيد الصقور ويزيد الفهود ويزيد الصيود ويزيد القرود فخالف القرآن واتبع الكهان ونادم القرد وعمل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك .

(٣) قال : ثم ولى مروان بن الحكم طريد لعين رسول الله وابن لعينه فاسق فى بطنه وفرجه .. ثم تداولها بنو مروان بعده اهل بيت اللعنة طرداء رسول الله وقوم من الطلقاء ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين باحسان فأكلوا مال الله اكلا ولعبوا بدين الله لعبا واتخذوا عباد الله عبيداً يورث ذلك الاكبر منهم الاصغر ، فيالها امة ما أضيعها واضعفها والحمد لله رب العالمين ثم مضوا على ذلك من اعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى قد نبذوه وراء ظهورهم .

(٤) قال : وقد ولى منهم عمر بن عبد العزيز فبلغ ولم يكد وعجز عن الذى اظهر حتى مضى لسبيله

(٥) قال : ثم ولى يزيد بن عبد الملك غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شىء من أمور المسلمين لم يبلغ اشده ولم يؤنس رشده وقد قال الله عز وجل « فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » فأمر أمة محمد فى احكامها وفروجها ودمائها اعظم من ذلك كله وإن كان ذلك عند الله عظيما ، مأبون فى بطنه وفرجه يشرب الحرام ويأكل الحرام ويلبس الحرام ، يلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على أهلهما بالف دينار وأكثر وأقل ، قد أخذت من غير حلها وصرفت في غير وجهها بعد أن ضربت فيها الابشار وحلقت فيها الاشعار واستحل مالم يحل الله لعبد صالح ولا لنبى مرسل ثم يجلس حبابة عن يمينه وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامير الشيطان ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصا بعينها حتى إذا أخذت مأخذها فيه وخالطت روحه ولحمه ودمه وغلبت سورتها على عقله مزق حلتيه ثم التفت إليهما فقال : اتأذنان لى فى ان اطير ؟ نعم فطر إلى النار إلى لعنة الله لايردك الله .

«فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ» فأمرُ أمة محمد أعظم، يأكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس الحُلة قوّمت بألف دينار قد ضربت فيها الأبشار وهُتكت فيها الأستار وأخذت من غير حِلها، حَبابة عن يمينه وسَلاَّمة عن يساره تغنيانه حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قدَّ ثوبه ثم التفت إلى إحداهما فقال: ألا أطير؟ نعم فطر إلى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه.

وأما[1] بنو أمية ففرقة ضلالة وبطشهم بطش جبرية يأخذون بالظَّنة ويقضون بالهوى ويقتلون على الغضب ويحكمون بالشفاعة ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها فى غير أهلها وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف فقال: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ» فأقبل صنفٌ تاسع منها فأخذها كلها، تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله.

وأما[2] هذه الشيع فشيعٌ ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله لم يفارقوا الناس ببصر نافذ فى الدين ولا بعلم نافذ فى القرآن ينقمون المعصية على أهلها

(١) ثم ذكر بنى أمية واعمالهم وسيرهم فقال: اصابوا إمرة ضائعة وقوما طغاما جهالا لا يقومون لله بحق ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ويرون ان بنى امية ارباب لهم، فملكوا الامر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية بطشهم بطش الجبابرة يحكمون بالهوى ويقتلون على الغضب وياخذون بالظن ويعطلون الحدود بالشفاعات ويؤمنون الخونة ويقصون ذوى الامانة وياخذون الصدقة على غير فرضها ويضعونها في غير موضعها، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما انزل الله..»

(٢) قال: واما إخواننا من هذه الشيع فليسوا باخواننا فى الدين لكن سمعت الله عز وجل قال فى كتابه «إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» شيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله لا يرجعون إلى نظر نافذ فى القرآن ولا عقل بالغ فى الفقه ولا تفتيش عن حقيقة الصواب، قد قلدوا امرهم أهواءهم وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه في جميع مايقوله لهم غيا كان أو رشدا، ضلالة أو هدى، ينتظرون الدول فى رجعة الموتى ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ويدعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم ما فى داخل بيته بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أو يحويه جسمه، ينقمون المعاصي على أهلها ويعملون إذا ظهروا بها ولا يعرفون المخرج منها، جفاة في الدين قليلة عقولهم قد قلدوا اهل بيت من العرب دينهم وزعموا ان موالاتهم لهم تغنيهم عن الاعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الاعمال السيئة، قاتلهم الله أنى يؤفكون. فاى هولاء الفرق يا اهل المدينة تتبعون او باى مذاهبهم تقتدون!

ويعملون إذا وُلُّوا بها يُصرون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ، جُفاة عن القرآن أتباع كُهان يؤملون الدول فى بعث الموتى و يعتقدون الرّجعة إلى الدنيا ، قلدوا دينهم رجلا لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :(١)

يا أهل الحجاز ، أتعيّرونني بأصحابي وتزعمون أنهم شباب ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً ؟ أما والله إني لعالم بتتايعكم فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم ، شبابٌ والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة وأطلاح سهر ، فنظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مرّ أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها و إذا مرّ بآية من ذكر النار شهق شهقة [خوفا منها] كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كَلالهم بكلالهم ، كَلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم واستقلوا ذلك فى جنب الله حتى إذا رأوا السهام قد فُوِّقَتْ والرماحَ قد أُشرعت والسيوف قد انتُضِيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت و بَرقت ، إستخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشاب منهم قُدُماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه وتخضبت

(١) قال : بلغتنى مقالتكم فى اصحابي وما عبتموه من حداثة اسنانهم ، ويحكم ؟ وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا احداثا ؟ شباب والله مكتهلون فى شبابهم غضيضة عن الشر اعينهم ثقيلة عن الباطل ارجلهم ، انضاء عبادة قد نظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية اصلابهم على اجزاء القرآن كلما مر احدهم بآية من ذكر الله بكى شوقا وكلما مر بآية من ذكر الله شهق خوفا ، كأن زفير جهنم بين اذنيه ، قد أكلت الارض جباههم وركبهم ووصلوا كلال الليل بكلال النهار مصفرة الوانهم ناحلة اجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام ، انضاء عبادة موفون بعهد الله متنجزون لوعد الله قد شروا انفسهم حتى إذا التقت الكتيبتان وابرقت سيوفهما وفوقت سهامهما وأشرعت رماحهما تلقوا شبا الاسنة وشائك السهام وظباة السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم ، فمضى الشاب منهم حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينه بالثرى وانحطت عليه الطير من السماء وتمزقته سباع الارض ، فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بها صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فراق الاخوان ، رحمة الله على تلك الابدان وأدخل الله أرواحهم الجنان

بالسماء محاسن وجهه فأسرعت إليه سباعُ الأرض ، وانحطت إليه طيرُ السماء ، فكم من عين فى منقار طائر طال مابكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله . ثم قال : أوه أوه أوه ، ثم بكى ثم نزل .

خطبة قطرى بن الفجاءة

صعد قَطَرِىُّ بنُ الفُجاءة(١) — وهو أحد بنى مازن بن عمرو بن تميم — منبر الأزارقة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنى أحذركم الدنيا فإنها حُلوة خضرة حُفَّتْ بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحُلِّيت بالآمال وتزينت بالغرور ، لاتدومُ حَبْرَتها(٢) ولاتؤمن فَجعتُها ، غرّارة ضَرارة خوّانة غدّارة ، وحائلة زائلة ونافدة بائدة(٣) أكالة غوّالة بدّالة نقالة ، لاتعدو إذا هى تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى « كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هشيما تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُقْتَدِراً » مع أن امرأً لم يكن منها فى حَبرة إلا أعقبته بعدها عَبرة(٤) ، ولم يلق من سَرّائها بطناً إلا منحته من ضَرّائها ظهراً ، ولم تطلُّه غَيْثة رخاء إلا أهطلت عليه مُزنة بلاء(٥) ، وحرِىٌّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسى له خاذلةً مُتنكرة ، وإن جانبٌ منها أعذَوْذَبَ وَاحْلوْلَى أمرَّ عليه جانبٌ وأوْبى(٦) ، وإن أتت امرأً من غضارتها ورفاهتها نِعَمًا

---

(١) قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ وراجع ص ٢٧٠ من الجزء الأول

(٢) الحبرة : السرور والانشراح

(٣) كان فى الاصول : ونافذة بائدة ، وهو خطأ والصواب ما ابتناه . ونافدة وبائدة بمعنى واحد

(٤) العبرة : البكاء

(٥) ولم تطله غيثة رخاء : تمطره غيث خصب ونماء . واهطلت عليه مزنة بلاء : أمطرته سحابة فيها البلاء النازل

(٦) اعذوذب واحلولى : كان عذبا حلوا . أمر وأوبى : صار مرا وبيئا

أرهقته من نوائبها نِقَماً . ولم يمس امروء منها فى جَناح أمن إلا أصبح منها على قَوادم خوف ، غَرور مافيها فانٍ ماعليها لاخير فى شيء من زادها إلاالتقوى، مَن أقل منها استكثر مما يُؤمِّنه ومن استكثر منها استكثر ممايو بقهُ و يطيل حزنه و يبكى عينيه. كم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة إليها قد صرعته وذى احتيال فيها قد خدعته ، وكم من ذى أُبَّهة بها قد صيرته حقيراً وذى نخوة قد ردته ذليلا ، وكم من ذى تاج قد كَبَّتْهُ لليدَين والفم ، سلطانها دول ، وعيشها رَنق[1] وعذبُها أجاج وحلوها صبر ، وغذاؤها سِمام وأسبابها رِمَام وقطافها سَلِع[2] حَيُّهَا بِعَرَض موت وصحيحها بعَرَض سُقم ومنيعها بعرَض اهتضام ، مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب ، مع أن وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعماراً وأوضح منكم آثاراً وأعدَّ عديداً وأكثف جنوداً وأعند عنوداً ؟تَعَبَّدُوا للدنيا أىَّ تعبد وآثروها أىَّ إيثار وظعنوا عنها بالكره والصغار ، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية ! أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب ، بل قد أرهقتهم بالفوادح[3] وضَعضعتهم بالنوائب وعَفرتهم بالمصائب ، وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد الى آخر المُسْنَدْ[4] هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة ! أفهذه تؤثرون أم على هذه تَحرصون أم إليها تَطمئنون ؟! يقول الله « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

(١) كان بالاصول : وغيثها رنق ، واللائق ببلاغة الكلام ما أثبتناه . والعيش الرنق : الحياة الكدرة المشوبة بالاقذاء

(٢) وقطافها سلع : مر خبيث الطعم

(٣) أرهقتهم بالفوادح : حملتهم من المصائب الفارحة مالا طاقة لهم به

(٤) آخر المسند : آخر الدهر

فبئست الدار لمن أقام فيها ! فاعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابد فإنما هي كما وصفها الله باللعب واللهو ، وقد قال الله تعالى « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ » وذكر الذين قالوا مَن أشدُّ منا قوة ؟ ثم قال : حُملوا إلى قبورهم فلا يُدعون رُكباناً ، وأُنزلوا فلا يُدعون ضيفاناً ، وجُعل لهم من الضريح أجنان(١) ومن التراب أكفان ومن الرُّفات جيران(٢) فهم جيرة لا يُجيبون داعياً ولا يمنعون ضيما ، إن أخصبوا لم يَفرحوا وان أقحطوا لم يَقنطوا ، جَمعٌ وهم آحاد وجيرةٌ وهم أبعاد ، متناؤن لا يَزورون ولا يُزارون ، حلماء قد ذهبت أضغانُهم وجُهلاء قد ماتت أحقادُهم ، لا يُخشى فجعُهم ولا يُرجَى دفعهم ، وكما قال الله تعالى « فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ » إستبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسَّعة ضيقاً وبالأهل غُربة وبالنور ظُلمة ، فجاؤها كما فارقوها حُفاةً عُراةً فُرادَى ، غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود الأبد ، يقول الله تعالى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » فاحذروا ما حذَّركم الله وانتفعوا بمواعظه واعتصموا بحبله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ورزقنا وإياكم أداء حقه .

خطبة محمد بن سليمان — يوم الجمعة ، وكان لا يغيرها(٣)

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأُومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله « أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ

(١) اجنان جمع جنة ، وهو ما يجتن به ويستتر

(٢) الرفات : حطام الجسم وهو مفرد مذكر

(٣) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي . كان من سروات بني العباس وامرائهم ولي الحجاز والبصرة والكوفة . وشي بعبد الكريم بن ابي العوجاء إليه وبأنه يضع الأحاديث ويفسد الاحداث ويدخل في الدين ما ليس منه فقتله وشتت شمل الزنادقة . وكان سري الحال جيد الطعام تغدى عنده العماني الشاعر يوما فقدمت إليه الوان من الطعام بهر لها العماني فقال له محمد : صف لنا ما اكلت فقال :

جاؤا بفرني لهم ملبون   بات يسقي خالص السمون

الحقِّ ليظهرَهُ عَلَى الدِّينِ كلِّهِ ولوْ كرهَ المشْرِكونَ » من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعُرْوةِ الوُثْقى وسعد فى الأولى والآخرة « ومَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فقدْ ضلَّ ضَلالاً بعيداً » وخسر خسراناً مبيناً . أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يُطيعه ويُطيع رسوله ويتبع رضوانه ويتجنب سخطه فإنما نحن له وبه ، أُوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحُثُّكم على طاعة اللهِ وأرضى لكم ما عند الله فإن تقوى الله أفضل ما تحاثَّ الناسُ عليه وتداعَوْا إليه وتواصَوْا به « فاتَّقُوا اللهَ ما استطعتمْ ولا تمُوتُنَّ إلَّا وأنتمْ مُسْلِمونَ »

خطبة عبيد الله بن زياد (١)

صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية ، وحيث بلغه أن سَلمةَ بنَ ذؤيبٍ الرياحى قد جمع الجموع يريد خلعه . فقال :

مصومع اكوم ذى غضون قد حشيت بالسكر الطحون
ولونوا ما شئت من تلوين من بارد الطعام والسخين
ومن شراسيف ومن طرذين ومن هلام ومصيص جون
ومن إوز فائق سمين ومن دجاج فت بالعجين
فالشحم فى الظهور والبطون واتبعوا ذلك بالجوزين
وبالخبيص الرطب واللوزين وفكهوا بعنب وتين
والرطب الازاذ والميرون محمد يا سيد النبيين
وبكر بنت المصطفى الامين الصادق المبارك الميمون
وابن ولاة البيت والحجون إسمع لنعت غير ذى تفنين
يخرج من فن إلى فنون إن الحديث قيل ذو شجون

(١) هو عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان . كان يكنى أبا حفص ، وكان زياد بعد مولد عبيد الله قد طلق أمه مرجانة وزوجها من شيرويه الاسوارى ودفع إليها عبيد الله فنشأ بين الاساورة ومن هنا جاءته اللكنة . ولاه معاوية خراسان ثم ولى البصرة خمس سنين فلما مات أبوه ضمت إليه الكوفة فكانت ولايته على العراقين ثمان سنين . وفى عهده خرج الحسين بن على فسير إليه الجيوش بامر يزيد بن معاوية وعليها عمر بن سعد بن ابى وقاص فقتل رحمه الله . فلما مات يزيد بن معاوية ثار به أهل البصرة واخرجوه من داره بعد خطبته التى رواها الجاحظ فى الاصل فاستجار بمسعود بن عمرو الازدى فلما قتل مسعود هرب إلى الشام فكان مع مروان بن الحكم وكان يوم مرج راهط على إحدى مجنبتى عسكره فلما ظفر مروان بالضحاك بن قيس الفهرى وقتله رده مروان إلى العراق فبينما هو قد قرب من الكوفة التقى به ابراهيم بن الاشتر النخعى على جيش من جيوش المختار بن

يا أهل البَصرة انسبونى ، فوالله ما مُهاجَرُ أبى إلا إليكم وما مولدى إلا فيكم وما أنا إلا رجل منكم ، والله لقد وليكم أبى وما مُقاتلتكم إلا أربعون ألفاً فبلغ بها ثمانين ألفاً ، وما ذُريتكم إلا ثمانون ألفاً وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف ، وأنتم أوسع الناس بلاداً وأكثره جنوداً وأبعد مَقادا وأغنى الناس عن الناس ، أنظروا رجلا تُولونه أمركم يَكِفُّ سُفهاءكم ويُجْبِى لكم فَيئكم ويَقسمه فيما بينكم فإنما أنا رجل منكم . فلما أبوا غيره قال : إنى أخاف أن يكون الذى يدعوكم الى تأميرى حداثة عهدكم بأمرى.

وصية معاوية بن أبي سفيان

ولما حضرت مُعَاوِيةَ الوفاةُ ويزيدُ غائب دعا مُعاويةُ مُسْلِمَ بنَ عُقْبَةَ المُرِّى والضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الفِهْرِىَّ فقال :

أبلغا عنى يَزيْدَ وقولا له : أنظر إلى أهل الحجاز فهم أصلُكَ وعترَتُكَ فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعهده ، وانظر الى أهل العراق فإن سألوك عزل عامل لهم فى كل يوم فاعزله عنهم فإنَّ عزل عامل أهون عليك من سَلِّ مائة ألف سيف ثم لا تدرى على ما أنت عليه منهم ، ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشِّعارَ دون الدِّثار فإن رابك من عدوك رَيْبٌ فارمهم بهم فإن أظفرك الله بهم فاردد أهلَ الشام إلى بلادهم ولا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدَّبوا بغير أدبهم . لست

ابى عبيد الثقفى فناجزه الحرب فظفر به وقتله فى ثار الحسين وكان ذلك يوم عاشوراء سنة ٦٧ هـ

وفى قتل الحسين بن على قال سليمان بن قتة التيمى يرثيه :

مررت على أبيات آل محمد	فلم أرها كعهدها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها	وإن اصبحت من اهلها قد تخلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم	اذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا رجاء ثم صاروا رزية	ألا عظمت تلك الرزايا وجلت
وعند غنى قطرة من دمائنا	سنجزيهم يوما بها حيث حلت
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها	وتقتلنا قيس إذا النعل زلت

أخاف عليكَ غيرَ عبدِ اللهِ بنِ عُمرٍ(١) وعبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ وحُسَينِ بنِ على ، فأما عبد الله بن عُمَرٍ فرجل قد وقذه الورع ، وأما الحسينُ فإنى أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب . وفى غير هـذه الرواية : فإن ظفرت بابن الزُّبير فقطعه إربا . فمات معاوية فقام الضَّحَّاكُ ابنُ قَيْسٍ خطيباً فقال :

إن أميرَ المؤمنين مُعاويةَ كانَ أنفَ العرب ، وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومُخلونَ بينه وبين ربه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره . فصلى عليه الضَّحَّاكُ بن قيس ، ثم قدم يَزيدُ ولده فلم يُقدِمْ أحدٌ على تعزيته(٢) حتى دخل عليه عبدُ الله بنُ هَمَّامٍ السَّلولِيُّ فأنشأ يقول :

إصْبرْ يَزِيدُ فقدْ فارَقْتَ ذَا كَرَمٍ ... واشْكرْ حِبَاءَ الَّذِى بالملْكِ أصْفاكَ(٣)
لا رُزْءَ أصْبَحَ فى الأقْوامِ قدْ عَلِمُوا ... كما رُزِئْتَ وَلا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ(٤)
أصْبَحْتَ رَاعِىَ أَهْلِ الدِّينِ كلِّهِمِ ... فأَنْتَ تَرْعَاهمُ واللهُ يَرْعَاكَ(٥)

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، كان يكنى ابا عبد الرحمن . اسلم مع أبيه بمكة وهو صغير وشهد المشاهد بعد يوم بدر وأحد . وكان ممن توقف عن البيعة لعلى تحرجا من الفتنة ولم يشهد معه ولا مع خصومه شيئاً من تلك الأحداث ، وكان جليل القدر مبجلا مخشي الجانب موقرا كثير الورع والتقوى . وقد زعم ناس انه دخل على الحجاج ايام عبد الملك وقال له يدك ابايعك لعبد الملك فمد الحجاج إليه رجله وكان نائماً وقال له اصفق على هذه ! وأنا اشك فى هذه الرواية . وكان الحجاج يخشى جانبه ويخاف نفوذه وقوة تأثيره فدس إليه رجلا من جنده فسم زج رمحه والتقى معه فى الطريق فزحمه وطعنه فى ظهر قدمه بالزج المسموم فتورمت قدمه وسري السم في جسمه فمات رحمه الله .

(٢) وقد روى المبرد (انه خرج وهو مريض) فخطب الناس فقال : ايها الناس، إنى من زرع قد استحصد ولن يأتيكم بعدى إلا من انا خير منه كما لم يكن قبلى إلا من هو خير منى . وقال لبناته عند وفاته : قلبننى إنكن لتقلبن حولا قلبا إن وقى كبة النار . فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بابيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال : السلام عليك امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . إنك قد فجعت بخير الآباء واعطيت خير الاشياء فاصبر على الرزيئة واحمد الله على حسن العطية ، فلا اعطى احد كما اعطيت ولا رزىء كما رزئت . فقام ابن همام السلولى فانشده

(٣) رواية المبرد : فقد فارقت ذا مقة . واشكر بلاء .

(٤) رواية المبرد : ماإن رزى احد فى الناس نعلمه

(٥) رواية المبرد : أصبحت تملك هذا الخلق كلهم

وفى مُعاوِيةَ البَاقى لَنا خلَفٌ   إذا نُعِيتَ ولا تَسْمَعْ بمَنْعَاكَ[١]

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك .

خطبة قتيبة بن مسلم الباهلى

قام بخُراسانَ حين خَلعَ [٢] فقال : أتدرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يَزيدَ بنَ ثَرْوَانَ — يعنى هَبنَّقَةَ القَيسىَّ[٣] — كأنى بأمير من حاء وحَكَم[٤] قد أتاكم يحكم فى أموالكم وفروجكم وأبشاركم ، ثم قال : الأعرابُ وما الأعراب فلعنة الله على الأعراب ، جمعتكم كما يجمع قرع الخريف من منابت الشيح والقيصوم ومنابت القلقل[٥] وجزيرة ابن كاوان[٦] تركبون البقر وتأكلون القَضْبَ[٧] فحملتكم على الخيل وألبستكم السلاح ، حتى فتح الله بكم البلاد[٨] وأفاء بكم الفىء . قالوا : مُرنا بأمرك ؟ قال : غُرّوا غيرى . وخطب مَرة أخرى فقال :

يا أهل العراق : ألست أعلم الناس بكم ؟ أمَّا هذا الحى من أهل العالية فنَعَمُ الصدَقة[٩] ، وأما هذا الحى مِن بَكر بنِ وَائل فعِلجَة بَظراء لا تجمع رجليها ،

---

(١) يريد معاوية بن يزيد

(٢) حين خلع : يعنى خلع بيعة سليمان بن عبد الملك

(٣) كان فى الاصول : يزيد بن ثوران ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وهبنقة هذا هو المضروب به المثل فى الحمق فى العرب ، وكان يكنى أبا الودعات لانه نظم لنفسه ودعا فى سلك وجعله فى عنقه علامة له لئلا يضيع . قيل إن أخاه أخذ العقد من عنقه وهو نائم وجعله فى عنق نفسه فلما انتبه هبنقة ورأى العقد فى عنق أخيه قال له : انت انا فأنا من هو ياترى ؟ ! ومن طريف حمقه انه كان إذا رعى غنما أو إبلا جعل خير المراعى للسمان ونحى عنها المهازيل وقال : لا أصلح ما افسد الله . وله أخبار كثيرة غاية فى الغرابة

(٤) كان بالاصول : كانى بامير مزجاه . وهذا كلام غير مستقيم مع ما بعده ولذلك اصلحته بما فى الاصل . وحاء وحكم اسما قبيلتين مغمورتين

(٥) القلقل : نبت له حب اسود حسن الشم

(٦) جزيرة ابن كاوان . جزيرة عظيمة فى بحر فارس بين عمان والبحرين ، وكانت من اجل جزائر البحر الفارسى فتحها عثمان بن أبي العاص الثقفى ايام عمر بن الخطاب وهو فى طريقه إلى غزو فارس فى البحرين ، وكانت عامرة آهلة بالسكان ذات قرى ومزارع وزارها المسعودى فى رحلاته سنة ٣٣٢ فرآها عامرة آهلة .

(٧) كان بالاصول : العضب ، العضبة ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه . والقضب : الرطب من القت .

(٨) كان بالاصول : حتى منع الله بكم البلاد ، والصواب كما اثبتناه

(٩) نعم الصدقة : الابل التى ياخذها المصدق فى نظير الخراج

وأما هذا الحى من عبد قيس فما ضرب العَيْرُ بذنبه ، وأما هذا الحى من الأزد فَعُلُوج خلق الله وأنباطه ، وأيم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم ، فأما هذا الحى من تميم فإنهم كانوا يسمون الغَدْرَ فى الجاهلية كَيْسا .

وخطب مرة أخرى فقال :

يا أهل خُراسان ، قد جربتم الوُلاةَ قبلى ، أتاكم أمية (١) فكان كاسمه أمية الرأى وأمية الدين فكتب إلى خليفته : إن خراج خُراسان وسِجِسْتَان لو كان فى مطبخه لم يكفه ، ثم أتاكم بعده أبو سَعيد (٢) فدوخ بكم البلاد لا تدرون أفى طاعة أنتم أم فى معصية ، ثم لم يَجْبِ فيئاً ولم يُنْكِ عدواً ، ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطْبَاءِ الكَلْبة (٣) منهم ابن الرحمة حصان يضرب فى عانة (٤) ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده . ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلادَ وأمّن لكم السُّبُل حتى أن الظعينة لتخرج من مَرْو إلى سَمَرقند فى غير جوار (٥)

---

(١) هو امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد ، وكان ممن ولى خراسان

(٢) ابو سعيد : هو المهلب بن ابي صفرة

(٣) اطباء الكلبة : حلماتها التى ترضع منها اولادها

(٤) يريد به يزيد بن المهلب ، والعانة : جماعة الاتن الوحشية ، ويضرب فيها : ينزو عليها

(٥) كان قتيبة اميرا على خراسان في سنة ٨٦ علي عهد الوليد بن عبد الملك ، فمكن الله له في تلك البلاد وفتح كثيراً من بلاد الترك وما زال فى فتوحاته وغزواته حتى بلغ بلاد الصين . فلما عزم الوليد على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد والمبايعة بها لولده عبد العزيز كان قتيبة ممن أجاب إلى ذلك وجد فيه . فمات الوليد قبل بلوغه أمنيته هذه وتولى من بعده سليمان بن عبد الملك . فخافه قتيبة وعلم أنه لابد عازله من ولايته ، فقام خطيباً ينادي بخلعه وألقى كلمته التى رواها الجاحظ فى الاصل . فلما لم يجبه احد دخل منزله وأتاه أهل بيته فقالوا له : مارأينا كاليوم قط ! والله ما تصرت على أهل العالية وهم شعارك ودثارك حتى تناولت بكر بن وائل وهم أنصارك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يدك ! فقال : لما تكلمت فلم يجبنى أحد لم أدر ماقلت ! ثم إن القوم خلعوا ولايته عليهم . وأمروا وكيع بن ابى سود التميمى وزحفوا عليه وهو بفسطاطه فأطبقوا عليه وقتلوه واحدعشر رجلا من اهل بيته ، وكان ممن قتل معه من اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح والحصين وعبد الكريم ومسلم . فلما قتل قال رؤساء العجم : يامعشر العرب قتلتم قتيبة ! والله لو كان منا ثم مات لجعلناه فى تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا . وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلى يرثيه :

كأن ابا حفص قتيبة لم يسر بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا

ولم تخفق الرايات والجيش حوله صفوفا ولم يشهد له الناس عسكرا

خطبة الأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه وصلى على نبيه :

يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الصهر وأشقاقنا فى النسب (١) وجيراننا فى الدار ويدنا على العدو ، والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ، فإن استشرف شنآنكم (٢) وأبى حسد صدوركم ففى أموالنا وسعة أحلامنا لكم سعة .

خطبة جامع المحاربى

ومن محارب جامع كان شيخا صالحا خطيبا لسنا ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بنيتها فى غير بلدك وأورثتها غير ولدك ، وكذلك من قطعه العُجب عن الاستشارة ، والإستبداد عن الاستخارة .

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق وتَنَقَّمَ مذهبهم وتَسَخَّطَ طريقهم فقال له جامع : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ما شنؤوكَ لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك ، فدع ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك ، والتمس العافية ممن دُونك تعطها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدِك ووعيدُك بعد وَعدِكْ .

قال الحجاج : إنى والله ما أرى أن أرُدّ بنى اللَّكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف ! فقال: أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار . فقال الحجاج : ألخيار يومئذ لله . قال : أجل ، ولكن لاتدرى لمن يَجْعلهُ الله ! فغضب الحجاج وقال : ياهناه (٣) إنك من محارب ! فقال جامع :

دعته المنايا فاستجاب لربه وراح إلى الجنات عفا مطهرا
فما رزىء الاسلام بعد محمد بمثل أبي حفص فيكيه عبهرا

وراجع ص ٢٩٦ من الجزء الاول

(١) اشقاقنا : اشطرنا وانصافنا

(٢) استشرف : اطل ونجم وظهر . والشنآن : العداوة والبغضاء

(٣) ياهناه : هذه كلمة تقولها العرب عند إرادة التحقير والتنكير ، وهى بمعنى : ياشىء !

وَالْحَرْبِ سُمِّينَا وَكَانَ مُحَارِبًا   إِذَا مَا الْقَنَا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أَحْمَرَا (١)

فقال الحجاج : والله لهممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك !

فقال جامع : إن صدقناك أغضبناك وإن غششناك أغضبنا الله ، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله . قال : أجل ، وسكن .

وشغل الحجاج ببعض الأمر وانسلّ جامع فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق — وكان الحجاج لا يخلطهم — فأبصر كوكبةً فيها جماعة من بكر العراق وتميم العراق وأزد العراق وقيس العراق ، فلما رأوه اشرأبوا إليه و بلغهم خروجه فقالوا له : ما عندك ، دافع الله لنا عن نفسك ! فقال: ويحكم ، عمُّوهُ بالخلع كما يعمُّكُمْ بالعداوة ودعوا التعادي ماعاداكم فإذا ظفرتم به تراجعتم وتعاقبتم ، أيها التميمي هو أعدى لك من الأزدي ، ويا أيها القيسي هو أعدى لك من التغلبي ، وهل ظفر بمن ناوأه إلا بمن بقي معه منكم ؟ وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام فاستجار بزُفَرِ بْنِ الحارثِ (٢)

خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي

وخطب الحجاج فقال : (٣)

أللهم أرني الغيّ غيا فأجتنبه، وأرني الهدى هدى فأتبعه ، ولا تكلني إلى نفسي فأضل ضلالا بعيداً ، والله ما أُحب أن مامضى من الدنيا بعمامتي هذه ، ولما بقي أشبه بما مضى من الماء بالماء .

(١) قال الجاحظ : والبيت للخضري .

(٢) هو ابو الهذيل زفر بن الحارث الكلابي ، كان سيد قيس كلها في زمانه وكان فارسا مغوارا وشجاعا بطلا صاحب وقائع وغارات ، وكان جواداً كريما عزيز الجانب ، مع الشعر والخطابة والبيان الطلق . وكان في الطبقة الأولى من التابعين ، أميرا من أكابر الأمراء وكان يقيم مع قومه وعشائره بالجزيرة ، شهد صفين مع معاوية اميرا على جند قنسرين وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس . وقد كان بنو أمية يجلونه ويخشون جانبه . وللشعراء فيه مدائح واهاج جياد ، شأن كل عظيم

(٣) راجع ص ٩٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ من الجزء الأول

وخرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة فسمع تـكبيرا فى السوق فراعه ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

ياأهل العراق ، ياأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق وبنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء وَالْفقع بالقَرْقَرِ [١] ، إنى سمعتُ تكبيراً لا يراد به الله وإنما يراد به الشيطان ، وإنما مَثَلى ومَثَلُكم ما قال عَمْرُو بْنُ بَرَّاقِ الْهَمْدَانِى [٢] :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِى غَزَوْتُهُمْ　　فَهَلْ أَنَا فِى ذَايَالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ ؟

(١) الفقع بالقرقر : البيضاء الرخوة من الكمأة ، ويقال للذليل هو اذل من فقع بقرقر لأنه لايمتنع على من أجتناه ولأنه يوطأ بالأرجل .

(٢) هو عمرو بن براق ، ويقال ابن براقة ، الهمدانى ، كان من صعاليك العرب ومن مشهورى عدائيها وكان شاعراً مجيداً ، وكان من الشجاعة والفروسية على الجانب المخوف ، كان هو والسليك بن السلكة وتأبط شراً لايكادون يفترقون في الغارات على أحياء العرب . وله حوادث واخبار غاية فى الغرابة . وكان السبب فى هذه الأبيات أن حريما رجلا من مراد اغار على ابل وخيل لابن براق فذهب بها ، فجاء عمرو إلى امرأة كان يتحدث إليها فأخبرها الخبر وانه يريد الغارة على حريم فنهته وحذرته فخالفها، واغار على حريم فاستاق كل شىء له ولم ينل حريم منه مأربا فقال عمرو فى ذلك :

تقول سليمى لاتعرض لتلفة　　وليلك عن ليل الصعاليك نائم
وكيف ينام الليل من جل ماله　　حسام كلون الملح أبيض صارم
غموض إذا عض الكريهة لم يدع　　لها طمعا طوع اليمين ملازم
نقدت به ألفا وسامحت دونه　　على النقد إذ لايستطاع الدراهم
ألم تعلمى أن الصعاليك نومهم　　قليل إذا نام الخلي المسالم
إذا الليل أدجى وا كفهرت نجومه　　وصاح من الافراط هام جوائم
ومال بأصحاب الكرى غالباته　　فانى على أمر الغواية حازم
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها　　مراغمة مادام للسيف قائم
تحالف أقوام على ليسلموا　　وجروا على الحرب إذ أنا سالم
أفاليوم أدعى للهوادة بعد ما　　أجيل على الحي المذاكى الصلادم
فان حريما إذ رجا أن يضمها　　ويذهب مالى يا ابنة القيل حالم
متى تجمع القلب الذكى وصارما　　وأنفا حميا تجتنبك المظالم
ومن يطلب المال الممنع بالقنا　　يعش ماجدا أو تخترمه المخارم
وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم　　فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم
فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا　　ونضرب بالبيض الرقاق الجماجم
ولا امن حتى تغشم الحرب جهرة　　عبيدة يوما والحروب غواشم
أمستبطىء عمرو بن نعمان غارتى　　وما يشبه اليقظان من هو حالم
إذا جر مولانا علينا جريرة　　صبرنا لها إنا كرام دعائم
وننصر مولانا ونعلم أنه　　كما الناس مجروم عليه وجارم.

مَتى تَجْمعِ القَلْبَ الذَّكىَّ وَصارِماً وَأَنْفاً حَمِياً تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ

أما والله لا تَقرَعُ عَصا عصاً إلا جعلتها كأمس الدابر .

خطبة كلثوم بن عمرو (١)

أما بعد فانه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه ، ولا يعبر عنه فى تزكية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته وائتمانه إياهم على حرمته .

خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

ولما قتل يَزيدُ بنُ الوَليد ابنَ عمه الوَليدَ بنَ يَزيدِ بن عَبد الملك بن مَرْوَان قام خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، والله ما خرجت أشَراً ولا بَطَراً ولا حرصاً على الدُّنيا ولا رَغبةً فى الملك ، وما بى إطراء نفسى وإنى لظلوم لها ولقد خَسرتُ إن لم يرحمنى ربى ، ولكنى خرجتُ غضباً لله ودينه وداعيا إلى الله وسنة نبيه لما هُدمت معالم الهدى وأطفىء نورُ التقوى وظهر الجبار العنيد المستحلُّ لكل حُرمةٍ والراكبُ لكل بدعة ، مع أنه والله ما كان يُؤمِنُ بيوم الحساب ولا يُصدقُ بالثواب والعقاب ، وإنه لاَبنُ عمى فى النسب وكُفْئى فى الحسب ، فلما رأيت ذلك استخرت الله فى أمره وسألته أن لا يَكلنى إلى نفسى ودعوت إلى ذلك من أجابنى مِن أهل ولايتى حتى أراح الله منه العباد وطَهَّرَ منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى .

أيها الناس ، إنَّ لكم علىَّ أن لا أضع حجراً على حجر ولا لَبِنة على لَبِنةٍ ولا أكرى نهراً ولا أكنز مالا ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً ولا أنقلْ مالا من بلد إلى بلد حتى أُسدَّ فقرَ ذلك البلد وخَصاصة أهله بما يغنيهم ، فان فضل فضلٌ نقلته إلى البلد الذى يليه ممن هو أحوج إليه منه ، وأن لا أُجَمِّرَكُمْ فى ثُغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أُغلق بابى دونكم فيأ كل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على

(١) كان بالاصول : عمرو بن كلثوم ، وهو خطأ ، والصواب ماأثبتناه ، وهو كلثوم بن عمرو العتابى الشاعر المشهور

أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم ، ولكم عندى أعطياتكم فى كل سنة وأرزاقكم فى كل شهر حتى تُستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإذا أنا وَفَيْتُ لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة وإن أنا لم أفِ لكم فلكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبونى ، فإن أنا تُبت قبلتم منى ، وإن عَرَفتم أحدا يقوم مقامى ممن يُعرف بالصلاح يُعطيكم مِن نفسه مثل ما أُعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه ودخل فى طاعته .

أيها الناس ، لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

فلما بويع مَرْوانُ بنُ محمد نبشه وصلبه . وكانوا يقرأون فى الكتب : يامبذر الكنوز ياسجاداً بالأسحار ، كانت ولايتك رحمة وعليهم حُجة ، أخذوك فصلبوك .

خطبة يوسف بن عمر

قام خطيبا فقال :

إتقوا الله فكم مِن مُؤَمل أملا لايبلغه ، وجامعٍ مالا لا يأكله ، ومانعٍ عما سوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه ، أصابه حراماً وأورثه عدوًّا ، فاحتمل إصْره وباء بوِزره وورد على ربه آسفاً لاهفاً « قَدْ خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِيْن »

كلام زعماء الوفود عند عمر بن الخطاب

وفد هِلاَلُ بْنُ وَكِيعٍ والأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَزَيْدُ بْنُ جَبَلة ، على عُمَرَ فقال هِلال بْنُ وكيعٍ :

يا أمير المؤمنين ، إنا لُبابُ مَن خَلفنا وغُرَّةُ مَن وراءنا من أهل مِصرنا ، فإنك إن تصرفنا بالزيادة فى أعطياتنا والفرائض لعيالاتنا يزيد ذلك الشريفَ

تأميلا وتكن لذوى الأحساب أبا وصولا ، فانا إن نكن — مع ما نَمُتُّ به (١) من فضائلك ونُدْلى من أسبابك — كالجدّ الذى لا يحل ولا يرحل ، نرجع بأنُفٍ مصلومة وجُدودٍ عاثرة ، فأمِحْنا (٢) وأهلينا بسَجْلٍ من سِجالكَ المُتْرَعة (٣)

وقام زَيدُ بْنُ جَبَلةَ فقال:

يا أمير المؤمنين، سَوِّدِ الشَّريف وأكرم الحسيب وازرع عندنا من أياديك ما نسد به الخصاصة ونطرد به الفاقة فإنّا بقُفٍ (٤) من الأرض يابس الأكناف مُقْشَعِرّ الذّروة لا شجر فيه ولا زرع ، وإنا من العرب اليوم — إذ أتيناك — بمرآى ومسمع .

فقام الأحنفُ فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله والحرصُ قائد الحرمان ، فاتق الله فيما لا يُغنى عنك يوم القيامة قيلا ولا قالا ، واجعل بينك و بين رعيتك من العدل والانصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود واستماحة المُمْتَاح (٥) ، فان كل امرىء إنما يجمع فى وعائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين وتخونهم الألسن فلا يُوفَدُ إليك يا أمير المؤمنين !

خطبة الحجاج بن يوسف

خطب أهل العراق بعد دَيْر الجماجم فقال : (٦)

يا أهـل العراق ، إن الشيطان قد استَبْطَنَـكُمْ فخالط اللحم والدم والعَصَبَ والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ثم أفضى إلى الامخاخ (٧) والأصماخ ثم

(١) نمت به : نتوسل بسببه
(٢) فامحنا : فاقبل شفاعتنا واعطنا سولنا
(٣) السجل : الدلو الكبير . والمترعة : المملوءة . والكلام هنا من طريق الاستعارة
(٤) القف : الحزن من الأرض لاماء فيه ولا مرعي
(٥) الممتاح : طالب الحاجة
(٦) مكان كانت به وقائع بين جيوش الحجاج وابن الاشعث
(٧) كان بالاصول : الامخاخ ، وهو خطأ والصواب ماأثبتناه

ارتفع فعشش ثم باض وفرخ، فحشا كم نفاقا وشقاقاً وأشعركم خلافاً، أخذتموه دليلا تتبعونه وقائداً تطيعونه ومؤامراً تستشيرونه، فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو ينفعكم بيان! ألستم أصحابي بالأهواز (١) حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته!؟ وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذاً وتنهزمون سراعا! ثم يوم الزاوية (١)، ومايوم الزاوية! بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقصمتكم (٢) الرماح، ثم يوم دير الجماجم (١) وما يوم دير الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله.

يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات! إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم (٣) وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم (٤) وإن خفتم نافقتم، لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة، هل استخفكم ناكث أو استغواكم غاوٍ أو استنصركم ظالم أو استعضدكم (٥) خالع! إلا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورحبتموه..!؟ يا أهل العراق، هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره!؟ يا أهل العراق، ألم تنهكم المواعظ، ألم تزجركم الوقائع..!؟

ثم التفت الى أهل الشام فقال:

يا أهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه (٦)، ينفي عنها المدر

(١) اماكن كانت بها وقائع بين الحجاج وابن الاشعث
(٢) كان بالاصول: وقصمكم. وليس هذا مكانها والصواب ما اثبتناه
(٣) غللتم: سرقتم
(٤) ارجفتم: اذعتم اخبار السوء
(٥) استعضدكم: اتخذكم له اعضادا
(٦) الظليم: ذكر النعام. الرامح: الدافع برجله

و يباعد عنها الحجر و يكنها من المطر ويحميها من الضِّباب و يحرسها من الذئاب ! يا أهل الشام ، أنتم الُجنَّةُ والرِّداء وأنتم العُدة والحِذاء .

فضيلة الصبر على المصيبة

وقال رجل لُحذيفة(١) : أخشى أن أكون منافقاً ! فقال: لو كنت منافقاً لم تخش ذلك ! وقال آخر : إعلم أن المصيبة واحدة إن صبرت ، وإن لم تصبر فهما مصيبتان ، ومصيبتك بأجرك أعظم من مصيبتك بميتك . وقال صالحُ ابن عَبْدِ القُدُّوسِ :

إنْ يكُنْ مَابِهِ أُصِبْتَ جَلِيلاً فذَهَابُ العزَاءِ فيهِ أَجَلُّ

وقال آخر : تعز عن الشيء إذا مُنعته لقلة ما يصحبك إذا أعطيته ، وماخفف الحساب وقلله خير مما كثَّره وثقَّله .

وحدثنا أبو بكر الهذلي ، واسمه سَلْمِيّ ، قال: إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل: إذا كان حلالا وكثرت الأيدى عليه وسمى الله فى أوله وحمد فى آخره .

خطبة لزياد بن أبي سفيان

وخطب زياد فقال :

استوصوا بثلاثة منكم خيراً : ألشريف والعالم والشيخ ، فوالله لايأتيني شيخ بشاب قد استخف به إلا أوجعته ، ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به إلا نكلتُ به ، ولا يأتيني شريف بوضيع استخف به إلا انتقمت له منه .

وصية حاتم الطائي لابنه

وقال حاتم طى لعدى ابنه : أى بُنيّ ، إن رأيت أن الشر يتركك إن تركته فاتركه

(١) هو حذيفة بن اليمان ، كان من اجلاء الصحابة ، وهو من بنى عبس وعداده فى بنى عبدالاشهل فهو يعد من الانصار ، شهد المشاهد بعد بدر وتوفى بالمدائن سنة ٣٦ هـ

وصية عدى بن حاتم لابنه

وقال عدى بن حاتم [1] لابن له : قم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف . قال : لا والله ، لا يكون أول شيء وليته من الدنيا منع قوم من طعامك !

وقال مدينى لعبدالملك بن مروان ودخل عليه بنوه : أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك فى أبيك . وقال ابن شُبرمة : ذهب العلم إلا عبارات فى أوعية سوء .

الهيثم بن عدى [2] عن ابن عياش عن أبيه قال : خرج الحجاج إلى الفارسان ، فإذا هو بأعرابى فى زرع . فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل عُمان . قال : فمن أى القبائل ؟ قال : من الأزد . قال : ما علمك بالزرع ؟ قال : إنى لأعلم من ذلك علماً ؟ قال : فأىُّ الزرع خير ؟ قال : ما غلظ قصبه واعتمّ نبته وعظمت جُثته ، وطالت سُنبلته . قال : فأى العنب خير ؟ قال : ما غلظ عموده واخضر عوده وعظم عُنقوده ! قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لِحاؤه ودق نواه ورق سحاؤه

باب سوء اللغز فى الجواب

قالوا : كان الحطيئة يرعى غنما وفى يده عصا فمرّ به رجل فقال : يا راعى الغنم ما عندك ؟ قال : عَجْرَاء من سَلَمْ — يعنى عصاه — قال : إنى ضيف ! قال للضِّيفانِ أعددتُها !

(١) هو عدى بن حاتم الطائى كان من أجلاء الصحابة وشجعانهم واجوادهم . وكان طويلا إذا ركب الفرس كادت رجله تخط فى الارض ، قدم على عمر بن الخطاب فكأنه رأى جفاء منه فقال له : أما تعرفنى ؟ قال : بلى والله أعرفك أكرمك الله بأحسن المعرفة اسلمت إذ كفروا وعرفت إذ انكروا ووفيت إذ غدروا واقبلت إذ ادبروا ! فقال : حسبى يا امير المؤمنين . كان مع على يوم الجمل ففقئت عينه وقتل ابنه محمد ، وشهد معه يوم صفين . ومات فى زمن المختار بن ابي عبيد الثقفى وله من العمر ١٢٠ سنة ولا عقب له

(٢) هو الهيثم بن عدى الراوية الاخباري المشهور . وهو فى طيء . كان فخم العبارة جيد القول يذهب مذاهب الاعراب فى التشديق والتقعير . وكان يرى رأى الخوارج . وقد يروي الضعيف والمصنوع . ولد سنة ١٢٨ ومات سنة ٢٠٩ ه

وقال ابن سليم : إن قَيْسَ بنَ سعدِ بنِ عُبادَةَ قال : أللهم ارزقني حمداً ومجداً فانه لاحمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال .

وقال خالدُ بنُ الوليدْ[1] لأهل الحيْرَة : أخرجوا إليّ رجلا من عقلائكم ؟ فأخرجوا إليه عَبْدَ المسيحِ بنَ عمْرِو بنِ قَيْسِ بنِ حيَّان بن بقَيْلَةَ الغسَّاني[2] وهو الذي بنى القصر ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة ، فقال له خالد : مِن أين أقصى أثرك ؟ قال : من صُلْب أبي ! قال : فمن أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي ! قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض ! قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابي ! قال : ما سنُّك ؟ قال : عظم ! قال: أتعقل لاعقلت ؟ قال : إي والله وأقيد ! قال : إبن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد ! قال كم أتى عليك من الدهر ؟ قال : لو أتى على شيء لقتلني ! قال: ماتزيدني مسألتُك إلا غماً ! قال : ما أجبتك إلا عن مسألتك ! قال : أعربٌ أنتم أم نَبَطٌ ؟ قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا !

---

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي . الامير الجليل الصحابي النبيل سيد الغزاة وإمام الفاتحين واحد مفاخر الاسلام في الحرب والتدبير ، فارس الفرسان وبطل الشجعان . كان على خيل المشركين في بدر واحد والخندق ، ثم أسلم هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة في يوم واحد سنة ثمان . وأمه لبابة الصغرى أخت ميمونة زوج النبي وأخت لبابة الكبري زوج العباس بن عبد المطلب . حمى المسلمين يوم مؤتة فلقبه النبي سيف الله . وقام بتدبير الحرب وقيادة الجيوش في حروب الردة وقتل مسيلمة الكذاب ومالك بن نويرة وهزم طليحة الكذاب وافتتح عين التمر وعامة الشام وهزم جيوش الروم . وله مواقف ومشاهد تعد قدوة للغزاة والفاتحين . ولما حضرته الوفاة قال: لقد لقيت كذا وكذا زحفا فما في جسدي موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وهاأنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير ! فلا نامت أعين الجبناء . ومات بحمص سنة ٢١ هـ

(٢) كان بالأصول : ابن نفيلة ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وقد أدرك الاسلام ولم يسلم ومات على نصرانيته . وكان بنى قصرا كما بنى ديراً بظاهر الحيرة يعرف بدير الحرعة . وكان من أكابر قومه ورؤسهم ذا حكمة وبيان وفصاحة ولسان ، ولما بنى القصر قال :

بنيت لطارق الحدثان حصنا   لو ان المرء تنفعه الحصون
رفيع الرأس احوى مشمخرا   لأنواع الرياح به حنين

ولما خرج إلى خالد واخذا في المفاوضة بشأن الحيرة واهلها راى خالد بيده زجاجة صغيرة يقلبها بين اصابعه فسأله خالد عن الزجاجة وعما بداخلها فقال أن فيها سم ساعة وقد اعددته لا تجرعه متى رايت أن كلامي معك اسفر عن مالا يرضى به قومي وتستريح إليه نفسي ! فاكبره خالد وارضاه وصالحه عن قومه بما أرضاهم

قال : فحرب أنتم أم سلْم ؟ قال : سلم ! قال : فما بال هذه الحصون ! ؟ قال : بنيناها للسفيه حتى يجىء الحليم فينهاه ! قال : كم أتت عليك سنة ؟ قال : خمسون وثلثمائة ! قال : ما أدركتَ ؟ قال : أدركتُ سفنَ البحر ترفأ إلينا فى هذا الجرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها على رأسها ولا تتزود إلا رغيفاً واحداً فلاتزال فى قرًى مخصبة متواترة حتى ترد الشام ثم قد أصبحت خرابا يبابا ، وذلك دأب الله فى العباد والبلاد .

وأتى أزْهَرَ بنَ عبدِ الحارثِ رجلٌ من بنى يَرْبوعٍ فقال : ألا أدخل ؟ قال : وراءك أوسع لك ! فقال : إن الشمس أحرقت رجلىّ ! قال : بُلْ عليهما تبردا ! قال : يا آل يَربوع ! ؟ قال : ذليلا دعوت ، يا بنى حُريص أطعمتكم عاما أول جُلَّةً (١) فأكلتم جُلتكم وأغرتم على جُلَّةِ الضِّيفان .

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : أجمعتَ القرآن ؟ قال : أمتفرقا كان فأجمعه !؟ قال : أتقرأه ظاهراً ؟ قال : بل أقرؤه وأنا أنظر اليه ، قال : أتحفظه ؟ قال : أخشيت فِرارَه فأحفظه ! قال : ما تقول فى أمير المؤمنين عبدِ الملك ؟ قال : لعنه الله ولعنك معه ! قال : إنك مقتول فكيف تلقى الله ؟ قال : ألقاه بعملى وتلقاه بدمى .

وقال لقمان لابنه وهو يعظه : يابنى : إزحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخُذ من الدنيا بلاغك وأنفق فُضولَ كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلاًّ وصُم يوما يكسر شهوتك ولا تصُمْ يوماً يضرّ بصلواتك فإن الصلاة أفضل من الصوم ، وكن كالأب لليتيم وكالزوج للأرملة ولا تحابِ القريب ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين البتة .

وسمع الأحنفُ رجلا يُطرى يزيدَ عند معاوية فلما خرج من عنده اسْحَنفَرَ (٢) فى ذمهما ! فقال الأحنف : مَهْ إن ذا الوجهين لايكون عند الله وجيهاً . وقال سَعيدُ بنُ أبى عرُوبةَ : لأن يكون لى نصف وجه ونصف لسان — على مافيهما

(١) الجلة : القفة الكبيرة فيها تمر

(٢) اسحنفر : بالغ فى الذم ومضى متوسعا فى القذع

من قُبح المنظر وعَجز المخبر — أحب إلىّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين . وقال أيوب السِّختيانى : ألنام ذو الوجهين أحسنَ الإستماع رخالف فى الإبلاغ .

كتاب عمر الى معاوية فى القضاء

عن عامر الشعبى قال : كتب عمر الى معاوية : (١)

أما بعد فإنى كتبت اليك بكتاب فى القضاء لم آلُكَ ونفسى فيه خيراً ، إلزم خمسَ خِصال يَسلم لكَ دينك وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة واليمين القاطعة ، وأدْنِ الضعيف حتى يشتد قلبُه وينبسط لسانه ، وتعهد الغريب فإنك إن لم تتعهده ترك حقه ورجع الى أهله ، وإنما ضَيّع حقه مَن لم يَرْفُقْ به ، وآس بينهم فى لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس مالم يستبن لك فصلُ القضاء . وعن شُريح أن عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب إليه : لا تُشار ولا تُمارِ ولا تبع ولا تبتع فى مجالس القضاء ولا تقض بين اثنين وأنت غضبان .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم

(١) وروى ابن ابى الحديد ان هذه الكلمة من رسالة كتبها عمر إلى ابى موسى الاشعري ، وذكر الرسالة فقال : وكتب إلى ابى موسى الاشعري وهو على البصرة : بلغنى انك تاذن للناس الجماء الغفير ، فاذا جاءك كتابى هذا فاذن لاهل الشرف واهل القرآن والتقوى والدين فاذا اخذوا مجالسهم فاذن للعامة ، ولا تؤخر عمل اليوم لغد فتتداك عليك الاعمال فتضيع ، وإياك واتباع الهوى فان للناس أهواء متبعه ودنيا مؤثرة وضغائن محمولة ، وحاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة فانه من حاسب نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة كان مرجعه إلى الرضا والغبطة ، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة . إنه لايقيم أمر الله فى الناس إلا حصيف العقدة بعيد الغرة لايحنق على جرة ، ولا يطلع الناس منك على عورة ولا تخاف فى الحق لومة لائم ، إلزم أربع خصال يسلم لك دينك وتحيط بأفضل حظك : إذا حضر الخصمان فعليك بالبينات العدول والايمان القاطعة ، ثم ائذن للضعيف حتى ينبسط لسانه ويجترىء قلبه ، وتعاهد الغريب فانه إذا طال حبسه ترك حقه وانصرف إلى أهله ، واحرص على الصلح مالم يبن القضاء والسلام عليك .

ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالائمة ، ومشاورة أهل الرأى .

قال الهلالى : لما ولَّى يزيدُ بنُ مُعاوية سَلْمَ بنَ زِيَادٍ[١] على خُراسان قال له : إن أباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيراً ، فلا تتكلنَّ على عذر منى لك فقد اتكلتُ على كفاية منك ، و إياك منى قبل أن أقول إياى منك فان الظن إذا أخلف منك أخلف منى فيك ، وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا تُريحنَّ نفسك وكن لنفسك تكن لك ، واذكر فى يومك أحاديث غدك تسعد إن شاء الله تعالى .

---

(١) هو سلم بن زياد بن أبي سفيان . كان من أمراء بنى امية شجاعا كريما جوادا شاعراً نبيلا نادم ليلة يزيد بن معاوية فسر به فقال له : ألا أوليك خراسان ؟ قال : بلى وسجستان ! فعقد له من ليلته ثم قال :

إسقنى شربة تروى عظامى ثم عد واسق مثلها ابن زياد
موضع السر والامانة منى وعلى ثغر مغنمى وجهادي

وفى الصباح سيره واوصاه هذه الوصية التى رواها الجاحظ بالاصل . ولما قدم خراسان اتخذ خواصه من اهل البصرة والكوفة ، فلما مات يزيد وخرج عبد الله بن الزبير فى طلب الخلافة لنفسه قبض على سلم وحبسه مطالباً إياه بالمال . وبينا هو فى محبسه دخل عليه الفرزدق يشكو إليه قلة المال فى يده وانه خطب النوار ولا مهر عنده ثم انشده :

دعي مغلق الابواب دون فعالهم ومرى تمشى بى هبلت إلى سلم
إلى من يرى المعروف سهلا سبيله ويفعل افعال الكرام التى تنمي

فأمر له بعشرين الفا ، فلامته زوجته على ذلك فقال سلم :

ألا بكرت عرسى تلوم سفاهة على مامضى منى وتأمر بالبخل
فقلت لها والجود منى سجية وهل يمنع المعروف سؤاله مثلى
ذرينى فانى غير تارك شيمتى ولا مقصر عند السماحة والبذل
ولا طارد ضيفى إذا جاء طارقا فقد طرق الاضياف شيخى من قبلى
أأبخل إن البخل ليس بمخلدي ولا الجود يدنينى من الموت والقتل
أبيع بنى حرب بآل خويلد وماذاك عند الله في البيع بالعدل
وأشري ابن مروان الخليفة طالعا بنجل بنى العوام قبح من نجل
فان تظهروا لى البخل آل خويلد فما دلكم دلى ولا شكلكم شكلى
وإن تقهرونى حين غابت عشيرتي فمن عجب الايام ان تقهروا مثلى

والظاهر انه مات في عهد عبد الملك

ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الأشداق . قال المازنى (١) .

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ بِشْرًا مُلْصَقٌ … فاللهُ يَجْزِيهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ (٢)

يُنْبِيكَ نَاظِرُهُ وَقِلَّةُ لَحْمِهِ … وَتَشَادُقٌ فِيهِ وَلَوْنٌ أَسْحَمُ

أَنَّ الصَّرِيحَ الْمَحْضَ فِيهِ دَلَالَةٌ … وَالعِرْقُ مُنْكَشِفٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ

أَمَّا لِسَانُكَ وَاحْتِبَاؤُكَ قَاعِدًا … فَزُرَارَةُ الْعُدُسِيُّ عِنْدَكَ أَعْجَمُ (٣)

إِنِى لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَقَالُهُمْ … زُورًا وَشَانِيكَ الْحَسُودُ الْمُرْغَمُ

وفى مثل ذلك يقول مُورِقُ العبدي (٤) :

قَدْ عَلِمَ الْغَرْبِيُّ وَالْمُشَرِّقُ … أَنَّكَ فى الْقَوْمِ صَمِيمٌ مُلْصَقُ

عُودَاكَ نَبْعٌ وَهَشِيمٌ بُورَقُ … وَأَنْتَ جَدْبٌ وَرَبِيعٌ مُغْدِقُ

وأَنْتَ لَيْلٌ ونهَارٌ مُشْرِقُ … لَوْلَا عَجُوزٌ قَحْمَةٌ ودَرْدَقُ

وصَاحِبٌ جَمٌّ الحَدِيثِ مُوثِقُ … كَيفَ الفَوَاتُ والطَّلُوبُ مُورِقُ

شَيْخٌ مَغِيظٌ وسِنَانٌ يَبْرُقُ … وَحَنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتٌ مِصْلَقُ

وشِدْقٌ ضِرْغَامٌ وَنَابٌ يَحْرُقُ … وشَاعِرٌ بَاقِى الرُّسُومِ مُفْلِقُ (٥)

---

(١) لم اقف على اى بنى مازن قائل هذا الشعر الجيد ، وقد قام فى نفسى فى اول الامر انه لابى عثمان المازني ولكنه لو كان له لقال الجاحظ : انشدنى المازنى او انشد ابو عثمان ، لانه معاصره . وكان ابو عثمان المازنى من الرواة الثقات الذين يحتج بقولهم فى العربية واسع الرواية كثير الحفظ ، روى عن ابي عبيدة والاصمعى وابى زيد الانصاري ، وعنه روى المبرد والفضل بن محمد اليزيدي وغيرهما وكان يميل إلى القول بالارجاء ولا يناظره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام وايراد الحجج . سئل يوماً عن اهل العلم فقال : اصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف ، واهل الحديث فيهم حشو ورقاعة ، والشعراء فيهم هوج ، والنحاة فيهم ثقل ، وفى رواة الاخبار الظرف كله ، مات سنة ٢٤٨ هـ

(٢) ملصق : اي مدع نسبا غير نسبه

(٣) هو زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى ، كان من أعز العرب فى الجاهلية . وهو الذى حمى الحارث بن ظالم لما قتل خالد بن جعفر عند النعمان بن المنذر . وله أخبار حسان ذكرها أبو الفرج

(٤) في بنى عبد القيس مورقون كثيرون وكلهم شعراء ولم ندر أيهم هذا المورق

(٥) وناب يحرق : يبرد . وقد قرأ على بن ابي طالب « لنحرقنه » بفتح النون وسكون الحاء وضم الراى وفتح النون المشددة . أى لنبردنه . وهي قراءة وجيهة لان الذهب لايحرق بالنار ولكنه يبرد بردا

باب فى صفة الرائد للغيث ، وفى نعته للأرض

قال أبو المُجِيب : (١) وصف رائدٌ أرضا جَدْبَة فقال : اغبرَّت جادَّتها وذَرِع مَرتَعُها وقَضِم شجرها ورقَّت كُرُشُها وخَوِرَ عظمها والتقى سَرْحاها وتميز أهلها ودخل قلوبَهم الوَهَلُ وأموالهم الهزل (٢).

ووصف أعرابى أرضا أحمدها فقال : خَلَعَ شِيحُها وأبقل رِمْثُها (٣) وخَضبَ عَرْفجها (٤) واتسق نبتها واخضرت قُرْيانها (٥) وأخْوَصَتْ بُطنانها وأحلست أكامها (٦) وأعتم نبت جرائيمها (٧) وأجرت بَقْلتها وذرَقت خُيَّازتها (٨) واخْوَرَّت خَوَاصر إبلها وشَكَرَتْ حَلُوبَتُها (٩) وسَمِنَتْ قَتُوبَتُها (١٠) وعَمِدَ ثَرَاها (١١)

(١) قال اسحق بن ابراهيم الموصلى : كان ابو المجيب الربعى فصيحا طلبا ، قال لى : ياابا محمد قد عزمت على التزويج فأعنى وقونى ؟ فأعطيته دنانيروثيابا ، فغاب عنى أياما ثم عاد فقلت له : ياابالمجيب: إسمع هذه الابيات ؟ فقال : هاتها ، فقلت :

ياليت شعرى عن ابي مجيب ... إذ بات فى مجاسد وطيب
معانقا للرشأ الربيب ... احمد المحفار فى القليب
ام كان رخوا ذابل القضيب ؟ ... فقال لى : الأخير والله ياابامحمد !

(٢) الوهل : الخوف والفزع . قال الجاحظ : الجادة الطريق إلى الماء والجمع الجواد ، والتقى سرحاها : يقول إذا اكل كل سارح مابليه التقيا عند الماء ، وإذا لم يكن للجمال مرعى إلا الشجر وحده رقت اكراشها ، وقوله تميز اهلها : تفرقوا فى طلب الـكلأ ، ومرتع مذرع إذا كان بعيدا من الماء ومرتع قاصر إذا كان قريباً من الماء ويقولون : كلأ قاصر للقريب ويقولون ماء مطنب وماء مطلب إذا الجأهم إلى طلبه من بعده ،

(٣) ابقل رمثها : خرج لرمثها بقل ، والرمث نبت يرى مما يرعى

(٤) خضب عرفجها : إخضر ، والخضرة متى كثفت وصفها العرب بالسواد ، والعرفج : شجر سهلى

(٥) واخضرت قريانها : طلع النبت فى مجارى الماء

(٦) واحاست اكامها : الاكام جمع كم وهو وعاء الطلع وغطاء النور ، واحلست : غطت الارض بكثرته

(٧) واعتم نبت جرائيمها ، الجرائيم الاصول ، اعتم كثر وانتشر فى الارض

(٨) كان بالاصول : وذرقتها خيازتها ، وهو خطأ والصواب ماأثبتناه ، وذرقت : خرجت ونبتت ، والخباز والخبازة والخبيز : نبت

(٩) وشكرت حلوبتها : كثر لبنها وحفل به ضرعها

(١٠) وسمنت قتوبتها : القتوبة : الابل التى يشدعليها القتب

(١١) وعمد ثراها : بلل المطر ترابها

وعقدت تناهيها وأماهت ثمارها (١) ووثق الناس بصائرها .

قال : ويقال : خَلَعَ الشِّيحُ إذا أورق، الخالع من العِضَاه الذى لايسقط ورقه أبدا وكذلك السِّدْرُ لايتجرد (٢) وكل شجر له شوك فهو عِضَاهٌ والواحد عِضَةَ إلا القَتَادُ ، ولا يَعْبِلُ إلا الأرطَى (٣) ويقال : كلح الشجر . إذا أخْوَصت بُطْنَانها إذا نبت فيه قُضبان رقاق ، وخَضَبَ عرفجها يقول : إسود ، وأخوص الشجر ، وهو الذى لا شوك له ومن العِضاهِ قشره وقصَدُه فاذا يبست فهى عود ، إتسق نبتها أى تتام ، أجرت بقلتها أى نبت فيها مثل الجِرَاءِ جمع جِروٍ . والعُلَّفَةُ ثمرة الطلح والحَبَلَةُ للسَّلَم ، واخوَرَّتْ خواصر إبلها تشد أحناها على خواصرها كى لا تحْبَط والحَبَطُ انتفاخ بطنها من مرعى ترعاه، قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : أيضر الغَبَطْ ؟ قال : نعم كما يضر الحَبَطْ . وشَكرت : يقول غَزَرَتْ ، وقوله عَمِدَ ثراها وذلك اذا قبضت منه على شيء فتعقد واجتمع من ندوته يقال عَمِدَ الثرى يعمَد عمداً وهو ثري عَمْدٌ فالعَمْدُ أن يجاوز الثرى المنكب وهو أن تقيس السماء بالمرفق فيقول بلغت وضح الكف ثم الرُّسْغ ثم العظمة ثم المِرْفَق ثم ينصف العضد ثم يبلغ المَنكِبْ ، قيل عَمِدَ الثرى ، فيقال ان ذلك حيا سنين ، والتّنَاهى واحدتها تَنْهِيَةٌ وهو مُستقر السيل ، وعقدها أن يمر السيل مقبلا حتى اذا انتهى مُنتهاه دار بالاباطح حتى يلتقى طرفا السيل ، والصائرة : الكلأ والماء

خطبة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث

قالوا : قاتل الحجاجُ ابنَ الأشعث (٤) فى المِرْبدِ (٥) فخطب ابنُ الاشعث الناس فقال :

---

(١) وأماهت ثمارها : حفلت بالماء

(٢) السدر : شجر النبق

(٣) ولا يعبل إلا الارطى : يغلظ ثمره ويتساقط . وكذلك ورق الطرفة

(٤) لما خرج ابن الاشعث : انضمت اليه ربيعة ومضر ولم يبق فارس مذكور ولا شاعر مشهور ولا ناسك ورع ولا فقيه مجتهد ولا قارىء حافظ إلا خرج معه وأعانه وآزره على قهر الحجاج لبغيه وظلمه وعدوانه

(٥) المربد : إسم مكان بظاهر البصرة

أيها الناس ، انه لم يَبق من عَدُوكم الا كما يبقى من ذَنَب الوَزَغة [(١)] تضرب بها يميناً وشمالا فما تلبثُ الا أن تموتَ . فمرّ به رجل من قشير فقال : قَبَحَ الله هذا ورأيه ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس [من عدوهم] ويعدهم الأضاليل ويُمنيهم الباطل ! ؟ وناس كثير يرون أن ابن الأشعث هو المحسن دون القشيري . قال بشار:

وحَمدٍ كعَصْبِ البُردِ حَمَّلتُ صاحبي الى مَلِكٍ للصالحات قَرينِ

وقال آخر :

وَبِكرٍ كَنُوَّار الرِّياض حَديثها تَرُوقُ بوَجْه واضح وقوَام

أبو الحسن : كان مُعاوية يأذن للأحنف أول من يأذن له ، فأذن له يوماً ثم أذن لمحمد بن الأشعث [فأقبل] حتى جلس بين معاوية والأحنف ، فقال له معاوية : لقد أحسَسْتَ من نفسك ذلا ! انى لم آذن له قبلك الا ليكون اليّ فى المجلس دونك ، وإنّا كما نملك أموركم نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يراد بكم فانه أبقى لنعمتكم وأحسن لأدبكم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لِأُصيلٍ الخُزَاعِيِّ : يا أُصيل ، كيف تركت مكةَ ؟ قال : تركتها وقد أحجن ثُمَامُها [(٢)] وأمْشَرَ سَلَمُها [(٣)] وأعْذَقَ إذْخِرُها [(٤)] فقال صلى الله عليه وسلم : « دَعِ القُلوبَ تَقِرُّ » وسأل . أبو زِيادٍ الكلابيُّ [(٥)]

---

(١) الوزغة : هى سام أبرص

(٢) احجن ثمامها : خرج خوصه ، والثمام نبت

(٣) امشر سلمها : خرج للسلم ، وهو شجر ، مشر وهى الاغصان الخضر الرطبة

(٤) اعذق إذ خرها ، ألا ذخر : الحشيش الاخضر ، واعذق : ظهرت ثمرته

(٥) هو ابو زياد الكلابى : كان من الأعراب الفصحاء الذين يؤخذ عنهم اللغة والرواية والأدب وتضبط عليهم الالفاظ . وكان شاعرا مقلا ومبيناً لحما . قال يوماً لولده وقد اراد التزوج :يابنى لاتتخذها حنانة ولا انانة ولامنانة ولاعشبة الدار ولا كبة القفا . قال اسحق بن ابراهيم الموصلى : قال ابوزياد الكلابى : او لم جار لى يكنى ابا سفيان ولمية ودعانى لها فانتظرت رسوله حتى تصرم يومى فلم يأت فقلت لامرأتي :

وان ابا سفيان ليس بمولم فقومى فهاتى قفرة من حوارك

فقلت له : أليس غير هذا ؟ فقال : لا ارسلته يتيما ، فقلت : افلا اجيزه ؟ قال : شأنك ، فقلت :

فبيتك خيرٌ من بيوت كثيرة وقدرك خير من ولمية جارك

الصَّقِيلَ العُقَيلِيَّ (١) حين قدم من البادية عن طريقه فقال : إنصرفت من الحج فأصعدت إلى الرَّبَذَةِ (٢) فى مَقاطِ الحَرَّةِ (٣) ووجدت بها صِلالاً من الربيع (٤) من خضمة خمط وصِليَّان وقَرْمَلٍ (٥) حتى لوشئت لأنخت إبلى فى أذن القَفْعاءِ (٦) فلم أزل فى مَرْعَى لا أحسن منه شيء حتى بلغت أهلى . وقال سلاَّمٌ الكلابىُّ : رأيت ببطن فَلْجٍ منظراً من الكلأ لا أنساه ! وجدت الصفراء والحمراء يضربان نحور الإبل، تحتهما قَفْعاء وحُرْبُثٌ قد أطاع وأمسك بأفواه الماء — أى لا تقدر أن ترفع رؤسها — وتركت الحَوْذَان ناقعة فى الأجارع . وذم أرضاً فقال : وجدنا أرضاً ماحلة مثل جلد الأجرب تَصِيء حيَّاتُها ولا يَسكُتُ ذيبها ولا يقيد راكبها . وقال النضرُ : قلت لأبى الخُضَيْرِ : ما أعجب ما رأيتَ من الخِصب ؟ قال : كنت أشرب رَثِيئَةً تجرها الشفتان جرًّا وقارصاً ممارصاً إذا تجشأتُ جدَعَ أنفى ، ورأيت الكمأة تدوسها الإبل بمناسمها والوضرَ يشمه الكلبُ فيعطس . قال الأصمعى : قال المنتجع بن نبهان : قال رجل من أهل البادية : كنت أرى الكلب يمر بالحصفة عليها الخلاصة فيشمها ويمضى عنها . محمد بن كُناسة قال : أخبرنى بعض فصحاء أعراب طيء قال : بعث قوم رائداً فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وتعاشِيبُ وكمأةٌ متفرقة شِيبٌ تقلعها بأخفافها النِّيبُ ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا

فضحك وقال : أحسنت بأبى انت وامي جئت والله به قبلا ما انتظرت به القرب ، وما ألوم الخليفة ان يجعلك فى سماره ويتملح بك وإنك لمن طراز مارايت بالعراق مثله ، ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك باحدى عينى وبإحدى يدي ، وعلى أن فيك بحمد الله ومنه بقية تسر الودود وترغم الحسود

(١) هذا بدوي آخر كانت تؤخذ عنه اللغة وآدبها

(٢) الربذة : قرية على ثلاثة اميال من قرى المدينة وإليها نفى عثمان أبا ذر الغفاري وبها مات

(٣) مقاط الحرة : منقطعها . والحرة : الارض ذات الحجارة السود الرخوة ، بركانية ، والمقصود بالحرة هنا حرة المدينة التى كانت بها وقعة مسلم بن عقبة المرى فى عهد يزيد بن معاوية

(٤) صلال من الربيع : قطعة من العشب خلفها الربيع

(٥) الخضمة : النبت الاخضر الرطب . كان بالاصول : خمص ، وهو خطا والصواب ما اثبتناه . والخمط : النبت ياخذ طعما من مرارة ، والصليان نبت . والقرمل شجر ضعيف بلا شوك .

(٦) القفعاء : الكماة

كذب ! فأرسلوا آخر فقالوا : ماوراءك ؟ قال عُشب تَأْدٌ مَأْدٌ مولى وعبد مُتدارك جَعْد كأفخاذ نساء بني سعد تشبع منه الناب وهى تَعد . قال: لأن النبت إذا كان قليلا وقفت عليه الإبل وإذا كان كثيراً أمكنها الأكل وهى تعدو . وقالوا : بعث رجل أولاده يرتادون فى خِصب فقال أحدهم : رأيتُ بَقلا وماء غيلا يسيل سيلا وخوصة تميل ميلا يحسبها الرائد ليلا . وقال الثانى : رأيت دِيمة على دِيمة فى عهدها غير قديمة وكلأً تشبع منها الناب قبل العظيمة.

وقال أبو مُجِيبٍ : قيل لأوفى بنِ عُبَيْد : ائْتِ وادى كذا وكذا فارتده لنا، فقال : وجدت به خشباً هَرْمِيّاً وعُشباً شرْبِيّاً . قال: والهرمى ليس له دخان إذا أوقد من يُبسه وقدمه، والشّرمى : العُشب الضّخمُ يقال هذا عُشب شَرْمٍ .

وقال هَرِمُ بنُ زيدٍ الكلبي : إذا أحيا الناس قيل قد أكلأت الأرض واخرَنْفَشَتِ العنزُ لأختها ولحس الكلبُ الوَضَر . قال : إخرِنْفاشُ العنز أن لتنفش شعرها وتنصب روْقيها فى أحد شقيها لتنطح صاحبتها، وإنما ذلك من الأشر حين ازدهت وأعجبتها نفسها ، ولحس الكلب الوضر لما يفضلون منه لأنهم فى الجدْب لايدعون للكلب شيئاً يلحسه . قال أبو مُجِيبٍ : إذا أجدب الرائد قال : وجدت أرضا أرْمَى عَشْمَى . فأما العشمى فالتى يُرى فيها الشجرُ الأعْشمُ وإنما يَعْشِمُ من الهبوة ، ويقال للشيخ إنما هو عَشْمَةٌ ، فأما الأرمَى فالتى أرمت فليس فيها أصل شجرة .

قال أبو عُبَيْدَة : قال بعض الأعراب : تركت جراداً عراداً كأنها نعامة باركة . يريد التفاف نبتها وهى من نبت بلاد تميم . وقيل لأعرابى : ما وراءك ؟ قال : خلفتُ أرضاً تظالم مِعزاها . يقول سمنت وأشرت فتظالمت . وتقول العرب : ليس أظلم من حية ، وتقول العرب : ليس أظلم من وَرَلٍ ، وأظلم من ذِئبٍ ، كما تقول : أغدرُ من ذِئبٍ ، وكما تقول : أكسب من ذِئبٍ ، قال الأسدى :

لَعَمْرُكَ لَوْ أَنِّي أُخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفَتْنِي فَقْعَسُ

إذا اقْلَتْ مَاتَ الدَّاءُ بيني وَبينَهُمْ ... أَتَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِآخَرَ يَقْبِسُ

فَمَا لَكُمْ طُلْسًا إِلَيَّ كَأَنَّكُمْ ... ذِئَابُ الْغَضَا وَالذِّئْبُ بِاللَّيلِ أَطْلَسُ

وقال الفزارى :

وَلَوْ أُخَاصِمُ أَفْعَى نَابُهَا لَثِقٌ ... أَوِ الأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الأَهَاضِيبِ

وَلَوْ أُخَاصِمُ ذِيبًا فِى أَكِيلَتِهِ ... لَجاءَنِي جَمْعُهُمْ يَسْعَى مَعَ الذِّيبِ

يقول بلغ من ظلم قومنا لنا أنا لو خاصمنا الذئاب والحيّات — و بها يضربون المثل فى الظلم — لقضوا لها علينا . وقالت العرب : إذا شَبِعت الدقيقة لَحَسَت الجليلة. هذا فى قلة العُشب و إنما تلحسه الناقة لقلته وقصره .

وحدثنا أبو زِيادٍ الكلابى قال: بعث قوم رائداً لهم بعد سنين تتابعت عليهم فلما رجع اليهم قالوا له: ماوراءك ؟ قال: رأيت بقلا يشبع منه الجمل البروك وتشكت منه النساء وهمَّ الرجلُ بأخيه . قال: أما قوله الجمل البَروك يقول : لو قام قائماً لم يتمكن منه لقصره . وأما قوله : وتشكت منه النساء فانه مأخوذ من الشّكوة ، والشّكاء أصغر الوِطاب ، يقول : لم يكثر اللبن بعد فيمخض فى الوِطاب ، وقوله وهم الرجل بأخيه أى هم أن يدعوه الى منزله كما يصنعون فى أيام الخصب ، وقال غيره : الخصب يدعو إلى طلب الطوائل وغزو الجيران و إلى أن يأكل القوىُّ مَن هو أضعف منه . وقالوا فى الكلأ : كلأ تشبع منه الإبل مُعقلة ، وكلأ حابس فيه كمرسل . يقول: من كثرته سواء عليك حبستها أو أرسلتها ، وتقول كلأ يتجع منه كبد المصرم ٠ وأنشد الباهلى :

ثُمَّ مُطِرْنَا مَطْرَةً رَوِيَّهْ ... فَنَبَتَ الْبَقْلُ وَلاَ رَعِيَّهْ

وأنشد الأصمعى :

فَجَنَّبَكَ الْجيُوشَ أَبَا زُنَيْبٍ ... وَجَادَ عَلَى مَسَارِحِكَ السَّحَابُ

يجوز أن يكون دعاء عليه ، وأن يكون دعاء له ٠ وقال الآخر :

أَمْرَعَتِ الأَرْضُ لَوْ أَنَّ مَالاَ ... لَوْ أَنَّ نُوقًا لَكِ أَوْ جِمَالاَ
أَوْ ثُلَّةً مِنْ غَنَمٍ إِمَّالاَ

وقال ابن الأعرابى : سأل الحجاج رجلا قدم من الحجاز عن المطر فقال : تتابعت علينا الأسمية حتى منعت السُّفار وظالمت المعزى واحتلبت الدَّرَّ بالجرة .

لقيط قال : دخل رجل على الحجاج فسأله عن المطر فقال : ما أصابنى من مطر ولـكنى سمعت رائداً يقول : هلم أظعنكم إلى محلة تُطفأ فيها النيران وتتنافس فيها المعزى وتبقى بها الجِرَّة حتى تتنزل الدِّرة .

أَبُو زيْد قال : تخاصمت امرأتان إلى إبنة الُخس فى مراعى أبويهما فقالت الأولى : إبل أبى ترعى الأُسيلح ، قالت إبنة الخُس : رغوة وصريح وسنام إطريح ، قالت الأخرى : مرعى إبل أبى الخلة ، قالت إبنة الخُس : سريعة الدرة والجرة .

وقال الأحوص بن جعفر[1] بعد ما كبر وعَمِى و بنوه يسوقون به : أى شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : عرف الثُّمام والضَّعة ، قال : سوقوا ثم إنها عادت فأرتعت بمكان آخر فقال : أى شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : العضاه والغمضة ، قال : عود عويدٌ شبع بعيد ، وقال : سوقوا حتى إذا بلغوا بلداً آخر قال : أى شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : نَصِيًا وصليانا ، قال : مكفية لرعائها مطولة لذراها ، أرعوا وأشبعوا . ثم سألهم فقال : أى شىء ترتعى الإبل قالوا : الرِّمث ، قال : خلقت منه وخلق منها ، قال أبو صاعد : وزعم الناس أن أول ماخلقت الإبل من الرِّمث ، وعلامة ذلك أنك لاترى دابة تريده إلا الإبل . وقيل لرؤبة : ما وراءك ؟ قال : الثرى يابس ، والمرعى عابس .

وقالت امرأة من الأعراب : أصبحنا ما يرقد لنا فرس وما ينام لنا حرس

(١) الاحوص اسمه ربيعة بن جعفر ، كان سيد بنى عامر فى الجاهلية

قالوا : كان أبو المجيب كثيراً ما يقول : لا أرى امرأة تُصَبِّرُ عينيها ولا شريفاً يهنأ بعيراً[١] ولا امرأة تلبس نطاق يمنة .

وخَطَبَ بِلَالُ بْنُ أبي بُرْدَة بالبصرة فعرف أنهم قد استحسنوا كلامه فقال : لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا .

وقال عمرُ بْنُ عبْدِ العزيز : ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم.

وقال غَيْلَانُ أبو مَروان : إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب

قال رجل من بني سليم ، وسأله الحجاج عن المطر ، فقال : أصابتنا سحائب ثلاث : سحابة بِحَوْرَانَ بقطر صغار وقطر كبار فكان الكبار للصغار لُحمة ، ثم أصابتنا الثانية بسوء فلبدت الدِّماث ورحضت العَزَازَ وأسالت التِّلاع وحرّت الرجع وصدعت الكماة عن أماكنها ، ثم أصابتنا الثالثة بالقريتين فملأت الآحاد وأفعمت كل واد وأقبلنا في ماء يجر الضبُعَ ويستخرجها من وجارها . وقال رجل من بني أسد لمحمد بن مَروان وسأله عن المطر فقال : ظهر الإعصار وكثر الغبار وأكل ما أشرف من الخبثة وأيقنا أنه عام سنة .

وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن الإسكندر كان لا يدخل مدينة إلا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدِّبه فيها فخرج إليه فألطفه الاسكندر وأعظمه فقال له : أيها الملك ، إن أحق من زَين لك أمرك وآتاك على كل ما هويت لأنا ، وإن أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكاني منك وأحب أن لا تشفعني فيهم وأن تخالفني في كل ما سألتك لهم ! فأعطاه من ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه ، فلما توثق منه قال : فإن حاجتي أن تدخلها وتخربها وتقتل أهلها ! قال : ليس إلى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج . وقال يزيد بن المهلب وقد طال عليه حبس الحجاج : والهفاه على فرَج في جبهة أسد وطلبة بمئة ألف ! قال الأصمعي : دخل دُرُسْتُ بن رِباط الفقيمي

(١) يهنأ بعيرا : يداوي جربه بالهناء وهو القطران .

على بلال بن أبى بُردة وهو فى الحبس فعلم بلال أنه شامت به فقال بلال : مايسرنى بنصيبى من الـكره حمر النعم ! فقال درست : فقد أكثر الله لك منه . قال الهيثم ابن عدى : كان سجان يوسف بن عمر يرفع إلى يوسف بن عمر أسماء الموتى فقال له بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى : إقبض هذه العشرة الآلاف درهم وأرفع إسمى فى الموتى ! قال : فرفع إسمه فى الموتى ، فقال يوسف بن عمر : جئنى به ؟ فرجع إليه فأعلمه فقال : ويحك إتق الله فىّ فانى أخاف القتل ! قال : وأنا أيضاً أخاف ما تخاف ! ثم قال : قتلك أهون من قتلى ولا بد من قتلك ! فوضع على وجهه مخدة فذهبت نفسه مع المال .

وأما عبدُ اللهِ بنُ المُقَفَّع فإن صاحب الإستخراج[١] لما ألح عليه فى العذاب قال لصاحب الاستخراج : أعندك مال وأنا أُرْبِحُكَ رِبحًا ترضاه وقد عرفت وفائى وسخائى وكتمانى ؟ فعينى مقدار هذا النجم ؟ فأجابه إلى ذلك ، فلما صار عليه مال ترفق به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتوى ماله[٢]

وقال رجل لعمرو الغزال : مررت بك البارحة وأنت تقرأ . قال : لو أخبرتنى أى آية كنت فيها لأخبرتك كم بقى من الليل .

وسمع مُؤرج البصرى رجلا يقول : أمير المؤمنين يرد على المظلوم ! فرجع إلى مصحفه فرد على براءة « بسم الله الرحمن الرحيم » ! ؟

وكان عَبْدُ الملك بنُ مَرْوَانَ فى مرضه الذى مات فيه يعطش وقيل له : إن شربت الماء مت ! فأقبل ذات يوم بعض العواد فقال : كيف حال أمير المؤمنين ؟ قال : أنا صالح ، الحمد لله ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) كان فى الدولة الاموية والعباسية ديوان يسمى « ديوان الاستخراج » يعذب فيه من اتهم باحتجان اموال الدولة من الولاة والوزراء والـكتاب وجباة الخراج

(٢) كان السبب فى حبس عبد الله بن المقفع وتعذيبه انه كان فى خاصة آل سليمان بن على العباسى . فلما لجأ عبد الله بن على العباسى إلى محمد بن سليمان وطلبه ابو جعفر فلم يرد أن يستأمن له إلا بعهد يرضاه . فكتب ابن المقفع ذلك العهد وغلظ فيه الايمان وبالغ فى ذلك ما شاء ، فلما قرأه ابوجعفر وجم واسرها فى نفسه فلما قبض على عبد الله بن على ناقضا لذلك العهد وحبسه حتى مات ، طلب ابن المقفع حتى قبض عليه وامر بتعذيبه جزاء ما كتب فى ذلك العهد ، ثم اماته

وَمُسْتَخْبِرٍ عَنَّا يُرِيدُ بِنَا الرَّدَى وَمُسْتَخْبِرَاتٍ وَالعُيُونُ سَوَاجِمُ

ويلكم ، إسقونى ماء ولو كان فيه تلف نفسى ! فشرب ثم مات .

وكان حَبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ الفِهْرِى رجلا غزّاء للترك ، فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته فقالت له امرأته : أين مَوعدُكَ ؟ قال : سُرادق الطاغية أو الجنة إن شاء الله تعالى ! قالت : إنى لأرجو [أن] أسبقك إلى أى الموضعين كنت به ! فجاء فوجدها فى سُرادق الطاغية تقاتل الترك .

ولما مدح الكُميت بن زيد الأسدى مُخلّد بن يزيد بن المهلب قال له ابن بَيض : إنك يا أبا المُستَهِلّ لكالجالب التمر إلى هَجَر ! قال : نعم ، ولكن تمرنا أجود من تمركم . (١) وكان السَّيد الحِمْيَرِىّ (٢) مُولعًا بالشراب فمدح أميراً من أمراء

(١) وفي بعض روايات ابي الفرج أن حمزة بن بيض قدم على مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت فأنشده :

أتيناك فى حاجة فاقضها وقل مرحبا يجب المرحب
ولا تكلنا إلى معشر متى يعدوا عدة يكذبوا
فانك فى الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب
وفى أدب منهم مانشأت ونعم لعمرك ما أدبوا
بلغت لعشر مضت من سنيك مايبلغ السيد الاشيب
فهمك فيها جسام الامور وهم لداتك أن يلعبوا
وجدت فقلت ألا سائل فيعطى ألا راغب يرغب

فأمر له بمائة الف درهم فحسده الكميت فقال : ياحمزة ، أنت كمن يهدي التمر إلى هجر ! قال : نعم ، ولكن تمرنا اطيب من تمر هجر

(٢) هو ابو هاشم السيد إسماعيل بن محمد الحميرى ، شاعر متقدم مطبوع . قيل إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار وابو العتاهية والسيد ، فانه لايعلم ان احداً قدر على تحصيل شعر احد منهم اجمع ، وإنما مات ذكر السيد وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب بعض الصحابة وبعض ازواج النبي . وكان له طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه او يقاربه . قال الفرزدق : إن ههنا لرجلين لو اخذا فى معنى الناس لما كنا معهما فى شىء ، السيد الحميرى وعمران ابن حطان السدوسى ، ولكن الله قد شغل كل واحد منهما بالقول فى مذهبه . وقيل للسيد : مالك لاتستعمل من الغريب فى شعرك مانسئل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال : لأن اقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من سمعه خير من ان اقول شيئاً متعقداً تضل فيه الأوهام . ولما استقام الأمر لبنى العباس قام السيد إلى ابي العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال :

دونكموها يابنى هاشم فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها لا على كعب من كان عليكم ملكها نافسا

الأهواز [١] ثم صار إليه بعد يمدحه له، فلم يصل إليه وأغب الشراب. فلما كان ذات يوم شرب، ثم وصل إليه فجلس من بُعد ، فقرّبه وشم منه ريح الشراب فقال له : ما كنت أظن أبا هاشم يفعل هذا ! ولكن يُحتمل لمادح آل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا ! ؟ يمازحه ، ثم قال : يا جارية ، هَلُمي الدواة ؟ ثم كتب إلى بعض وكلائه : إدفع إلى أبي هاشم مِثَّى دورق ميتحنحا ! قال السيد : لقد كنت أظن الأمير أبلغ مما هو ! قال : وأي شيء رأيت من العي ؟ قال : جمعك بين حرفين وأنت تجتزيء بأحدهما ! أمح هذه الخيشة بجنحا ودع ميتاً على حالها ! ففعل وحمل الكتاب فأخذها عبيطا .

عبد الله بن قائد قال : قالت امرأة الُحصين بن المنذر للحصين : كيف سُدت قومك وأنت بخيل وأنت دَميم ؟ قال : لأنى سديد الرأى شديد الإقدام .

وقال مَسْلَمَةُ بنُ عَبْدِ الملكِ لهشَامِ بنِ عَبْدِ الملكِ . كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان ؟ قال : لأنى حليم وأنى عفيف . قال زَبَّانُ [٢]

إنَّ بَنِي بَدْرٍ يَرَاعٌ جُوفُ ... كلُّ خَطِيبٍ مِنْهُمُ مَؤُوفُ [٣]

أهْوَجُ لاَ يَنْفَعهُ التَّثْقِيفُ [٤]

دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكم له لابسا

لو خير المنبر فرسانه ... مااختار إلا منكم فارسا

قد ساسها قبلكم ساسة ... لم يتركوا رطبا ولا يابسا

ولست من أن تملكوها إلى ... مهبط عيسى فيكم آيسا

(١) هو أبو بجير سماك الأسدي . ورواية أبي الفرج ان ابا بجير رآى السيد متغير اللون فسأله عن حاله فقال : فقدت الشراب الذي ألفته لكراهة الأمير إياه ! قال : فاشربه فانا نحتمله لك ؟ قال : ليس عندى ! قال : لكاتبه : اكتب له بمثى دورق ميبختج ، فقال له السيد : ليس هذا من البلاغة ! قال : وما هي البلاغة ؟ قال : ان تأتى من الكلام بما يحتاج إليه وتدع مايستغنى عنه. قال : وكيف ذلك ؟ قال : اكتب بمثى دورق مي ، ولا تكتب بختج فانك تستغنى عنه ! فضحك ثم امر له بذلك . والمى النبيذ

(٢) هو زبان بن سيار بن عمرو الفزارى . مضت ترجمته فى ص١٨ من الجزء الاول

(٣) يراع جوف : قصب اجوف . مؤف : مصاب بآفة

(٤) اهوج : به حمق وطيش وتسرع

وَقَالَ لَبِيدُ بنُ رَبِيعة :

وَأَبْيَضَ يَجْتَابُ الخُرُوقَ عَلَى الوَجَى ... خَطِيباً إِذَا الْتَفَّ المَجَامِعُ فَيْصَلَا (١)

وقال فى تفضيل العلم والخطابة ، وفى مدح الإنصاف وذم الشغب :

وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتُ خَلِيقَتِي ... وَلَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِي تَعْلِيمِي

وقال لَبِيد:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ ... وَبَقِيتُ فى خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ (٢)

يَتَأَكَّلُونَ مَغَالَةً وَخِيَانَةً ... وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ (٣)

وقال زَيْدُ بْنُ جُنْدَبٍ (٤) :

مَا كَانَ أَغْنَى رِجَالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ ... عَنِ الجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الخُطَبِ

وقال لَقِيطُ بْنُ زُرَارَةَ (٥) :

إِنِّى إِذَا عَاقَبْتُ ذُو عِقَابِ ... وَإِنْ تَشَاغَبْنِي فَذُو شِغَابِ

---

(١) يجتاب الخروق : يقطع المفاوز . على الوجى : على ما فيه من حفا . فيصل : قاطع

(٢) الاكناف : الجوانب . والخلف : الجيل السوء الذى لاخير فيه

(٣) مغالة : سرقة

(٤) كرر الجاحظ هذا البيت فيما مضى فى عدة مواضع منسوبا إلى زيد بن جندب . ثم جاء ابو العباس المبرد فعزاه فى ابيات إلى رجل من الخوارج يقال له : الصلت بن مرة ، قاله عندما اختلف الخوارج فى حربهم مع المهلب ، فقال الصلت لقطري بن الفجاءة : يا امير المؤمنين . إن كنت تريد الله فاقدم على القوم وإن كنت تريد الدنيا فاعلم اصحابك حتى يستأمنوا وانشا الصلت يقول :

قل للمحلين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا اناسا على دين ففيرنا ... طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان اغنى رجالا ضل سعيهم ... عن الجدال واغناهم عن الخطب

إنى لاهونكم فى الارض مضطربا ... مالى سوى فرسى والرمح من نشب

وراجع ص ٥٠ من الجزء الاول

(٥) هو لقيط بن زرارة بن عدس الحنظلى . من فرسان العرب فى الجاهلية واجوادهم وسادا تهم . وشعرائهم ، قتله شريح بن الاحوص يوم شعب جبلة ، من أيامهم .

وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ (١) :

وَكَمْ حَلَّهَا مِنْ تَيِّحَانٍ سَمَيْذَعٍ ... مُصَافِي النَّدَى سَارٍ بِبَيْهَاءَ مُطْعِمِ (٢)

طَوِيِّ الْبَطْنِ مِتْلَافٍ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا ... عَلَى الْأَمْرِ غَوَّاصٍ وَفِي الْحَيِّ شَيْظَمَ (٣)

وقال الآخر :

وَأَغَرَّ مُنْخَرِقِ الْقَمِيصِ سَمَيْذَعٍ ... يَدْعُو لِيَغْزُو طَالِمَا فَيُجَابُ

قَدْ مَدَّ أَرْسَانَ الْجِيَادِ مِنَ الْوَجَى ... فَكَأَنَّمَا أَرْسَانُهَا أَطْنَابُ

وقال الآخر :

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ عِنْدَ خِيَانَةٍ ... وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ رَوَانِ

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ ... وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

وقال آخر :

يُقَطِّعُ طَرْفَهُ عَنِّي سُوَيْدٌ ... وَلَمْ أَذْكُرْ بِسَيِّئَةٍ سُوَيْدَا

تَوَقَّ حِدَادَ شَوْكِ الْأَرْضِ تَسْلَمْ ... وَغَيْرَ الْأُسْدِ فَاتَّخِذَنَّ صَيْدَا

وقال آخر :

لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبِلَى ... فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالْ

كِلَاهُمَا مَوْتٌ وَلَكِنَّ ذَا ... أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالْ

---

(١) مضت ترجمته فى ص ١٨ من الجزء الاول . وهذان البيتان من قصيدة يقول فيها :

ودهم تصاديها الولائد جلة ... إذا جهلت أجوافها لم تحلم

ترى كل هرجاب نجوج خمة ... زفوف بشلو الناب هوجاء عيلم

لها لغط جنح الظلام كأنه ... عجارف غيث رائح متهزم

إذا ركدت حول البيوت كأنها ... ترى الآل يجرى عن قنابل صيم

(٢) التيحان : الكثير الحركة العريض للأمور . والسميذع : السيد الكريم الشجاع الشريف السخى الموطأ الأكناف . والبهماء : الفلاة لا أعلام فيها

(٣) الشيظم : الطويل الجسيم الحسن الهيئة

وَالحُسَيْنِ بْنِ مَطِيْرٍ (١) :

رَأَتْ رَجُلاً أَوْدَى بِوَافِرِ لَحْمِهِ ... طِلاَبُ المَعَالى وَاكْتِسَابُ المَكَارِمِ
خَفِيفَ الحَشَا ضَرْباً كَأَنَّ ثِيَابَهُ ... عَلَى قاطِعٍ مِنْ جَوْهَرِ الهِنْدِ صَارِمِ (٢)
فَقُلْتُ لَهَا لاَ تَعْجَبِنَّ فإِنَّنِي ... أَرَى سِمَنَ الفِتْيَانِ إِحْدَى المَشَائِمِ

وكان عُمَرُ بنُ الخطاب رضي الله تعالى عنه إذا رأى عبدَ الله بنَ عباسٍ فى الأمر يعرض معجلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: غُصْ غَوَّاص!

وقال ابنُ أحمرٍ :

هَلْ لاَمَنِي قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ ... أَوْ فِي مُخَاصَمَةِ اللَّجُوجِ الأَصْيَدِ

وقال لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ فى التطبيق على قوله :

يا هَرِمَ ابْنَ الأَكْرَمِينَ مَنْصِبَا ... إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْماً مُعْجِبَا
فَطَبِّقِ المَفْصِلَ وَاغْنَمْ طَيِّبَا

وقال آخر (٣) :

فَلَمَّا أَنْ بَدَا القَعْقَاعُ لَجَّتْ ... عَلَى شَرَكٍ تُنَاقِلُهُ نِقَالاَ
تَعَاوَرْنَ الحَدِيثَ وَطَبَّقْنَهُ ... كَمَا طَبَّقْتَ بِالنَّعْلِ المِثَالاَ

وقال ابْنُ أحمرٍ :

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي ... بِالعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الأَمْرِ

---

(١) هو الحسين بن مطير الاسدي ، مولاهم ، كان شاعراً مقدما فصيحا في القصيد والرجز من شعراء الدولتين الاموية والعباسية ، وكان فى زيه وكلامه يشبه الاعراب وأهل البادية

(٢) الضرب ، ههنا : الرجل الخفيف اللحم ، والندب الماضي فى الامور

(٣) أرجح أن قائل هذا الشعر ابو كلدة بن عبيد اليشكرى ، وكان من شعراء الدولة الاموية وممن خرج مع ابن الاشعث فقتله الحجاج .وكان قبل ذلك عند القعقاع بن سويد المنقرى وهو على سجستان وله فيه مدائح . فنقم من القعقاع بعض ماعامله به فقال فيه ، ولعل هذه الابيات من القصيدة التى اختار منها الجاحظ بيتيه ، قال :

ستعلم أن رأيك رأي سوء ... إذا ظل الامارة عنك زالا
وراح بنو ابيك ولست فيهم ... بذى ذكر يزيدهم جمالا
هناك تذكر الاسلاف فيهم ... إذا الليل القصير عليك طالا

وقال :

لَيْسَتْ بِثَوْثَاةِ الحَدِيثِ وَلاَ　　فَتِقٍ مُغَالِبَةٍ عَلَى الأَمْرِ

وقال :

تَضَعُ الحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ　　وَكَلاَمُهَا مِنْ بَعْدِهِ نَزْرُ

وقال :

وَخَصمٍ مُضِلٍّ فِي الضِّجَاجِ تَرَكْتُهُ　　وَقَدْ كَانَ ذَا شَغْبٍ فَوَلَّى مُوَائِبَا

وذكر عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله تعالى عنه أَكْتَلَ بنَ شَمَّاخٍ العُكْلِيَّ فقال : ألصبيحُ الفصيحُ . وهو أول من اتخذ بيت مال لنفسه فى داره .

وعن الحسن قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يُعْطُونَ الحِكْمَةَ عَلى مَنَابِرِهِمْ وقُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الجِيَفِ »

خطبة للحجاج

عن مالك بن سليمان قال : غَدَوْتُ إلى الجمعة فجلست قريباً من المنبر فصعد الحجاج المنبر ثم قال :

أمرؤٌ زوَّر عمله ، أمرؤٌ حاسب نفسه ، أمرؤ فكر فيما يقراؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه ، أمرؤٌ كان عند قلبه زاجراً وعند همه ذاكراً ، أمرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله فإن قاده إلى طاعة الله قبله وتبعه وإن قاده إلى معصية الله كفه .

وبعث عَدِيُّ بنُ أرْطَاةَ إلى المَهَالبةِ أبا المُلَيح الهذَلى[1] وعبدَ الله بنَ عبدِ الله بن الأهتم والحسنَ البصريَّ ، فتكلم الحسن ، فقال عبدُ الله : والله ما عنيت كلاماً قط أحفظه إلا كلام الحسن يومئذ .

(١) هو ابو المليح عامر بن اسامة الهذلى ، كان من خيار التابعين صاحب اخبار واحاديث ، وهو من اساتذة ايوب السختياني ، توفى سنة ١١٢ هـ

وتَنَقَّصَ ابنٌ لِعبدِ الله بنِ عُروَةَ بنِ الزُّبَيْر علياً رضي الله تعالى عنه فقال له أبوه: والله ما بنى الناسُ شيئاً قط إلا هدمه الدين، وما بنى الدينُ قط شيئاً فاستطاعت الدنيا هدمه، ألم تر إلى عليّ كيف يُظهر بنو مَرْوَانَ من عَيبه وذمّه! والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء! وما ترى ما يندبون به موتاهم من التأبين والمديح؟ والله لكأنما يكشفون به عن الجيف.

أبو الحسن قال: قال عبدُالله بنُ الحسن لابنه محمد حين أراد الاستخفاء:[1] أي بني، إني مؤدٍّ إليك حق الله في حسن تأديبك فأدِّ إليّ حق الله في حسن الاستماع، أي بني، كُفَّ الأذى وارفض البَذَاء واستعنْ على[2] الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها إلى القول، فان للقول ساعات يضر فيها خطؤه ولا ينفع صوابه، إحذر مَشُورَةَ الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر مَشُورَةَ العاقل إذا كان غاشا، فانه يوشك أن يُوَرِّطاك بمشورتهما فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل. وكان يقال: من لانت كلمته وجبت محبته، ومن طال صمته اجتلب من الهيبة ماينفعه ومن الوحشة مايضره

باب أن يقول كل انسان على قدر طبعه وخلقه

قال قُتَيْبَةُ بنُ مُسلم لحُصَينِ بنِ المُنذِر:[3] ما السرور؟ قال: امرأة

(١) راجع ص ٢٦٣ من الجزء الاول.

(٢) كان بالاصول: واستغن عن الكلام. وهو خطا والصواب ما اثبتناه

(٣) هو الحصين بن المنذر الرقاشي. كان من سادات قومه. وكان شاعراً مجيدا. وكان مع قتيبة ايام ولايته على خراسان. سال ابو كلدة الشاعر الحصين بن المنذر الرقاشي شيئاً فلم يعطه وقال: لا اعطيك ما تشرب به الخمر! فهجاه أبوكلدة بقوله:

يا يوم بؤس طلعت شمسه ... بالنحس لأفارقت راس الحصين
إن حصينا لم يزل باخلا ... مذ كان بالمعروف ممكز اليدين

فقال الحصين يجيبه:

عض ابو كلدة من امه ... معترضا ماجاور الاسكتين
بظرا طويلا غاشيا رأسه ... اعقف كالمنجل ذاشعبتين

حسناء وذار قَوْرَاء وفرس فارِهٌ مرتبط بالفِناء . وقيل لضرار بن الحسين [١] : ما السرور ؟ قال : لِوَاء منشور وجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير .

وقيل لعبدِ الملك بنِ صالح [٢] : ما السرور ؟ قال:

كلُّ الكَرَامَةِ نِلْتُهَا إلاَّ التَّحِيَّةُ بالسَّلاَمِ [٣]

وقيل لعبدِ اللهِ بنِ الأهتم : ما السرور ؟ قال رفع الأولياء وحطّ الأعداء وطول البناء مع القدرة على الناء . وقيل للفضلِ بنِ سَهْل : ما السرور ؟ قال : توقيع جائز وأمر نافذ .

أبو الحسن المدائني قال: قيل لانسان بَحْرِيّ : أي شيء تمنى ؟ قال شرب من ماء القنطاس والنوم في ظل الشراع وريحاً دُبداذاً .

وقيل لطفيلي : كم اثنتين في اثنتين ؟ قال : أربعة أرغفة ! وقال القلاس القصاص : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وستين درهما !

وقلت لملاح لي وذلك بعد العصر في رمضان : أنظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مرديين ونصف ! وقال آخر: وقع علينا اللصوص فأول رجل دخل علينا السفينة كان في طول هذا المردى وكانت فخذه أغلظ من هذا السكان واسودّ وجه صاحب السفينة حتى صار أشد سواداً من هذا القير ! وأردت الصعود مرة في بعض القناطر وشيخ ملاح جالس وكان يوم مطر وزلق ، فزلق حماري فكاد يلقيني بجنبي لكنه تماسك فأقعى على عجزه

وقال الحصين يهجو ابنه غيظا :

نسي لما اوليت من صالح معنى ... وأنت لتأنيب على حفيظ
تلين لاهل الغل والغدر منهم ... وانت على اهل الصفاء غليظ
عدوك مسرور وذو الود بالذي ... أرى منك من غيظ على كظيظ
وتمسيت غياظا ولست بغائظ ... عدوا ولكن الصديق تغيظ
فلا حفظ الرحمن روحك حية ... ولا هي في الارواح حين تفيظ

(١) راجع ص ٢٤٣ من الجزء الاول

(٢) راجع ص ٢٦٠ من الجزء الاول

(٣) يريد الملك والخلافة

فقال الشيخ الملاح : لا اله الا الله ، ما أحسن ماجلس على كَوْثَلَّهْ ! ومررت بتل طين أحمر ومعى أبو الحسين النحاس فلما نظر إلى الطين قال . أى أدارى يجيء من هذا الطين ! ومررنا بالخلد[1] بعد خرابه . فقال: أى اصطبلات تجيء من هذا الموضع !

وقيل لبعضهم : ما المروءة ؟ قال: طهارة البدن والفعل الحسن . وقيل لمحمد بن عِمران : ما المروءة ؟ قال: أن لا تعمل فى السر شيئاً تستحى منه فى العلانية . وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العفة والحرفة . وقال طلحة بن عبيد الله[2]: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة . وقيل لأبى هُريرة : ما المروءة ؟ قال: تقوى الله وإصلاح الصنيعة والغداء والعشاء بالأفنية .

ونظر بكر بن الأشعر — وكان سجاناً — مرة إلى سوردار بجالة بن عبدة فقال : لا إله إلا الله : أى سجن يجيء من هذا ! وقال إنسان صيرفى . باعنى فلان عشرين جريباً ودانقين ونصفاً ذهباً .

ونظر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه إلى عير مقبلة فقال لأبى ذَر[3]: ما كنت تحب أن تحمل هذه ؟ فقال أبو ذر : رجالا كأمثال عمر[4] .

وقيل للزُّهرى : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أما إنه ليس بِشَعَثِ اللِّمة ولا قَشَفِ الهيئة ولكنه ظلف النفس عن الشهوة . وقيل للزهرى : ما الزهد فى الدنيا

---

(١) الخلد قصر بناه المتوكل على الله العباسى فى بغداد .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله التيمى ، كان من أجلاء الصحابة من المهاجرين الأولين ومن العشرة الكرام ومن أصحاب الشورى ولم يحضرها . ثبت مع رسول الله يوم احد وتلقى عنه ضربة شلت بها يده ، وكان شديداً على عثمان فلما حضر لقتال على يوم الجمل رماه مروان بن الحكم بسهم حقداً عليه لما كان منه لعثمان . فمات رحمه الله

(٣) هو ابو ذر الغفارى ، اسلم بمكة ثم رجع إلى قومه فلم يشهد بدراً ولا احداً ولاالخندق ، ثم قدم المدينة وصحب رسول الله وروى عنه الحديث . وكان قد أخذ على عثمان أشياء استحدثها فى خلافته لم يسبق إليها وسمع به وشنع عليه ودعا الناس إلى المساواة فى الحقوق فغضب منه عثمان وسيره (نفاه) إلى الربذة فمات بها سنة ٣٢ هـ .

(٤) كان بالاصول : رجالا لامثل عمرى ، ولامعنى لهذا الكلام ، وإنما اراد ان يغيظ عثمان فقال له : رجالا كأمثال عمر . هذا ما رأيته صواباً او قريبا فى الصواب ، ولذلك اثبته بالاصل

قال : أن لايغلب الحرام صبرك ولا الحلال شكرك . ونظر زاهد إلى فاكهة فى السوق فلما لم يجد ما يبتاعها [به] عزى نفسه وقال : يا فاكهة ، موعدى و إياك الجنة !

قال : مر المسيح عليه السلام بخلق من بنى اسرائيل فشتموه فكلما قالوا سراً قال المسيح خيراً فقال له سِمْعَانُ الصَّفا : أ كلما قالوا شراً قلت خيراً ؟ قال المسيح عليه السلام : كل امرئ يعطى ما عنده .

وقال بعضهم : قيل لامرىء القَيْسِ بْنُ حُجرٍ : ما أطيب عيش الدنيا ؟ قال بيضاء رُعبوبة بالطيب مشبوبة بالشحم مكروبة . وسئل عن الدنيا الأعشى فقال : صهباء صافية تمزجها ساقية من صوب غادية . وقيل مثل ذلك لِطَرَفة فقال : مطعم شهى وملبس دفئ ومركب وطئ .

وقال : كان محمد بن راشد البجلى[1] يتغدى و بين يديه شَبُّوطة[2] وخياط يقطع له ثيابا ورآه يلحظ الشَّبُّوطَةَ فقال : قد زعمت أن الثوب يحتاج إلى خرقة فكم مقدارها ؟ قال: ذراع فى عرض الشبوطة . ودخل آخر على رجل يأكل أرجَّة بعسل ، فأراد أن يقول : السلام عليكم فقال : عسليكم . ودخلت جارية رومية على راشد البستى لتسأل به عن مولاتها فبصرت بحمار قد أدلى فى الدار

(١) هو ابوجعفر محمد بن راشد الخناق أوالختاق البجلى : كان فى جملة الندماء للمامون ومن بعده ولامراء الدولة وكان ظريفا يقول الشعر ويحسن الغناء ويضع الالحان وكان صديقا لاسحق بن ابراهيم الموصلى . فنقل كلاما إلى ابراهيم بن المهدى أغضب اسحق فقال فيه اسحق :

ونديمان صدق لا تخاف لذاته ... ولا يلفظ الاخبار لفظ ابن راشد
دعانى إلى ما يشتهى فاجبته ... إجابة محمود الخلائق ماجد
فلاخير فى اللذات إلا باهلها ... ولا عيش إلا بالخليل المساعد

فجمع ابن راشد عدة من الشعراء لهجو إسحق فلم يحسنوا القول فبلغ ذلك إسحق فقال فيه :

وابيات شعر رائعات كأنها ... إذا أنشدت فى القوم من حسنها سحر
تحفز واقلولى لرد جوابها ... ابو جعفر يغلى كما غلت القدر
فلم يستطعها غير ان قد اعانه ... عليها اناس كى يكون له ذكر
فياضيعة الاشعار إذ يقرضونها ... واضيع منها من يرى أنها شعر

فعاذ به محمد بن راشد وصالحه فرضى عنه

(٢) الشبوط : سمك رقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الراس كانه بربط يعنى كانه العود الذى يضرب عليه فيطرب

فقالت : قالت مولاتى : كيف اير حماركم ؟ فيما زعم أبو الحسن المدائنى . وأنشد ابن الأعرابى :

وَإِذَا أَظْهَرْتَ أَمْرًا حَسَنًا   فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا يُسَرّ
فَمُسِرُّ الْخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ   وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرّ

وأنشد ابن الاعرابى :

أَرَى النَّاسَ يَبْنُونَ الْحُصُونَ وَإِنَّمَا   غَوَائِلُ آجَالِ الرِّجَالِ حُصُونُهَا
وَإِنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ دُونًا وَصَالِحًا   فَصَالِحُهَا يَبْقَى وَيَهْلِكُ دُونُهَا

وأنشد ابن الأعرابى :

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ   زَادٌ يُبَلِّغُهُ الْمَحَلاَّ
خُبْزٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ   وَالظِّلُّ حِينَ يُرِيدُ ظِلاَّ

وقال بعض الأعراب :

وَمَا الْعَيْشُ إِلاَّ شَبْعَةٌ وَتَشَرُّقٌ   وَتَمْرٌ كَأَخْفَافِ الرِّبَاعِ وَمَاءُ(١)

محمد بن حرب الهلالى قال : قلت لأعرابى : إني لك لَوَادٌّ . قال : وإن لك من قلبي لرائد . قال : وأتيت أعرابياً فى أهله مسلما عليه فلم أجده فقالت امرأته : عَشَّرَ الله خطاك . أى جعلها عشرة أمثالها . وكان مُسلم بن قتيبة يقول : لم يضيع امرؤ صواب القول حتى يضيع صواب العمل .

ما يجب على الآباء للأبناء

أبو الحسن قال : قال الحجاج لمعلم وُلْدِه : علم وُلْدِي السباحة قبل الكتابة فإنهم يصيبون مَن يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم .

أبو عَقيل بن دُرُست قال : رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر

(١) التشرق : الجلوس في الشمس . والرباع جمع ربع وهو الفصيل ينتج في الربيع

فقلت له : فى أى شىء كنت اليوم ؟ قال : فى تعليم ماليس يُنسى وليس لشىء من الحيوان عنه غنى ! قلت : وما ذلك ؟ قال : السباحة .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى ساكنى الأمصار : أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورَوُّوهم ما سار من المثل وحَسُنَ من الشعر .

وقال ابن التوأم : علم إبنك الحساب قبل الكتاب فإن الحسَّاب أكسب من الكُتَّاب ، ومؤنة تعلمه أيسر ووجوه منافعه أكثر . وكان يقال : لاتعلموا بناتكم الكتاب ولا تروهن الشعر وعلموهن القرآن ومن القرآن سورة النور . وقال آخر : بنو فلان يعجبهم أن يكون فى نسائهم إباضِيَّات[1] ويؤخذون بحفظ سورة النور ! وكان ابنُ التوأم يقول : مِن تمام مايجب على الآباء من حفظ الأبناء أن يعلموهم الكتاب والحساب والسباحة .

خطب رجل امرأة أعرابية فقالت له : سل عنى بنى فلان و بنى فلان و بنى فلان ! فعدت قبائل ، قال : وما علمهم بك ؟ قالت : فى كلهم قد نكحت ! قال أرى بك جَلَنْفَعَةً قد خَزَمَتْكِ الْخَزَائم[2] ! قالت : لا ، ولكنى جوالة بالرجل شِمَّرِيس[3]

وقال الفرزدق لامرأته نوار : كيف رأيت جريراً ؟ قالت : رأيتك ظلمته أولاً ثم شغرت عنه برجلك آخراً ! قال : أنا أنى[4] !؟ قالت : نعم أما إنه قد غلبك فى حلوه وشاركك فى أمره .

---

(١) إباضيات منسوبات إلى المذهب الاباضى . وأهل هذا المذهب من أفاضل أهل القبلة وممن ينفرون من البدع التى ليست من الدين فى شىء ومن هنا يتهمهم بعض المسلمين بالتشدد وبعدم مسايرتهم للتقدم ، بل يرمونهم بما هم منه براء . وقد كنت خدعت بقول خصومهم فيهم فرددت مجمل مايتهمونهم به فى الصفحة ٤٣ من الجزء الأول . ثم تبين لى اليقين فيهم فعلمت أنهم من خيار المسلمين وممن يرجعون فى كل أمورهم من عبادة ومعاملة إلى الكتاب والسنة . ولا يرعك تنديد الجاحظ بهم فانهم كانوا فيما سلف خصوما للمعتزلة ، رضى الله تعالى عن المسلمين كافة

(٢) الجلنفعة : التى أسنت وبها بقية . وخزمتها الخزائم : تقلبت بها الشؤون والأحوال .

(٣) شمريس : ماضية فى الأمور مجربة

(٤) أنى : أتواكل فى شأنى

وتغدى صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحان عند معاوية يوماً فتناول من بين يدى معاوية شيئاً فقال : يا ابن صوحان ، لقد انتجعت من بعيد ! قال : من أجدب انتجع . وبصر الفرَزْدَقُ بجرير مُحرماً فقال : والله أفسدت على ابن المراغة حجه ! ثم جاءه مستقبلا له فجمزه بِمِشْقَصٍ كان معه ثم قال :

إنَّكَ لاَقٍ بالمَشَاعِرِ مِنْ مِنًى ... فَخَاراً فَخَبِّرْنِى بِمَنْ أَنْتَ فاخِرُ

فقال جرير : لبيكَ اللهمَّ لبيكَ ! ولم يجبه . وأُدخلَ مالكُ بنُ أسماء سجن الكوفة فجاس إلى رجل من بنى مُرة فاتكأ المرى عليه يحدثه حتى أكثر وَغْمَهُ ثم قال : هل تدرى كم قتلنا منكم فى الجاهلية ؟ قال مالك : أما فى الجاهلية فلا ولكنى أعرف من قتلتم منا فى الإسلام ! قال المرى : ومن قتلنا منكم فى الاسلام ؟ قال : أنا قد قتلنى وغْمُك(١)

ودخل رجل من مُحارب قَيسٍ على عَبْدِ الله بْنِ زيدٍ الهلالى وهو عامل على أرمينية ، وقد بات فى موضع غدير قريب منه فيه ضفادع ، فقال عبدُ الله للمحاربى : ما تركتنا أشياخُ محارب ننام فى هذه الليلة لشدة أصواتها ! قال المحاربى : أصلح الله الأمير ، إنها أضلت برقعاً لها فهى فى بَغائه ! أراد الهلالى قول الأخطل :

تَنِقُّ بِلاَ شَيْءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ ... وَمَا خِلْتُهَا كانَتْ تَرِيشُ وَلاَ تَبْرِى
ضَفَادِعُ فى ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ ... فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وأراد المحاربى قول الشاعر :

لِكُلِّ هِلاَلِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ بُرْقُعٌ ... وَلاِبْنِ هِلاَلٍ بُرْقُعٌ وَقَمِيصُ

وقال العتبي :(٢)

رَأَيْنَ الغَوانِى الشَّيْبَ لاَحَ بِعَارِضِى ... فأَعْرَضْنَ عَنِّى بالخُدُودِ النَّوَاضِرِ

(١) الوغم : الثقيل الاحمق . والوغم : القهر والغيظ

(٢) هو محمد بن عبيد الله العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان . كان راوية إخباريا شاعرا بليغا وخطيبا لسنا ، وكان مستهترا بالشراب ، وأكثر أخباره عن بنى امية . سنة ٢٢٨ هـ

وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْنَنِي أَوْسَمِعْنَ بِي ... سَعَيْنَ فَرَقَّعْنَ الكُوَى بِالمَحَاجِرِ

لَئِنْ حُجِبَتْ عَنِّي نَوَاظِرُ أَعْيُنٍ ... رَمَيْنَ بِأَحْدَاقِ المَهَا وَالجَآذِرِ

فَإِنِّيَ مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ أُصُولُهُمْ ... لِأَقْدَامِهِمْ صِيغَتْ رُؤُسُ المَنَابِرِ

خَلَائِفُ فِي الإِسْلَامِ فِي الشِّرْكِ قَادَةٌ ... بِهِمْ وَإِلَيْهِمْ فَخْرُ كُلِّ مُفَاخِرِ

قال لَبيد :

وَالشَّاعِرُونَ النَّاطِقُونَ إِذَا هُمُ ... سَلَكُوا طَرِيقَ مُرَقِّشٍ وَمُهَلْهِلِ

وقال آخر :

أَمْ مَنْ لِبَابٍ إِذَا مَا اشْتَدَّ حَاجِبُهُ ... أَمْ مَنْ لِخَصْمٍ بَعِيدِ الغَوْرِ مِغْوَارِ

وقال حاجبُ بْنُ دِينارٍ المازنى :(١)

نَحْنُ بَنُو الفَحْلِ الَّذِي سَالَ بَوْلُهُ ... بِكُلِّ بِلَادٍ لَا يَبُولُ بِهَا فَحْلُ

أَبَى النَّاسُ وَالأَقْلَامُ أَنْ يَحْسِبُوهُمُ ... إِذَا حَصَلَ الأَخْمَاسُ أَوْ يُحْسَبَ الرَّمْلُ

فَإِنْ غَضِبُوا اشْتَدُّوا المَشَارِفَ مِنْهُمُ ... مُلُوكٌ وَحُكَّامٌ كَلَامُهُمُ فَصْلُ

---

(١) هو حاجب بن دينار ، ويقال ابن ذبيان ، المازنى ، وقد لقبه ثابت قطنه ، حاجب الفيل ، كان من الشعراء البلغاء ، دخل على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه انشأ يقول :

إليك امتطيت العيس تسعين ليلة ... أرجى ندا كفيك يا ابن المهلب

وأنت امرؤ حادت سماء يمينه ... على كل حى بين شرق ومغرب

فجد لى بطرف اعوجى مشهر ... سليم الشظا عبل القوائم سلهب

سبوح طموح الطرف يسترجم ... امر كامرار الرشاء المشذب

طوى الضمر منه البطن حتى كأنه ... عقاب تدلت من شماريخ كبكب

تبادر جنح الليل فرخين اقويا ... من الزاد فى قفر من الارض مجدب

فلما رأت صيدا تدلت كأنها ... دلاة تهاوي مرقبا بعد مرقب

فشكت سواد القلب من ذئب قفرة ... طويل القري عاري العظام معصب

وسابغة قد اتقن القين صنعها ... واسمر خطى طويل مجرب

ولبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب متى يلق الضريبة يقتضب

وقل لى إذا ما شئت فى حومة الوغى ... تقدم او اركب حومة الموت اركب

فانى امرؤ من عصبة مازنية ... نمانى اب ضخم كريم المركب

فامر له يزيد بفرس ودرع ورمح وسيف والفى درهم ، فحسده ثابت قطنة وكعب الاشقرى فلج الهجاء فيما بينه وبينهما .

وقال أعرابي من بني حنيفة وهو يمتَحُ :

مَرَّ الجَرادُ عَلَى زَرْعِي فَقُلْتُ لَهُ ... اِلْزَمْ طَرِيقَكَ لاَ تُولَعْ بِإِفْسَادِ

فَقَامَ مِنْهم خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ ... إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لاَبُدَّ مِنْ زادِ

وقال آخر يهجو بعض الخطباء :

يُمانُ ولاَ يَمونُ وَكانَ شَيْخاً ... شَدِيدَ اللَّقْمِ صِلْقاماً خَطِيبا

ذهب إلى قول الأخوص:

ذَهَبَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ فَرَطاً ... وَبَقِيتُ كالمَقْمُورِ فِي خَلْفِ

مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى عُنُقٍ ... مُتَضَجِّعٍ يُكْفَى وَلاَ يَكْفِي

وقال الحسن بن هانىء :(١)

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَإِمَّا كَفَيْتَهُ ... وَإِمَّا عَلَيْهِ بِالْكَفِيِّ تُشِيرُ

---

(١) هذا البيت من قصيدة أبي نواس البليغة التي مدح بها أبا نصر الخصيب بن عبد الحميد وكان من أمراء الدولة العباسية بمصر وأولها :

أجارة بيتينا ابوك غيور ... وميسور مايرجى لديك عسير

وهي طويلة ، يقول فيها :

تقول التي عن بيتها خف مركبي ... عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب ... بلى إن أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر ... جرت فجرى في إثرهن عبير
ذريني أكثر حاسديك برحلة ... إلى بلد فيه الخصيب أمير
إذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا ... فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله ... ويعلم ان الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير
فلم تر عيني سؤددا مثل سؤدد ... يحل ابو نصر به ويسير
واطرق حيات البلاد لحية ... خصيبية التصميم حين تسور
سموت لأهل الجور في حال امنهم ... فأضحوا وكل في الوثاق اسير
إذا قام غنته على الساق حلية ... لها خطوه عند القيام قصير
فمن يك امسى جاهلا بمقالتي ... فإن امير المؤمنين خبير
وما زلت توليه النصيحة يافعا ... إلى ان بدا في العارضين قتير
إذا غاله امر فاما كفيته ... وإما عليه بالكفاه تشير

وقال آخر :

ذَرِينِي لاَ أُعْيَا بِمَا حَلَّ سَاحَتِي ... أَسُودُ وَأُ كْفِي أَوْ أُطِيعَ المُسَوَّدَا

وقال بشار :

وَفِي العِبْرَاتِ الغُرِّ صَبْرٌ عَلَى النَّدَى ... أُولَئِكَ حَيٌّ مِنْ حَزِيمَةَ أَغْلَبُ

وَالأُمُّ مَنْ يَمْشِي ضُبَيْعَةُ إِنَّهُمْ ... زَعَانِفُ لَمْ يَخْطُبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ

وكذلك قول أعشى بنى ثعلبة :

مَاضَرَّ غَازِي نِزَارٍ أَنْ يُفَارِقَهُ ... كَلْبٌ وَجَرْمٌ إِذَا أَبْنَاؤُهُ اتَّفَقُوا (١)

قَالَتْ قُضَاعَةُ إِنَّا مِنْ ذَوِي يَمَنٍ ... اللهُ يَعْلَمُ مَا بَرُّوا وَلاَ صَدَقُوا (٢)

يَزْدَادُ لَحْمُ المَنَاقِي فِي مَنَازِلِنَا ... طِيبًا إِذَا عَزَّ فِي أَعْدَائِنَا المَرَقُ

وَمَا خَطَبْنَا إِلَى قَوْمٍ بَنَاتِهِمِ ... إِلاَّ بِأَرْعَنَ فِي حَافَاتِهِ الحَرَقُ (٣)

قوله خطبنا هاهنا من الخطبة وقولهم فى الشعر الأول من الخطبة :

وقال بَلْعَاء بْنُ قَيْس: (٤)

أَبَيْتُ لِنَفْسِي الخَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ ... وَوَلَّيْتُهُمْ شَتْمِي وَمَا كُنْتُ مُفْحَمَا

وقال بَلْعَاء بْنُ قَيْسٍ لِسُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ :

أَلاَ أَبْلِغْ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ ... فَبِئْسَ مَقَالَةُ الرَّجُلِ الخَطِيبِ

أَتَرْجُو أَنْ تَؤُدَ بِطَعْنِ لَيْثٍ ... فَهَذَا حِينَ تُبْصِرُ مِنْ قَرِيبِ (٥)

وقال منصور الضَّبِّيُّ (٦)

---

(١) نزار : ابو قبائل ربيعة ومضر ، كلب وجرم : قبيلتان

(٢) قضاعة : قبيلة يمنية

(٣) الأرعن : الجيش

(٤) هو بلعاء بن قيس الكنانى ، كان من فرسان العرب وشجعانهم وكان معروفا بالجمال ، قتل فى يوم الفجار الثانى

(٥) ليث : من قبائل كنانة ، والليث اسم الأسد

(٦) هو منصور بن مسجاح الضبى

لَيْتَ الفَتَى عَجْرَدًا مِنَّا مَكَانَهُم ... وَلَيْتَهم مِنْ وَرَاءِ الأَخْضَرِ الجَارِى (١)

قَدْ قَامَ سَيِّدُهُم عِمْرَانُ يَخْطُبُهم ... مَا كَانَ لِلْخَيْرِ عِمْرَانٌ بِأَمَّارِ

تقول العرب : الخَلَّةُ تدعو إلى السَّلَّةِ (٢). وكانوا إذا أسروا أسيراً قال المادح أسره فى مُزاحفة ولم يأسره فى سلة . وفى الحديث « لاَ أَسْلاَلَ ولاَ أَغْلاَلَ » وفى المثل : الحاجة تفتح باب المعرفة .

ونذكر هنا أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة :

قال سُويدُ المراثدِ الحارثى أو غيره (٣)

بَنِى عَمِّنَا لاَ تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَ مَا ... دَفَنْتُم بِصَحْرَاءِ الغُمَيْمِ القَوَافِيَا (٤)

فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً ... فَنَقْبَلَ عَقْلاً أَوْ نُحَكِّمَ قَاضِيَا (٥)

وَلَكِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ ... فَتَرْضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيَا (٦)

فَإِنْ قُلْتُمُ إِنَّا ظَلَمْنَا فَإِنَّكُمْ ... بَدَأْتُمْ وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا (٧)

وَقَدْ سَاءَنِى مَا جَرَّتِ الحَرْبُ بَيْنَنَا ... بَنِى عَمِّنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيَا (٨)

وقال ضابئ بنُ حارثٍ (٩)

وَرُبَّ أُمُورٍ لاَ تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ

(١) الاخضر الجارى : يريد به البحر

(٢) الخلة : الفقر والحاجة ، والسلة : السرقة

(٣) هذا الشعر لسويد بن صميع الحارثى شاعر فارس فاتك . وكان اخوه قتل غيلة فقتل قاتل أخيه نهارا في إحدى اسواق الحضر . ويروي هذا الشعر للشميذر الحارثي

(٤) صحراء الغميم : اسم مكان

(٥) ويروى: فنقبل ضيما

(٦) رضاء السيف كناية عن عمله حتى يثلم

(٧) ويروى : فان قلتم إنا ظلمنا فلم نكن ... ظلمنا ولكنا أسانا التقاضيا
وإساءة التقاضى انهم قتلوا جماعة بثأر واحد

(٨) مدانيا : مقاربا سهل القبول على النفس

(٩) هو ضابئ بن الحارث البرجمي اليربوعي التيمى ، شاعر فحل من شعراء الاسلام . وكان استعار كلبا من قوم فلما طلبوه منه تلكأ ثم اخذوه فغضب فهجاهم هجاء فاحشا فاستعدوا عليه عثمان بن عفان فدعا به ليؤدبه فشد سكينا في ساقه ليقتل بها عثمان فعثر عليها معه فضربه وحبسه فقال وهو في السجن :

وقال حارثةُ بنُ بَدْرٍ (١)

وَقُلْ لِلفُؤَادِ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةً   مِنَ الرَّوْعِ أَفْرِخْ أَكْثَرُ الرَّوْعِ باطِلُه (٢)

وقال لَبيد :

وَاكْذِبِ النفْسَ إِنْ حَدَّثْتَهَا   إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بالأَمَلْ

وقال الشاعر ، وهو حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطائى

وَطُولُ مُقَامِ المَرْءِ فى الحَىِّ مُخْلِقٌ   لِدِيبَاجَتَيْهِ فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

فإنِى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً   إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

وقال آخر:

هُوَ الشَّمْسُ إِلاَّ أَنَّ لِلشَّمْسِ غَيْبَةً   وَهَذا الفَتى الجَرْمِى لَيْسَ يَغيبُ

ومن يك امسى بالمدينة رحله   فاني وقيارا بها لغريب

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى   نجاحا ولا عن ريثهن يخيب

ورب امور لا تضيرك ضيرة   وللقلب من مخشاتهن وجيب

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه   على نائبات الدهر حين تنوب

وفى الشك تفريط وفى الحزم قوة   ويخطي الفتى فى حدسه ويصيب

ولست بمستبق صديقا ولا أخا   إذا لم تعد الشىء وهو يريب

وظل محبوسا حتى مات ، وهو القائل :

لكل جديد لذة غير أننى   رأيت جديد الموت غير لذيذ

(١) هو حارثة بن بدر الغداني اليربوعي التميمي . كان من سادات بنى تميم وفرسانهم الأنجاد . وكان خطيبا مصقعا وشاعرا يجارى نظراءه من الشعراء ولا يسابقهم . وكان محبا للشراب . أدرك الاسلام وأسلم وهو صغير . وكان ممن خرج مع سجاح ثم استقام أمره . وكان من قواد الدولة الأموية وامرائها . قال له زياد بن ابي سفيان يوما : من أخطب الناس انا اوأنت ؟ فقال : الامير اخطب منى إذا توعد ووعد واعطى ومنع وبرق ورعد ، وانا اخطب منه فى الوفادة وفى الثناء والتحبير ، وانا اكذب إذا خطبت فاحشو كلامى بزيادة مليحة شهية ، والامير يقصد إلى الحق وميزان العدل ولايزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه ! فقال زياد : قاتلك الله فلقد اجدت تخليص صفتك وصفتى من حيث اعطيت نفسك الخطابة كلها وارضيتنى وتخلصت ! ثم التفت إلى اولاده فقال : هذا لعمركم البيان الصريح . وعوتب زياد على اختصاصه بحارثة ، على إدمانه الشراب ، فقال : اتلوموننى عليه ! فوالله ما تفل في مجلسي قط ولا حك ركبه ركبتى ولا سار معى فى علاوة الريح فغبر على ولا دعوته قط فاحتجت إلى تجشم الالتفات إليه حتى يوازينى ولا شاورته فى شىء إلا نصحنى ولا سالته عن شىء من امر العرب واخبارها إلا وجدته به بصيرا .

(٢) نزا : اضطرب وكاد يثب من مكانه . الروع : الفزع . افرخ : إهدأ واطمئن

يَرُوحُ وَيغدُو لَيْسَ يَفْتُرُ ساعَةً ... وَإنْ قِيلَ نَاءٍ مِنْكَ فَهُوَ قَرِيبُ

وقال آخر:

خِلافًا لِقَوْلِى مِنْ فَيالةِ رَأْيِهِ ... كَمَا قِيلَ قَبْلَ اليَوْمِ خَالِفْ فَتُذْكَرَا[1]

وقال حارثةُ بْنُ بَدْرٍ:

إذا مَا مِتُّ سُرَّ بنو تَميمٍ ... عَلَى الحَدَثانِ لَوْ يَلْقَوْنَ مِثْلِى

عَدُوٌّ عَدُوُّهِمْ أبدًا عَدُوِّى ... كَذلِكَ شَكْلُهُمْ أبدًا وَشَكْلِى

وهذا شبيه بقول الأعشى:

عُلِّقْتُها عَرَضًا وَعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غَيْرِى وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

وقالَ عَمْرٌو لمعاوية: مَنْ أصبر الناس؟ قال: من كان رأيه رادًّا لهواه. واختلفوا بحضرة الزُّهرى فى معنى قول القائل: فلان زاهد. قال الزهرى: الزاهد الذى لا يغلب الحرامُ صبره ولا الحلال شكره.

وقال ابنُ هُبَيْرَةَ[2] وهو يؤدب بعض بنيه: لاتكونن أول مُشير وإياك والهوى والرأى الفطير، وتجنب ارتجال الكلام، ولا تُشِرْ على مستبد ولا على وغد ولا على مُتلون ولا على لجوج، وخف الله فى موافقة هوى المستشير فإنَّ التِماس موافقته لؤم وسوء الاستماع منه خيانة. وقال: من كثر كلامه كثر سقطه. ومن ساء خُلقه قلَّ صديقه.

وقال عُمرُ للأحنف: من كثر ضحكه قلّت هيبته ومن أكثر من شىء عُرِف به ومن كثر مزاحه كثر سقطه ومن كثر سقطه قلّ ورعه ومن قلّ ورعه ذهب حياؤه ومن ذهب حياؤه مات قلبه.

---

(١) فيالة رأيه: ضعف رأيه، يقال هو فائل الرأى اى ضعيفه وسخيفه

(٢) هو عمر بن هبيرة الفزارى. مضت ترجمته فى ص ٩٦ من الجزء الاول

وصية المهلب لبنيه

وقال المهلب :[١] يابنى ، تباذَلوا تحابُّوا ، و إن بنى الأم يختلفون فكيف بنو العَلاَّتِ ؟ إن البرَّ ينسأ فى الأجل ويزيد فى العدد ، و إن القطيعة تورث القلة وتُعقب النار بعد الذل، واتقوا زلة اللسان فان الرجل تزل رجله فينتعش و يزل لسانه فيهلك ، وعليكم فى الحرب بالمكيدة فانها أبلغ من النجدَة فان القتال إذا وقع وقع القضاء فان ظفر فقد سعد و إن ظُفر به لم يقولوا فرط .

ولقى الحسين رضى الله تعالى عنه الفرزدق فسأله عن الناس فقال : القلوب معك والسيوف عليك والنصر فى السماء .وقال بعضهم حُجب أعرابى عَلَى باب سلطان فقال :

أهِينُ لهُمْ نَفسِى لِأُكْرِمَهَا بِهِمْ   وَلاَ يُكْرِمُ النَّفْسَ الَّذِى لاَيُهِينُهَا

وقال جرير :

قَوْمٌ إذَا حَضَرَ المُلُوكَ وُفُودُهُمْ   نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

وقال آخر :

نَهَيْتُ جَمِيعَ الحَضْرِ عَنْ ذِكْرِ خُطَّةٍ   يُدَبِّرُهَا فى رَأْيِهِ ابْنُ هِشَامِ
فَلَمَّا وَرَدْتُ البَابَ أيْقَنْتُ أَنَّنا   عَلَى اللهِ وَالسُّلْطَانِ غيرُ كِرَامِ

---

(١) هو المهلب بن ابى صفرة ، واسم ابى صفرة ظالم بن سراق ، وكان من ازد العتيك ، ازد دبا ، ودبا مكان فيما بين عمان والبحرين . نزل ابو صفرة البصرة وبها نشأ ولده المهلب على ما نشا عليه ابناء السادة والرؤس ، وكان سيداً نبيلا ، وشجاعا باسلا ، وفارساً مغواراً ، وقائدا محكا . وفقيهاً عاقلا وكان فى الحرب ذا حيل ومكايد ، وفى السلم ذا فطن ومحامد . لما اشتد امر الخوارج وخيف على الدولة منهم بعد ان عجزت جيوشها وقوادها عنهم اجمع الرؤساء والأشراف واصحاب الراى فى البصرة على التوجه إلي المهلب والرغبة اليه فى ان يتولى حربهم ، وقالوا له : إنما اخترناك ايثاراً للدين ، وكل من فى مصرك ماد عينه إليك ، راج أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك . فقبل ذلك واشترط ما شاء عليهم مما يضمن الفوز له والامن لهم . وبعد ان اعد العدة خرج إلى الخوارج وصمد لهم هو واولاده الابطال ومن معهم من الجند يراوحهم القتال ويغاديهم زهاء اثنتى عشرة سنة حتى مزق شملهم وفرق جمعهم . وكان الخوارج يسمونه الساحر وينعتونه بالكذاب حقداً منهم عليه . ثم ولى خراسان خمس سنين وفتح فتوحا كثيراً، ومات بمرو الروذ سنة ٨٢ هـ

وقال آخر :

وَافَى الوُفُودُ فَوَافَى مِنْ بَنِى جَمَلٍ ... بَكْرُ الحَمَالَةِ قانِى السِّنِّ عُرْزُوم (١)

وقال متمم بن نويرة : (٢)

فَدَبْتُكِ أَنْ لاَ تُسْمِعِينِى مَلاَمَةً ... وَلاَ تَنْكَئِى قَرْحَ الفُؤَادِ فَيَيْجَعَا

(٣)

وقال آخر :

قَلِيلُ التَّشَكِّى لِلمُصَائِبِ ذَاكِرًا ... مِنَ اليَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ فِى غَدِ

وقالوا : أشد من الموت ما يُتمنى له الموت . وقال الفرزدق وهو يصف طعنة :

يَوَدُّ لَكَ الأَدْنَوْنَ لَوْ مِت قَبْلَهَا ... يَرَوْنَ بِهَا شَرًّا عَلَيْكَ مِنَ القَتْلِ

وقيل للأحنف: مابلغ من حزمك ؟ قال: لاَ أَلِى ما كُفيت ولاأُضيع ماوليت.

وقال آخر : لا تقيموا ببلاد ليس فيها نَهرٌ جَارٍ وسُوق قائمة وقاض عدل .وقالوا : لاتُبنَى المدن إلاَّ على الماء والمرعى والمُحتطب .

وقال مَالِكُ بنُ دِينَارٍ : لربما رأيت الحجاجَ يتكلم على منبره ويذكر حُسن صنيعه إلى أهل العراق وسوء صنيعهم إليه حتى أنه ليخيل إلى أنه صادق مظلوم .

أبو عبد الله الثقفى عن عمه قال : سمعت الحسنَ يقول : لقد وَقَذَتْنِى (٤)

---

(١) عرزوم : شديد مجتمع

(٢) كان بالأصول : تميم.وهو خطأ . والصواب ماأثبتناه . وهو متمم بن نويرة أخو مالك بن نويرة الذي قتله خالد بن الوليد في حروب الردة ، وهذا البيت من قصيدة له يرثي بها أخاه مالكا وأولها :

لعمري وما دهري بتأبين مالك ... ولا جزعا مما أصاب فأوجعا

وفيها يقول : فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث إذا ماتمنعا

تقول ابنة العمري مالك بعدما ... أراك قديما ناعم البال أفرعا

فقلت لها طول الأسى إذ سألتني ... ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا

وفقد بني أم تولوا فلم أكن ... خلافهم أن أستكين فأخضعا

ولكنني أمضي على ذاك مقدما ... إذا بعض من يلقى الخطوب تضعضعا

قعيدك أن لاتسمعيني ملامة ... ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا

وحسبك أني قد جهدت فلم أجد ... بكفي منه للمنية مدفعا

(٣) بياض بالأصول

(٤) وقذه : ضربه حتى استرخى واشرف على الموت

كلمةٌ سمعتها من الحجاج ! قلت : وإنَّ كلام الحجاج لَيَقذُكَ ؟ قال : نعم ، سمعته على هذه الأعواد يقول : إن امرأ ذهبت ساعةٌ من عُمُره فى غير ماخُلق له لحَرِىٌّ أن تطول عليها حسرته . وقال بعضهم : كان يقال : ما وجدنا أحداً أبلغ فى خير وشر من صاحب عَبْدِ الله بنِ سَلَمَةَ .

ودخل الزِّبرقان بن بدر ، وقد كُف بصره ، على زياد فسلم تسليما جافياً فأدناه زياد فأجلسه معه وقال : ياأبا عَياش ، القوم يضحكون من جفائك ؟ قال : وإن ضحكوا فوالله إن منهم رجلا إلاَّ يودّ أنى أبوه دون أبيه ، لِغَيَّةٍ أو لِرَشْدَةٍ (١)

ونظر هشام بن عبد الملك إلى قبر عُثْمان بنِ حَيان المُرى (٢) فقال جُثْوَةٌ من جُثَا النار ! وكان يقال : صاحب السوء قطعة من النار ، والسفر قطعة من العذاب .

وكان يقال: عذابان لا يَكترِثُ لهما الداخل فيهما : السفر الطويل والبِناء الكثير.

وقال رجل من أهل المدينة : مَن ثَقُل على صديقه خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

وقال سَهْلُ بنُ هرونَ : ثلاثة يعودون إلى أجن المجانين وإن كانوا أعقل العقلاء : ألغضبان والغَيران والسكران ! فقال له أبو عَبْدَانِ المُخَلَّمِ الشاعر : ماتقول فى المُنْعظِ ؟ فضحك حتى استلقى ثم قال :

وَمَاشرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو   بِصَاحِبِكِ الَّذِى لاتَصْبَحِيْنا

وقال أبُو الدَّرْدَاءِ : أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب . وقال ماس : البُخل قَيْدٌ والغضب جُنون والسكر مفتاح الشر . وقال بعض البخلاء : نا نَصَبَ الناسُ لشىء نَصَبُهم لنا ! هَبْهم يُلزِمونا الذم فيما بيننا و بينهم ، مالهم يلزمونا التقصير فيما بيننا و بين أنفسنا ! ؟

---

(١) لغية أو لرشدة : لحرام او حلال

(٢) هو عثمان بن حيان احد بنى مالك بن مرة . كان من ولاة الدولة الاموية وامرائها ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة ، وكان صاحب حزم ومضاء للامور فطهر البلاد من اللصوص وقطع السنة لعل الفحش واعطى ومنع وكان قوى الارادة

وقال إبراهيمُ بنُ عبد الله بنِ حَسَن لأبيه : ما شِعر كُثَيِّر [١] عندى كما يَصفه الناس ! فقال أبوه : إنك لن تضع كُثَيِّراً بهذا ! إنما تضع بهذا نفسك . وأنشد رجل عُمرَ بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه قولَ طَرَفَةٍ :

فَلَولا ثلاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الفتَى   وَجَدِّكَ لم أحْفِلْ مَتَى قامَ عُوَّدِى

فقال عُمرُ : لولا أن أسير فى سبيل الله وأضع جبهتى لله وأجالس أقواما ينتقون أطايبَ الحديث كما ينتقون أطايب التمر ، لم أُبال أن أكون قد مِت . وقال عامرُ ابنُ عبدِ قيسٍ : ما آسى من العراق إلا على ثلاث: على ظمأ الهواجر وتجاوب المؤذنين وإخوان لى منهم الأسود بن كُلثوم ! وقال آخر : ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : رُطب السكر وليل الخريز وحديث ابن أبى بكرة ! وقال سهل ابن هرون : [٢]

وَلَكِنَّنِى أبْكِى بِعَيْنٍ سَخِينَةٍ   عَلى جَلَلٍ تَبْكِى له عَيْنُ أمْثَالِى

فِرَاقِ خَلِيلٍ أوْ شَجًى يَسْتَشِفُّنِى   لِخَلَّةِ أمْرٍ لا يَقومُ لها مَالِى

فَيا كَبِدِى حَتَّى مَتَى القَلبُ مُوجَعٌ   بِثُكْلِ حَبِيبٍ أوْ تَعَذُّرِ إفْضَالِ

وَمَا العَيْشُ إلاَّ أنْ تَطُولَ بِنائِلٍ   وَإلاَّ لِقاءُ الأخِ ذِى الخُلُقِ العَالِى

وقال أعرابى :

لولا ثلاثٌ هُنَّ عَيشُ الدَّهْرِ   المَاءُ وَالنَّوْمُ وَأُمُّ عَمْرِو

لَمَا خَشِيتُ مِنْ مَضِيقِ القَبْرِ

وقال الأحنف : أربعٌ مَن كن فيه كان كاملا ومن تعلق بخصلة منهن كان

---

(١) هو كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة ، شاعر غزل مجيد من شعراء الدولة الاموية وهو اجود أهل الحجاز شعرا وله في صاحبته عزة اشعار كثيرة فى غاية الاحسان ، وكان كثير يتشيع ويرى ان هناك أماما يظهر فى آخر الزمان يملاها عدلا كما ملئت جورا ، وفى ذلك يقول :

الا إن الائمة من قريش   ولاة الحق اربعة سواء

على والثلاثة من بنيه   هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط ايمان وبر   وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا تراه العين حتى   يقود الخيل يقدمها اللواء

تغيب لا يرى عنهم زمانا   برضوى عنده عسل وماء

وكان بعد ذلك فى شعراء عبد الملك بن مروان واولاده ، مات سنة ١٠٥ هـ

(٢) راجع ص ٥٩ من الجزء الاول

من صالحي قومه : دِين يُرشده أو عَقل يُسَدِّده أو حَسَب يصونه أو حياء يَقْنَاه»(١)
وقال : المؤمن بين أربع : مُؤمن يَحسده ومنافق يُبغضه وكافر يُجاهده وشيطان يَفتنه ، وأربع لسن أقل منهن : اليقين والعدل ودِرهم حلال وأخ فى الله . وقال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما : مَن أتانا لم يعدم خَصلة من أربع : آيةُ محكمة أوقضية عادلة أو أخاً مُستفاداً أو مجالسة العلماء. وقالوا : مَن أعطى أربعاً لم يُمنع أربعاً: مَن أُعطى الشكر لم يُمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطي الإستخارة لم يمنع الخِيرَةِ ومن أعطى المَشُورة لم يمنع الصواب . قال أبو ذر الغفارى: كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه . وقالوا تعامل الناس بالدين حتى ذهب الدين وبالحياء حتى ذهب الحياء وبالمُروءة حتى ذهبت المُروءة، وقد صاروا إلى الرغبة والرهبة وأحر بهما أن تذهبا . وقال بعضهم : دعا رجل علىَّ ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إلى طعام فقال : نأتيك على أن لا تتكلف لنا ماليس عندك . وقال الحُصَيْنُ بنُ المُنْذِرِ :

وَكلُّ خَفيفِ السَّاقِ يَسْعَى مُشَمِّرًا   إذا فَتَحَ البوَّابُ بَابَكَ إِصْبَعًا
وَنحْنُ الجلوسُ المَاكِثونَ توَقُّرًا   حَيَاء إلَى أنْ يُفتَحَ البَابُ أجْمَعَا

وقال آخر :

وَنَفْسُكَ أكْرِمْهَا فإنَّكَ إنْ تَهُنْ   علَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لهَا الدَّهْرَ مُكْرِمَا

اعتذر أبو عون(٢) إلى إبراهيم النخعى فقال له: إسكت معذورا فان الإعتذار يخالطه الكذب . وكان عَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ عند حَفْصِ بنِ سَالم فلم يسأله أحد من حَشمه فى ذلك اليوم شيئاً إلا قال: لا ، فقال عمرو : أقِل من قول لا، فانه ليس فى الجنة قول : لا ، و إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل مالا يجد قال : يصنع الله . قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أكثروا لهُنَّ من قول :لا، فإن قول : نعم يُضَرِّيهِنَّ على المسألة(٣) . وإنما خص عمر رضى الله تعالى عنه بذلك النساء.

(١) حياء يقناه : يحفظه

(٢) هو ابو عون عبد الله بن عون مولى المزنيين ، كان من خيار التابعين . مات سنة ١٥١ هـ . وراجع ص ١٦٧ من الجزء الاول

(٣) يضريهن : يعودهن

كلمات لعلى بن أبى طالب فى الدنيا

وقال بعضهم : ذم رجل الدنيا عند علىٍّ بنِ أبى طالب رضى الله تعالى عنه. فقال علىٌّ : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غِنًى لمن تزود. منها ومهبط وحى الله ومُصلى ملائكته ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا الذى يذمها وقد آذنت ببَيْنها ونادت بفراقها وشبهت بسرورها السرور وببلائها البلاء ترغيباً وترهيباً ! فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه ، متى خدعتك الدنيا ، أم متى استذمت إليك ! ؟ أبمصارع آبائك فى البلى أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى ؟ كم مَرَّضْتَ بيديكَ وكم علّلت بكفيك ؟. تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطباء غداة لايغنى عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك !

وقال عمر رضى الله تعالى عنه : مابال أحدكم ثانى وساده عنده امرأة مُغَيَّبة ؟(١) إن المرأة لحم على وضم إلا ماذُب عنه (٢) . وقال بعضهم : مات ابنٌ لبعض العظماء فعزاه بعضهم فقال : عش أيها الملك العظيم سعيدا ولا أراك الله بعد مصيبتك ماينسيكها.

ولما توفى مُعاوية جلس ابنه يزيد ودخل عليه عَطاء بنُ أبى صَيْفى الثقفى (٣) فقال: يا أمير المؤمنين ، أصبحت وقد رزئت خليفةالله وأعطيت خِلافة الله ، وقد قَضى مُعاوية نحبه فغفر الله ذنوبه ، وقد أعطيت بعده الرئاسة ووليت السياسة ، فاحتسب عند الله أعظم الرزية وأشكره على أفضل العطية .

ولما توفى عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لايدرون أيهنئونه أم يعزونه ، فأقبل غَيْلانُ بنُ سَلَمَةَ الثقفى فسلم عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أصبحت قد رُزئت خير الآباء وسُميت خير الأسماء وأعطيت أعظم الأشياء ، فعظم الله لك على الرزية الصبر وأعطاك فى ذلك نوافل الأجر وأعانك على حسن

(١) المرأة المغيبة : هى التى غاب عنها زوجها

(٢) ماذب عنه : مادوفع عنه

(٣) راجع ص ١٠٩ من هذا الجزء

الولاية والشكر، ثم قضى لعبد الملك بخير القضية وأنزله بأشرف المنازل المرضية وأعانك من بعده على الرعية. فقال له الوليد: من أنت؟ فانتسب له، قال: فى كم أنت؟ قال: فى مائة دينار! فألحقه بأهل الشرف.

ولما توفى المنصور دخل ابن عُيينة مع الخطباء على المهدى فسلم. قال: آجرالله أميرَ المؤمنين على أميرِ المؤمنين قبله، وبارك الله لأميرِ المؤمنين فيما خلفه له أميرُ المؤمنين بعده، فما مصيبة أعظم من فقد أميرِ المؤمنين، ولا عُقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين، فأقبل يا أميرَ المؤمنين من الله أفضل العطية، وأحتسب عند الله أعظم الرزية.

وكتب مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ(١) إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يعزيه عن إبنه عبد الملك فكتب إليه عمر: كتبت إلى تعزينى عن ابنى عبد الملك، وهذا أمر لم أزل أنتظره فلما وقع لم أنكره. وقال الشاعر:(٢)

تعَزَّيْتُ عَنْ أوْفَى بغَيلانَ بَعْدَهُ ... عَزَاءً وَجَفْنُ العَيْنِ مَلآنُ مُتْرَعُ(٣)
وَلَمْ تُنْسِنِى أوْفَى المُصِيبَاتُ بَعْدَهُ ... وَلكِنَّ نَكأَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوْجَعُ

وقيل: قدّم ماعندك ولا تدخر عنا ما عندك. وقال آخر: كان شيخ يأتى ابن المقفع، فألح عليه يسأله الغداء عنده، وفى ذلك يقول: إنك تظن أنى أتكلف لك شيئاً؟ لا والله، إنى لا أقدم إليك إلا ما عندى، قال: فلما أتاه إذا ليس فى منزله إلا كسرة يابسة وملح جريش، ووقف سائل بالباب فقال له: بورك فيك، فلما لم يذهب قال: والله لئن خرجت اليك لأدقن ساقيك! فقال ابن المقفع للسائل: إنك لو تعرف من صدق وعيده مثل ما أعرف من صدق وعده لم تُرادّه كلمة ولم تقف طرفة عين.

(١) كان ميمون بن مهران وابنه عمرو بن ميمون على الرق فاعتقا، وكان ميمون من أفاضل التابعين وأخيارهم، وكان بزازاً ومع هذا فقد ولاه عمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة، فكان ميمون يجلس فى حانوته وهو يتولى الخراج مات سنة ١١٧ هـ

(٢) الشاعر: هو مسعود بن عقبة أخو ذى الرمة، وهذا الشعر رثا به ذا الرمة

(٣) اوفى: هو أخو مسعود وذى الرمة. وغيلان: هو ذو الرمة الشاعر المشهور

وكان يقال : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره . وكان يقال : لاوحشة أوحش من عُجب ، ولاظهير أعون من مشورة ، ولافقر أشد من عدم العقل . وقال مؤرق العجلى : ضاحك مُعترف بذنبه خير من الباكى المدل على ربه . وقال : خير من العجب بالطاعة أن لايأتى بطاعة .

وقال شبيب[1] لأبى جعفر : إن الله لم يجعل فوقك أحداً فلا تجعلن فوق شكرك شكراً . وقال آخر لأبى جعفر فى أول ركبة ركبها : إن الله قد رأى أن لا يجعل أحداً فوقك فرَ نفسك أهلا أن لايكون أحد أطوع لله منك .

وسفه رجل على ابن له فقال:[2] والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشد تحصيناً لأمى من أبيك لأمك .

وقال عَمرُو بنُ عُبَيْدٍ لأبى جعفر ، إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها . وقال الأحنف : ثلاث لاأناة فيهن عندى ! قيل : وما هن يا أبا بحر ؟ قال : المبادرة بالعمل الصالح وإخراج ميتك وأن تُنكح الكفء أيِّمَك ، وكان يقول : لأفعى تحكك فى ناحية بيتى أحب إلىّ من أيّم رددت عنها كفؤا : وكان يقال : ما بعد الصواب إلا الخطأ وما بعد منعهنّ من الأكفاء إلا بذلهن للسفلة والغوغاء . وكان يقال : لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة : إلى كذوب فانه يقربها وإن كانت بعيدة ويباعدها وإن كانت قريبة ، ولا إلى الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته . وكان الأحنف يقول : لامروءة لكذوب ، ولا سؤدُد لبخيل ، ولاورع لسيء الخُلق . وقال الشعبي : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب الكذب فى موضع ترى أنه ينفعك فإنه يضرك . وقالوا : لاتصرف حاجتك إلى من معيشته من رؤس المكاييل وألسنة الموازين .

(١) هو شبيب بن شبة

(٢) القائل ولد الرجل

وقالوا : إنفرد الله عز وجل بالكمال ولم يبرئ أحدا من النقصان .

وقال عامر بن الظرب العَدوانى: يامعشر عَدوان ، إن الخير ألوف عزوف ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، و إنى لم أكن حليما حتى اتبعت الحلماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبّدتُ لكم . وقال الأحنف : لأن أدعى من بعيد أحب إلىّ من أن أقصى من قريب . وكان يقول : إياك وصدر المجلس و إن صدرك صاحبه فإنه مجلس قُلعة . وقال زياد : ما أتيت مجلساً قط إلا تركت منه مالو أخذته كان لى ، وترك مالى أحب إلىّ من أخذ ماليس لى . وقال الأحنف : ما كشفت أحداً عن حالى عنده إلا وجدتها دون ما كنت أظن . وأثنى رجل على علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فأفرط ، وكان علىٌّ له متهماً ، فقال : أنا دون ماتقول وفوق مافى نفسك . وكان يقال : خمس خصال تكون فى الجاهل : الغضب فى غير غضب ، والكلام فى غير نفع ، والعطية فى غير موضع ، والثقة بكل أحد ، وأن لايعرف صديقه من عدوه . وأثنى أعرابى على رجل فقال : إن خيرك لسريع و إن منعك لمريح ، و إن رفدك لربيح .

وقال سَعِيدُ بنُ سَلمٍ : كنت والياً بأرمينية فغبر أبو زهمان العلائى على بابى أياماً ، فلما وصل إلىّ مثل بين يدى قائماً بين السماطين وقال : والله إنى لأعرف أقواماً لو علموا أن سفّ التراب يُقيم من أود أصلابهم لجعلوه مُسكة لازماً فيهم إيثاراً للتنزُّه عن عيش رقيق الحواشى ! أما والله إنى لبعيد الوثبة بَطىء العطفة إنه والله ما يثنينى عليك إلا مثل ما يصرفنى عنك ولأن أكون مُقلاً مقرباً أحب إلىّ من أن أكون مكثراً مُبعداً ، والله ما نسأل عملا لانضبطه ولا مالاً إلا نحن أكثر منه ، وهذا الأمر الذى صار فى يديك كان فى يد غيرك فأمسوا والله حديثا ، إن خيراً فخير و إن شراً فشر ! فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب فإن حبّ عباد الله موصول بحب الله و بغضهم موصول ببغض الله لأنهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله .

ودخل عُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبدالله القسرى [١] بعد حجاب شديد ، وكان عُتبة سخياً ، فقال خالد يُعَرِّض به : إن هاهنا رجالا يدّانون فى أموالهم فإذا فنيَت ادّانوا فى أعراضهم ! فعلم عُتبة أنه يُعرض به فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجالا من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فأولئك تبقى لهم أموالهم ، ورجالا تكون مروآتهم أكثر من أموالهم فإذا نَفِدَت ادّانوا على سَعَة ماعند الله ! ؟ فخجل خالد وقال : إنك لمنهم ماعلمت

وقيل لعبد الله بنَ يزيدِ بْنِ أسدِ بنِ كُرْزٍ : [٢] هلا أجبتَ أميرَ المؤمنين إذ سألك عن مالك ؟ قال : إنه إن استكثره حسدنى و إن استقله حقّرنى .

أبو الحسن قال : وعظ عُروة [٣] بنيه فقال : تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين ، ثم قال : ألناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، و إذا رأيتم من رجل خَلة فاحذروه واعلموا أن عنده لها أخوات .

وقال رجل لرجل : [٤] هب لى درهماً ؟ قال : أتصغره ! لقد صغرت عظيما ! ألدرهم عُشر العشرة ، والعَشَرَةُ عُشر المائة ؟ والمائة عشر الألف ، والألف عُشر الدِّية ! ؟

قال الأصمعى : خرجت بالدّارمى [٥] قُرْحَةٌ فى جوفه فبزق بزقة خضراء ،

---

(١) كان اميرا على العراق ثم عزل وسلم إلى يوسف بن عمر الذى تولى بعده من قبل الوليد بن يزيد فعذبه حتى أماته . وكان ذلك في سنة ١٢٦ هـ وراجع ص ١١٤ من الجزء الأول

(٢) هو ابو خالد بن عبد الله القسرى ، وأبوه يزيد بن أسد كان يلقب خطيب الشيطان . قال أبو العباس المبرد : كان عبد الله بن يزيد من عقلاء الرجال . قال له عبد الملك يوما : ما مالك ؟ فقال: شيئان لا عيلة على منهما ، الرضا عن الله والغنى عن الناس . فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته بمقدار مالك ؟ فقال : لم يعد ان يكون قليلا فيحقرنى أو كثيرا فيحسدنى .

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام

(٤) هذا الرجل هو خالد بن صفوان ، ذكر ذلك الجاحظ فى كتاب البخلاء

(٥) كان الدارمى من شعراء الحجاز فى زمن عمر بن عبد العزيز وأدرك الدولة العباسية ، وكان من ظرفاء الناس ومن أصحاب النوادر والفكاهات حسن الصوت بالغناء يضع الشعرويلحنه وينقله المغنون عنه ، وكان مع هذا مبخلا . مدح عبد الصمد بن على العباسي بقصيدة فما هو أن فرغ من إنشادها حتى أدخلوا إلى عبد الصمد رجلا من الشراة الخوارج فقال لغلامه : إعط هذا مائة دينار واضرب عنق هذا . فوثب الدارمى وقال : بأبي انت وامي ! برك وعقوبتك جيما نقد ! أخر أحد الامرين

فقيل له : قد برئتَ إذ بزقتهـا خضراء ! قال : والله لو لم يبق فى الدنيا زُمردة خضراء إلا بزقتها ما نجوت .

ومر الوليدُ بنُ عبد الملك بمعلم صِبيان فرأى جارية فقال : ويلك ! ما لهذه الجارية ؟ قال : أعلمها القرآن ! قال : فليكن الذى يعلمها أصغر منها . اسحق بن أيوب قال : هرب الوليد بن عبد الملك من الطاعون فقال له رجل : يا أمير المؤمنين، إن الله يقول : « ولَنْ يَنفعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِ القَتْلِ وَإذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَليلًا » قال : ذلك القليل نُريد ! وهرب رجل من الطاعون إلى النَّجَف أيام شُرَيْح[1] فكتب إليه : أما بعد فإن الفرار لن يُبعد أجلا ولن يكثر رزقاً ، وان المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل الرزق ، و إن من بالنجف من ذى قدرة لقريب . ودخل على الوليد فتى من بنى مخزوم فقال له : زوجنى إبنتك ! فقال : هل قرأت القرآن ؟ قال لا ؟ قال : أدنوه منى ؟ فأدنوه فضرب عمامته بقضيب كان فى يده وقرع رأسه به قرعات ثم قال لرجل : ضمه إليك فاذا قرأ زوجناه .

ولما استعملَ يزيدُ[2] ابنَ أبى مسلم[3] بعد الحجاج قال: أنا كمن سقط منه درهم فوجد دينارا ! وقال يزيد لابن أبى مسلم : قال أبى للحجاج : إنما أنت جلدة ما بين عينى ، وأنا أقول : إنك جلدة وجهى كله. ومع هذا إنه[4] صعد المنبر فقال: على بن أبى طالب لص بن لص صب عليه شؤبوب عذاب ! فقال أعرابى كان

وقدم الآخر فاني اخشي ان يغلط فيا بيننا والغلط فى هذا لا يستقال ! فضحك واجابه إلى ما سأل. وروي ابو الفرج ان الدارمى اصابته قرحة في صدره فدخل إليه بعض اصدقائه يعوده فرآه قد نفث من فيه نفثا أخضر فقال له : أبشر قد اخضرت القرحة وعوفيت ، فقال : هيهات ! والله لو نفثت كل زمرده فى الدنيا ما افلت منها .

(١) هو شريح القاضى . مضت ترجمته فى ص ٢١٧ من الجزء الأول

(٢) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان

(٣) هو يزيد بن ابى مسلم . كان فى خاصة الحجاج بن يوسف وكان يثق به ويوليه الاعمال ، وكان عاقلا عارفا بالخراج . فلما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج فعزله سليمان بن عبد الملك عن عمله ثم ولاه يزيد من بعده .

(٤) إنه يعنى يزيد بن ابى مسلم

تحت المنبر : ما يقول أميركم هذا ؟ ! وفى قوله لص بن لص أعجو بتان ، إحداهما رميه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه لص ، والأخرى أنه بلغ من جهله ما لا يجهله أحد ، أنه ضم اللام فى لص !

بكر بن عبد العزيز الدمشقى قال : سمعت الوليد بن عبد الملك على المنبر حين ولى الخلافة وهو يقول : إذا حدثتكم فكذبتكم فلا طاعة لى عليكم ، وإذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعة لى عليكم ، وإذا أغزيتكم فجمّرتكم فلا طاعة لى عليكم ! فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لأبيه : ياأمير المؤمنين أقتل أبى فُدَيْكٍ ؟ ! (١) وقال مرة أخرى : ياغلام ، رُدّ الفرسان الصادان (٢) عن الميدان !

وقال عبد الملك : أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية . ولحن الوليد على المنبر فقال الكَرَوّسُ : لا والله أن رأيته على هذه الأعواد قط فأمكننى أن أملأ عينى منه من كثرته فى عينى وجلالته ، فاذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندى كبعض أعوانه . وصلى يوما الغداة فقرأ السورة التى تذكر فيها الحاقةفقرأ « ياليتها كانت القاصية » فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال أما إنه إن كان قالها إنه لأحد الأحدين (٣) قلوا : وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين ، ولم يكن فى وُلده أفصح من هِشام ومَسلمة . وقال صاحب الحديث : أخبرنى أبى عن اسحق بن قَبيصة قال : كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة وكذلك كتب محمد ، فقلت لمولى لمحمد : مابال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة ؟ ! فأخبره المولى بقولى ، فاذا كتاب قدورد علىّ : أما بعد فقدأخبرنى فلان بما قلت ، وماأحسبك تشك أن قريشا أفصح من الأشعريين ! والسلام . ومن بنى الصَّرِيْم الصدَّى ابن الخلق وفد به الحجاج على الوليد بن عبد الملك فقال له : ممن أنت ؟ فقال له : من بنى صَريم . قال له : ما اسمك ؟ قال الصدى بن الخلق . قال : دَعًّا فى عنقه ، خارجى

(١) يعنى كان يجب ان يقول : اقتل ابافديك ولكنه لحن

(٢) يعنى انه كان يجب ان يقول : رد الفرسين الصادين ولكنه لحن

(٣) احد الاحدين : يريد انه احد الاخوين اللحانين وهما الوليد ومحمد

خبيث . ! هذا يدل على أن عامة بنى صريم كانوا خوارج . وكان منهم البُرَكُ الصريمى واسمه الحجاج الذى ضرب معاوية بالسيف ، وله حديث(١) والخزرجُ ابن الصدى بن الخلق كان خطيبا ، وقال الشاعر فى بنى صريم :

أُصَلِّى حَيْثُ تُدْرِكُنِى صلَاَتِى ... وَبئْسَ الدينُ دِينُ بَنِى صريمِ

قِياما يطعنُون على مَعَدٍّ ... وكلُّهُمُ على دِينِ الخَطِيمِ

والخِطيم باهلى(٢)

قال الأصمعى وأبو الحسن : دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان فقال أحدهما : نجدك تَملك عشرين سنة ! وقال الآخر : كذبت ! بل نجدك تَملك ستين سنة ! فقال الوليد : ما الذى قال هذا لائط بِصَفَرى(٣) ولا ماقال هذا يغر مثلى ؟ والله لأجمعن المال جمع من يعيش أبداً ، ولأُفرقنه تفريق من يموت غداً !

وخطب الوليد فقال : إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جلدة مابين عينى ألا وإنه جلدة وجهى كله !

---

(١) وخلاصة حديثه عن ابى الفرج فى كتابه مقاتل الطالبيين أنه اجتمع نفر من الخوارج بمكة وتذاكروا امراء المسلمين فعابوهم ثم تعاقدوا على الفتك بمعاوية وعمرو بن العاص وعلى بن ابى طالب فى شهر رمضان غيلة فاختار عبد الرحمن بن ملجم المرادى عليا واختار عمرو بن بكر التميمى عمرا واختار البرك بن عبد الله معاوية . فلما وقع نظر البرك على معاوية ضربه فوقعت الضربة على اليته فعولج حتى برأ ، ولما قبض على البرك قال لمعاوية إن لك عندى بشارة وهي أن عليا قتل فى هذه الليلة فاحتبسنى عندك فلن جاءك الخبر بقتله وإلا فانت ولى ماتراه فى أسرى وان لم يكن قتل عاهدتك بما تشاء على قتله ثم أسلمت نفسى إليك حتى تحكم بما ترى . فلما جاء الخبر بقتل على قيل إنه قتله وقيل إنه خلى سبيله .

(٢) قال ابن دريد : هو أول من خرج فى زمن عبد الله بن عامر . ولم يسمه ، قلت : ولعله المسمى : عباد بن عبد العزى الخطيم !

(٣) بصفرى : بمكان عض الجوع منى

باب اللحن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

قال أبو عثمان عمرو بن بحر: حدثنا عثّام أبو يحيى عن الأعمش عن عمارة ابن عمير قال: كان أبو معمر يحدثنا فيلحن، يتبع ما سمع.

أبو الحسن قال: أوفد زيادٌ عُبيدَ الله بن زياد إلى معاوية فكتب إليه معاوية: إن ابنك كما وصفت ولكن قوم من لسانه. وكانت في عبيد الله لكنة لأنه كان نشأ بالأساورة مع أمه مَرجانة، وكان زياد زوجها من شيرويه الأسواري (١) وكان قال مرة: إفتحوا سيوفكم! (٢) يريد: سُلُّوا سيوفكم. فقال يزيد ابن مُفَرَّغ: (٣)

وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيفَكَ مِنْ بَعيدٍ ... أَضَعْتَ وَكلُّ أَمْرِكَ لِلضَّيَاعِ

ولما كلمه سُوَيْدُ بْنُ مَنْجُوفٍ في الْهِثْهَاثِ بْنِ ثَوْرٍ قال له: يا ابن البَظراء! فقال له سُويدٌ: كذبت على نساء بني سَدوس. قال: إجلس على است الأرض! قال سُويد: ما كنت أحسب أن للأرض إستا!

---

(١) راجع ص ١٠٧ من هذا الجزء

(٢) رواية أبي الفرج ان عباد بن زياد كان في حروبه فات ليلة نائماً في عسكره فصاحت بنات آوى فثارت الكلاب ونفر بعض الدواب ففزع عباد وظنها كبسة من العدو فركب فرسه على دهش فقال: افتحوا سيفي! فعيره يزيد بن مفرغ في هجائه بني زياد.

(٣) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى. كان شاعراً مطبوعاً جيد الغزل والوصف هجاء والظاهر انه استنفد هجاءه في آل زياد وكان له في ذلك طبع غريب. وكان صحب عباد بن زياد حينما ولى سجستان فلم يحمد صحبته فهجاه وامتد هجاؤه إلى عبيد الله بن زياد فحبسه ثم أطلقه. وهذا البيت من قصيدة قالها في هجو آل زياد أولها:

جرت ام الظبائيين لبلى ... وكل وصال حبل لانقطاع

يقول فيها: وما لاقيت من ايام بؤس ... ولا أمر يضيق به ذراعي

قالوا : قال بِشْرُ بن مَرْوَانَ[١] ـ وعنده عمر بن عبد العزيز ـ لغلام له : أدعُ لى صالحا ؟ فقال الغلام : ياصالحا ! فقال له بشر : ألقِ منها أَلِف ؟ فقال له عمر : وأنت فزد فى أَلفك أَلِفا !

وزعم يزيد مولى عَون قال : كان رجـل بالبصرة له جارية تسمى ظَمياء ، فكان إذا دعاها قال : ياضمياء ! بالضاد ، فقال له ابن المقفع : قل ياظمياء ؟ فناداها: ياضمياء ! فلما غيَّر عليه ابنُ المقفع مرتين أو ثلاثا قال : هى جاريتى أوجاريتك!؟

قال نصْرُ بْنُ سَيَّارٍ : لا تسم غلامك إلا باسم يخف على لسانك .

وكان محمد بن الجَهْم ولّى المكىَّ صاحب النَّظَّام موضعاً من مواضع كَسْكَر ، وكان المكىُّ لا يُحسن أن يسمى ذلك المكان ولا يتهجاه ولا يكتبه ، وكان اسم ذلك المكان « شانمثنا »

وقيل لأبى حنيفة : ما تقول فى رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجـل

ولم تك شيمتى عجزاً ولؤماً ولم أكُ بالمضلل فى المساعى
سوى يوم المجين ومن يصاحب لئام الناس يغض على القذاع
حلفت برب مكة لو سلاحى بكفى إذ تنازعنى متاعي
لباشر ام راسك مشرفى كذاك دواؤنا وجع الصداع
أفى احسابنا تزري علينا هبلت وأنت زائدة الكراع
نبغيت الذنوب على جهلا جنونا ماجنت ابن اللكاع
فما أسفي على تركى سعيداً وإسحق بن طلحة واتباعى
ثنايا الوبر عبد بنى علاج عبيد فقع قرقرة بقاع
إذا ما راية رفعت لمجد وودع أهلها خير الوداع
فأيرى من است أمك من امير كذاك يقال للحمق اليراع
ولا بلت سماؤك من امير فبئس معرس الركب الجياع
ألم تر إذ تحالف حلف حرب عليك غدوت من سقط المتاع
وكدت تموت إن صاح ابن آوى ومثلك مات من صوت السباع
ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكل امرك للضياع
إذا اودى معاوية بن حرب فبشر شعب قلبك بانصداع
فأشهد ان امك لم تباشر ابا سفيان واضعة القناع
ولكن كان امر فيه لبس على عجل شديد وارتياع

(١) هو بشر بن مروان بن الحكم . كان من فتيان بنى امية ولاه اخوه عبد الملك على العراقين بعد عزل خالد بن عبد الله القسرى . فأقام بها مديدة ثم مات

قتله أتقيده به ؟ قال : لا ، ولو ضرب رأسه بأبا قبيس ! (١)

وقال يوسف بن خالد التيمي لعمرو بن عُبيد : ما تقول فى دجاجة ذبحت من قفاها ؟ قال له عمرو : أحسن ! قال : من قفاؤها ! قال : أحسن ! قال : من قفاءها ! قال له : مَن عناك هذا !؟ قل : من قفاها واسترح . قال : وسمعت من يوسف بن خالد يقول : لا حتى يشِجه ! بكسر الشين . يريد حتى يشُجه . بضم الشين . وكان يوسف يقول : هذا أحمر من هذا ! يريد هذا أشد حُمرة من هذا .

وقال بِشرُ المَرِيسِيُّ(٢) : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤُها ! فقال قاسمُ التمّار : هذا على قوله :

إنَّ سُلَيْمَى وَاللهُ يكلَؤُها ضَنَّتْ بشَيْءٍ ما كانَ يَرْزَؤُهَا

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بِشرٍ .

أبانَ بن عثمان قال : كان زياد النبَطي شديد اللُكنة وكان نحويا ، قال : وكان بخيلا ، دعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال : فمن لدن دَأوتك فقلت لبي إلى أن أجبتني ما كنت تصنأ ؟ يريد من لدن دعوتك إلى أن أجبتني ما كنت تصنع .

قال : وكانت أم نوح وبلال ابني جرير(٣) أعجمية فقال لها : لا تتكلمي إذا كان

---

(١) فى راى ابن فارس ان ابا حنيفة لم يلحن وإنما جرى على ما تجري عليه بعض العرب في إعراب هذا الاسم مرة وفى إخراجه مخرج قفا وعصا ، فيقولون جاءنى ابا فلان ورايت ابا فلان ومررت بأبا فلان. قال ياقوت : فهذا احتجاج إن كان ابو حنيفة قصد هذه اللغة الشاذة الغريبة المجهولة !

(٢) هو بشر بن غياث المريسي الكوفي . كان من فقهاء الحنفية اخذ الفقه عن ابي يوسف والحديث عن حماد بن سلمة وسفيان بن عينة وابى يوسف . ثم اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن وهو راس طائفة من المرجئة يقال لها المريسية . وكان يزعم ان السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة الكفر . وكانت بينه وبين الامام الشافعى مناظرات . على انه كان يلحن لحنا فاحشاً لعدم معرفته بالنحو . مات سنة ٢١٩ هـ

(٣) يعنى جرير الشاعر . وكان السبب فى اتصال ام بلال بجرير ان جريرا لما دخل العراق دخل على الحكم بن ايوب عامل الحجاج على البصرة ومدحه بقوله :

اقبلن من ثهلان او وادى خيم على قلاص مثل خيطان السلم
قد طويت بطونها طي الأدم بعد انفضاج البدن واللحم الزيم
إذا قطعن علما بدأ علم فهن بحثا كمضلات الخدم
حتى أنخناها إلى باب الحكم خليفة الحجاج غير المتهم
فى ضئضىء المجد وبحبوح الكرم

عندنا رجال ! فقالت يوماً : يا نوح جِرْدَانٌ دخل في عِجَانِ أمك ! وكان الجُرَذُ أكل من عجينها.

قال أبو الحسن : أهدى إلى فيل مولى زياد حمار وحش فقال لزياد : أهدوا لنا همار وهش ! قال : أي شيء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا لنا أيراً ! يريد عَيراً ، قال زياد : الثاني شر من الأول . قال يحيي بن نوفل :(١)

وَإِنْ يَكُ زَيْدٌ فَصِيحَ اللِّسَانِ ... خَطِيباً فإِنَّ اسْتَهُ تَلْحَنُ
عَلَيكَ بِسِكٍّ وَرُمَّانَةٍ ... وَمِلْحٍ يُدَقُّ ولاَ يُطْحَن(٢)
وحِلْتِيتِ كَرْمَانَ أَوْنَانخَاهُ ... وشَمْعٍ يُسَخَّنُ فى مُدْهُنٍ (٣)

وهذا الشعر فى بعض معانيه يشبه قول ابن مُنَاذِرٍ(٤)

إِذَا أَنتَ تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ مِنْ أَبِى الصَّلْتِ
تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ وَاهِنِ القُوَّةِ مُنْبَتِّ

فكتب الحكم إلى الحجاج فى شأنه وقال له : إنه قدم على اعرابي باقعة لم أرمثله . فطلبه الحجاج فلما دخل عليه قل له : بلغنى أنك ذو بديهة ! فقل فى هذه الجارية - وكانت قائمة على رأسه واسمها أمامة - فقال جرير :

ودع أمامة حان منك رحيل ... إن الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تمايلت أعطافه ... فالريح تجبر متنه وتهيل
هذى القلوب صواديا تيمتها ... وأري الشفاء وما إليه سبيل

فقال له الحجاج : قد جعل الله لك السبيل إليها ، خذها هي لك . فضرب بيده إلى يدها فتمنعت عليه فقال : إن كان طبكم الدلال فانه ... حسن دلالك يا امام جميل

فضحك الحجاج وامر بتجهيزها معه إلى اليمامة . واهلها من اهل الرى واخوتها احرار . فولدت لجرير حكما وبلالا وحزرة . فهى في رواية المبرد ليست ام نوح .

(١) مضت ترجمته فى ص ١١٤ من الجزء الاول

(٢) السك : الخل

(٣) الحلتيت : مادة صمغية راتنجية ذات رائحة قوية وطعم كريه . وهى من اشد مضادات التشنج ومنبهة للوظائف الهضمية ومدرة للطمث طاردة للديدان المعوية . والنانخاه : بذور ذات رائحة طيبة وهى مخرجة للرياح . وتسمى عند العامة نخوة

(٤) مضت ترجمته فى ص ٣٢ من الجزء الاول وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ

فخذْ مِنْ سَلْحِ كَيْسَانٍ ... وَمِنْ أظفارِ سَبَّخْتٍ (١)

أَلَمْ يَبْلُغْكَ تَسْآلى ... لَدَى العَلاَمَةِ البرْتى

وَقالَ المرْءِ مَا سَرْجِيسُ دَاءُ المَرْءِ مِنْ تَحْتِ (٢)

وقال البُرْدُخْتُ (٣):

لَقَدْ كانَ فى عَيْنَيْكَ يَاحَفْصُ شَاغِلٌ ... وَأنفٍ كَثِيلِ العَوْدِ عَمّا تَتَبَّعُ (٤)

تَتَبَّعُ لَحْناً فى كَلاَمٍ مُرَقَّشٍ ... وَخَلْقُكَ مَبْنِىٌّ عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعُ

وَعَيْنُكَ إِقْوَاءٌ وأَنْفُكَ مُكْفَأٌ ... وَوَجْهُكَ إِيطَاءٌ فأَنْتَ المُرَقَّعُ (٥)

وقال المَيْسَانى فى هجائه أهل المدينة:

وَلَحْنُكُمُ بِتَقْعِيرٍ وَمَدٍّ ... وَألأَمُ مَنْ يَدُبُّ عَلَى العَفَارِ

على بن معاذ قال: كتبت إلى فتى كتابا فأجابنى، فإذا عنوان الكتاب: إلى ذاك الذى كتب إلىّ! وقرأت على عنوان كتاب لأبى أُميَّة الشمرى: للموت أنا قبله! وكتب ابن المرادى إلى بعض ملوك بغداد: جُعلت فداك برحمته!

وقال إبراهيم بنُ سَيَّارٍ: أنا لا أقول: متّ قبلك، لأنى إذا متّ قبله مات هو بعدى، ولكن أقول: مت بدلك. وكتب عِقَالُ بْنُ شَبَّةَ بْنِ عِقَال إلى زُهَيْرِ بْنِ المُسَيَّبِ:

لِلأميرِ المُسَيَّبِ بْنِ زُهَيْرٍ ... مِنْ عِقَالِ بْنِ شَبَّةَ بْنِ عِقَالِ

(١) ويروى: من شعر كيسان. وكيسان هو ابو الحسن محمد بن احمد بن كيسان النحوى. وسبخت لقب ابي عبيدة معمر بن المثنى الامام الراوية المشهور

(٢) ماسرجيس او ماسرجويه: طبيب ماهر بصرى مشهور، كان سريانى اللغة يهودى النحلة. وهو الذى تولي تفسير كناش القس اهرن بن اعين إلى العربية فى ايام مروان بن الحكم واخرجه عمر بن عبد العزيز من خزائن الكتب وبثه فى الناس

(٣) البردخت: هو على بن خالد الضبي احد بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة

(٤) ثيل العود: قضيب البعير

(٥) الاقواء: اختلاف إعراب القافية، والاكفاء: اختلاف حروف القوافى، والايطاء: تكرار القافية لفظا ومعنى

ولما كتب بشير بن عبيد الله على خاتمه : بشير بن عبيد الله بالرحمن لا يُشرك ؛ قرأه أبوه على خاتمه قال : هذا أقبح من الشرك .

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان : ألّلحن هُجنه على الشريف والعُجب آفة الرأى . وكان يقال : ألّلحن فى المنطق أقبح من آثار الجُدرى فى الوجه . وقال يحيى بن نوفل فى خالدِ بْنِ عبْدِ الله القَسْرِى :

وَأَلحنُ النَّاسِ كلِّ النَّاسِ قَاطِبَةً — وكانَ يُولَعُ بالتَّشْدِيقِ فى الخُطَبِ

وزعم المدائنى أن خالد بن عبد الله — وكان يولع بالتشديق — قال : إن كنتم رجبيون فإنا رمضانيون !

ولولا أن تلك العجائب قد صححت على الوَليدْ[١] ما جوزت هذا على خالد[٢]

قال : وكتب الحصين بن الحر كتابا إلى عمر[٣] فلحن فى حرف فيه ، فكتب إليه عمر أن قنِّع كاتبك سوطاً . وبلغنى عن كثير بن أحمد بن زهير بن سيار أنه كان ينشد بيت أبى دلف[٤]

أَلْبِسِينِى الدِّرْعَ قَدْ طا — لَ عَنِ الحَرْبِ جِمَاحِى

فسألته عن ذلك فحلف انه إنما قال:

أَلبِسينى الدِّرْع قَدْ طا — لَ عَنَ الْحَرْبِ جِماصِى

قال الله تبارك وتعالى « ولتعرِفنّهم فى لحْنِ القوْلِ » فاللحن فى ذلك الموضع غير اللحن فى ذلك الموضع .

(١) يعنى الوليد بن عبد الملك

(٢) يعنى خالد بن عبد الله القسرى

(٣) يعنى عمر بن الخطاب

(٤) هو ابو دلف القاسم بن عيسى العجلى . كان من الشجاعة والجود والسماحة وبعد الهمة وعلو المنزلة من الخلفاء العباسيين بالمحل المغبوط ، وكان عظيم الغناء فى المشاهد والمواقع الحربية مع حسن الأدب ومتانة الشعر وجودة الصنعة فى الغناء . وكان من قواد المأمون والمعتصم وكان مع الافشين فى حروب بابك الخرمى وابلى معه بلاء حسنا ، وللشعراء فيه مدائح جياد منهم بكر بن النطاح وعلى بن جبلة وابو تمام الطائى . مات سنة ٢٢٦ هـ وذكر ابن خلكان انه الف من الكتب : كتاب البزاة والصيد وكتاب السلاح وكتاب النزه وكتاب سياسة الملوك

وكان سليمان بن عبد الملك يقول: المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث [(١)] يُفخم اللحن كما يفخم نافع بن جبير الإعراب. وقال الشاعر فى نحو ذلك:

لَعَمْرِى لقد قَعَّبتَ حِينَ لَقِيتَنَا   وأنت بتقعيب الكلام جَدِيرُ [(٢)]

وقال خَلَفٌ الأحمر:

وَفَــرقعهنّ بتقْعِيبِهِ   كفَرْقَعَةِ الرَّعْدِ بين السَّحَابِ

وقال الميسانىُّ:

وَلحنكُمُ بتقْعِيبٍ ومَدٍّ   وألأم من يَدُبُّ عَلى العفَارِ [(٣)]

وقال الأصمعى: خاصم عِيسَى بْنُ عُمَرَ النحوى الثقفى [(٤)] رجلا إلى بلال ابن أبى بردة فجعل عيسى يشبع الإعراب وجعل الرجل ينظر إليه، فقال له بلال: لأن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من ترك الاعراب! فلا تتشاغل به واقصد بحجتك.

وقدَّم رجل من النحويين رجلا إلى السلطان فى دَين له عليه فقال: أصلح الله الأمير، لى عليه درهمان! قال خصمه: لا والله أيها الامير، إن هى إلا ثلاثة دراهم لكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما!

قال: خاصم رجل إلى الشَّعبى أو إلى شُريح رجلا فقال. إن هذا باعنى غلاما فصيحاً صبيحا! قال: هذا محمد بن عمر بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة [(٥)]

---

(١) هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. كان فقيها نبيلا وكان من اجواد قريش والمطعمين منهم، قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان وكان صديقا له، وكان بالكوفة جماعة يطعمون الناس فلما قدم تغيبوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج، وكان المغيرة قد بث الجفان فى السكك والقبائل يطعم الناس فقال شاعر كوفى:

أتاك البحر طم على قريش   مغيرى فقد زاغ ابن بشر

(٢) تقعيب الكلام: هو ان تتكلم من اقصى فمك حتى كأنه قعب

(٣) العفار: التراب

(٤) هو عيسى بن عمر الثقفى، كان مولى خالد بن الوليد ثم نزل فى ثقيف فنسب إليهم. وكان إماما فى النحو واللغة والأدب والقراءة. اخذ عن ابى عمرو بن العلاء وابن ابى اسحق الحضرمى وروى عن الحسن البصرى وعن العجاج وغيرهم، وعنه روى الاصمعى وغيره. كان اعجوبة فى التقعر بالكلام والتشدق به. وزعموا انه كان له نيف وسبعون مصنفا ذهبت كلها. مات سنة ١٥٠ هـ

(٥) يعنى أن صفة الفصاحة والصباحة لا تكون الا لمحمد بن عمر بن عطارد. ويقال له محمد بن عمير كان كاتبا لعبد الملك بن بشر بن مروان، وكان بليغا يضرب به المثل وكان سيد بنى تميم بالكوفة

قال: مر ماسرجويه الطبيب بجد معاذ بن سعيد بن حميد الحميرى فقال: ياماسرجويه إنى أجد فى سقى بححا! قال: انه عمل بلغما فلما جاوزه قال: أنا أحسن أن أقول َبلغم، ولـكنه كانى بالعربية فـكلمته بالعربية.

وروى أبو الحسن أن الحجاج كان يقرأ: إنا من المجرمون المنتقمون! وقد زعم رُؤبةُ بنُ العجَّاج وأبو عمرٍو بنُ العلاءِ أنهما لم يريا قرويَّين أفصح من الحسن والحجاج! وغلط الحسن فى حرفين من القرآن مثل قوله: صٍ والقرآنُ، والحرف الآخر: وما تنزلت به الشياطون! أبو الحسن قال: كان سَابِقُ الأعمى يقول: ألخالق البارىء المصوَّر! فكان ابنُ جابان إذا لقيه قال: يا سابق، مافعل الحرف الذى تُشرك بالله فيه؟ قال: وقرأ: ولا تنكِحُوا المشرِكين حتى يُؤمِنُونَ! وقال ابنُ جابان: وإن آمنوا أيضاً لم نَنْكحهم. وقال مَسْلَمةَ بنُ عبدِ الملك: إنى لأحب أن أسأل هذا الشيخ، يعنى عمرو بن مسلم، فما يمنعنى منه إلا لحنه. قال: وكان أُيوب السِّختيانىُّ يقول: تعلموا النحو فإنه جمال للوضيع، وتركه هُجنة للشريف. وقال عُمرُ: تعلموا النحو كما تَعلَّمون السنن والفرائض. قال رجل للحسن: يا أبى سعيد! فقال: كسب الدوانيق شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد!؟ قالوا: وأول لحن سُمع بالبادية: هذه عصاتى، وأول لحن سُمع بالعراق: حىُّ على الفلاح

باب من لحن البلغاء

ومن اللحانين البلغاء: خالدُ بنُ عبدِ الله القَسرى، وخَالدُ بنُ صفْوَان الأهتمى، وعيسى بن المدور. وقال بعض النساك: أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفا ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا. أخبرنا الرَّبيعُ بنُ عَبدِ الرحمن السُّلمى قال: قلت لأعرابى: أتهمز إسرائيل؟ قال: إنى إذاً لرجلُ سُوء! قلت فتَجُرّ فِلسطينِ؟ قال إنى إذاً لقوى. وكان هُشَيْمٌ[١] يقول: حدثنا يونسْ عن الحسن! يقولها بفتح

(١) هو هشيم بن بشير مولى بنى سليم، كان من المحدثين البلغاء وكان النضر بن شميل يقول عنه إنه كان لحانة. وله فى ذلك حكاية مع المأمون. مات سنة ١٨٣ هـ

الياء وكسر النون . وكان عبدُ الأعلى بنُ عبد الله السامى يقول : فأخذِه فصرعهِ فذبحهِ فأكلهِ ! بكسر هذا أجمع . وكان مَهدِىٌّ بنُ مُهلْهِل يقول: حدثنا هِشامْ ! مجزومة . ثم يقول: ابنْ ! ويجزمه . ثم يقول: حَسَّانْ ! ويجزمه . لأنه حين لم يكن نحويا رأى أن السلامة فى الوقف .(١) وأما خالدُ بنُ الحارث وبشرُ بنُ المفَضَّل (٢) الفقيهان فانهما كانا لا يلحنان . وممن كان لا يلحن ألبتة حتى كأن لسانه لسان أعرابى فصيح : أبُو زَيدٍ النحوى وأبو سعيدٍ المعلم . قال خَلَفٌ : قلت لأعرابى : أُلقِى عليك بيتًا سا كنًا ؟ قال: على نفسك فألقه . وقال أبو الفَضْل العنبرىُّ لعلى بن بَشير : إنى التقطتُ كتابا من الطريق فأنبئت أن فيه شعرًا أفتريده حتى آتيك به ؟ قال : نعم إن كان مقيدًا ! قال : والله ما أدرى أمقيدٌ هو أم مغلول !

الاصمعى قال : قيل لأعرابى: أتهمز الرُّمح ؟ قال : نعم ! قيل له : فقلها مهموزة ؟ فقالها مهموزة ! قال : أتهمز التُّرس ؟ قال : نعم ! فلم يدع سيفًا ولا ترسًا إلا همزه ! فقال له أخوه — وهو يهزأ به — دعوا أخى فإنه يهمز السلاح أجمع ! وقال بعضهم : ارتفع إلى زِيادٍ رجل وأخوه فى ميراث ، فقال : إن أبونا مات وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله ! فقال زياد : الذى أضعت من لسانك أضرُّ عليك مما أضعت من مالك ! وأما القاضى فقال : فلا رحم الله أباك ولا نتح عظم أخيك، قم فى لعنة الله ! وقال ابو شيبة قاضى واسط : آتيتمونا بعد أن أردنا أن نقم !

***

قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب من الجزء الأول ، وفى بعض الجزء الثانى كلاما من كلام العقلاء البلغاء ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء ، وقد روينا نوادر من كلام الصبيان وَالمُحَرَّمِينَ من الأعراب ، ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل المِرَّة (٣) من المُوَسوسين ، ومن كلام أهل الغفلة من النَّوكى وأصحاب

(١) كان قاسم امين رحمه الله يرى هذا الرأي ويستحسنه !

(٢) هو بشر بن المفضل الرقاشي . مولاهم . كان من بلغاء أهل اهل الحديث مات سنة ١٨٦

(٣) فى الاصول : اهل المره : وهو خطأ والصواب ما اثبتناه . واهل المرة هم المختلطوالمزاج وهم . للمروورون الموسوسون

التكلف من الحمق ، فجعلنا بعضها فى باب الهزل والفكاهة ، ولكل جنس من هذا موضع يصلح له ، ولا بد لمن استكده الجد من الإستراحة إلى بعض الهزل

***

قال أبو عبيدة : أرسل ابن لعجل بن لجيم فرساً فى حلبة فجاء سابقا فقال لأبيه: يا أبت ، بأى شيء اسميه ؟ فقال: إفقأ إحدى عينيه وسمه الأعور ! وشعراء مضر يحمقون رجال الأزد و يستخفون أحلامهم (١) قال عمر بن لجإ :

تصطك ألحيها على دلائها ... تلاطم الأزد على عطائها (٢)

وقال بشار :

وكأن غلى دنانهم فى دورهم ... لغط العتيك على خوان زياد (٣)

وقال الراجز :

لبيك بى أرفل فى بجادى ... حازم حقوى وصدرى بادى (٤)
أفرج الظلماء عن سوادى ... أذى لشول بكرت صوادى (٥)
كأنما أصواتها بالوادى ... أصوات حج عن عمان غاد (٦)

وقال الآخر :

وإذا سمعت هديلهن حسبته ... لغط المعاول فى بيوت هداد (٧)

---

(١) فى الأصول : ويستخفون اخلاقهم ، والصواب ما اثبتناه .

(٢) هذا بيت من ارجوزة يقول فيها :

قد وردت قبل إنى ضحائها ... وتفرس الحيات فى خرشائها
جر العروس الثنى من ردائها ... تصطك الحيا على دلائها
تلاطم الأزد على عطائها ... فصادفت أغسل من ابلائها
يعجبه النزع على ظمائها

وتصطك : تضطرب . والحيا : جمع لحية الفك الأسفل ، وهو يصف إبلاله

(٣) العتيك : فخذ من الازد ، وهم رهط المهلب بن ابى صفرة

(٤) ارفل فى بجادى : امشى فيه متبخترا ، والبجاد : كساء مخطط يتلفع به . الحقو : الخصر

(٥) سواده : شخصه . والشول : النوق تشول بذنبها طلبا للفحول . والصوادى : العطاش

(٦) غاد : ذاهب فى الغدوة وهي اول النهار . وعمان : بلد باليمن والمراد بها هنا الازد لانهم كانوا يسمون ازد عمان ايضا

(٧) المعاول : الفؤس

وبسبب هذا يدخلون فى هذا المعنى قبائل اليمانية . وقال ابنُ أحمرَ :(١)

إخالُها سَمِعَتْ عَزْفًا فتحسَبُهُ ... إهابةَ القَسْرِ ليلاً حِينَ تَنْتَشِرُ(٢)

وقال الكُمَيْتُ :(٣)

كأنَّ الغَطَامِطَ مِنْ غَلْيِهَا ... أَرَاجِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارَا

فجعل الأراجيز التى شبهها فى لغطها والتفافها بصوت غليان القِدْر(٤) لأسلم دون غفار

باب النوكى والمجانين

قالوا : ومن النَّوْكَى : مالكُ بْنُ زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم ، الذى لما دخل على امرأته فرأت ما رأت به من الجفاء والجهل وجلس فى ناحية منقبضاً مشتملا قالت :

(١) هو عمرو بن احمر الباهلى . وقد مضت ترجمته فى ص ١٨ من الجزء الأول ، وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

بان الشباب وأفنى ضعفه العمر ... لله درى فأى العيش انتظر

وله قطعة جيدة المبنى صادقة المعنى ، هى :

إن الفتى يقتر بعد الغنى ... ويغتنى من بعد مايفتقر

والحى كالميت ويبقى التقى ... والعيش فنان فحلو ومر

إما على نفسى وإما لها ... فعابش النفس وفيها وقر

هل يهلكنى بسط ماقى يدى ... أو يخلدنى منع ماأدخر

أو ينسأن يومى إلى غيره ... أنى حوالي وأنى حذر

ولن ترى مثلى ذا شيبة ... أعلم ماينفع مما يضر

(٢) إهابة القسر ، مناداة القسر ، والقسر قبيلة يمانية وهى رهط خالد بن عبد الله القسرى

(٣) هو الكميت بن زيد الأسدى . مضت ترجمته فى ص ٥٤ من الجزء الأول ، ولهذا البيت حكاية طريفة نرويها لما فيها من النقد البارع : اجتمع الكميت ونصيب وذو الرمة فأنشدهما الكميت قصيدته التى منها هذا البيت وأولها « أبت هذه النفس إلا ادكارا » فلما بلغ منها إلى قوله :

إذا ما الهجارس غنينها ... تجاوبن بالفلوات الوبارا

قال له نصيب : ألوبار لاتسكن الفلوات ! فلما بلغ إلى قوله :

كأن الغطامط من غليها ... أراجيز أسلم تهجو غفارا

قال له نصيب : ماهجت أسلم غفارا قط ! فاستحيى الكميت وسكت لأنهما من قبيلة واحدة . قلت : إن الحق مع الكميت لأن قبيلتى غفار وأسلم وفدتا على النبى فلما كانوا ببعض الطريق سألت غفار أسلم النزول فنزلت اسلم وحطت رحالها ومضت غفار فلم تنزل . فلما رأت ذلك أسلم ارتجلت وجعل شعراؤها يرجزون بهجاء غفار .

(٤) وهذه القدر الموصوفة فى الشعر هى قدر أبان بن الوليد البجلى

ضع عُلبتك ؟ قال : يدى أحفظ لها ! قالت : فاخلع نعليك ؟ قال : رجلاى أحفظ لها ! قالت : فضع شملتك ؟ قال : ظهرى أولى بها ! فلما رأت ذلك قامت فجلست إلى جانبه فلما شم ريح الطيب وثب عليها .

ومن المجانين والموسوسين والنوكى : ابن قِنَان، وصَبَاحُ الموسوس ، وريسموس اليونانى، وأبو حية النميرى، وأبو يَس الحاسب، وجُعيفران الشاعر ، وجَرَنْفَشُ. ومنهم: سارية الليل. ومنهم: رَيْطَةُ بنت كعب بن سعد بن تميم بن مرة ، وهى التى نقضت غزلها أنكاثا فضرب الله تبارك وتعالى بها المثل ، وهى التى قيل لها: خَرْقَاء وجدت صوفا . ومنهم : دُغَةُ[١] وجَهِيزَةُ[٢] وشَوْلَةُ[٣] وذَرَّاعَةُ المعدية . ولكل واحد من هؤلاء قصة سنذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

فأما رَيْسَمُوسُ ، فكان من مُوَسْوَسى اليونانيين ، قال له قائل : ما بالُ رَيْسَمُوس يُعلِم الناس الشعر ولا يستطيع قوله ؟ قال : مَثَلُهُ مثل المِسن الذى يَشحذ ولا يقطع . ورآه رجل يأكل فى السوق فقال : ما بالُ رَيسموس يأكل فى السوق ؟ قال : إذا جاع فى السوق أكل فى السوق . وألح عليه بالشتيمة رجل وهو ساكت فقيل له : يَشتُمك مثل هذا وأنت ساكت ؟ قال : أرأيت إن نبحك كلب أتنبحه ، أو رمحك حمار أترمحه !؟ وكان إذا خرج فى الفجر يُريد الفُرات ألقى فى دُوَارة بابه حجراً حتى لا يُعانى دفع بابه إذا رجع ، وكان كلما رجع الى بابه وجد الحجر مرفوعا

(١) هي دغة ام عمرو بن تميم ، وكانت العرب تضرب بحمقها المثل ، وسبب ذلك انها كانت حاملا فدخلت الخلاء فولدت وهى لاتعلم ما الولد وخرجت وسلاها بين رجليها وقد استهل ولدها فقالت : ياجارتا ، أيفتح الجعر فاه ؟ فقالت جارتها : نعم ياحمقاء ويدعو أباه ؟ فبنو تميم يعيرون بذلك ويقال لهم : بنو الجعراء .

(٢) زعموا ان قوما اجتمعوا يخطبون فى الصلح بين حيين فى دم كي يرضوا بالدية ، فبينما هم كذلك أقبلت جهيزة وكانت امرأة رعناء فقالت ظفر بالقاتل ولي المقتول فقتله . فقالوا : قطعت جهيزة قول كل خطيب . وزعم آخرون أن جهيزة الحمقاء هى ام شبيب بن يزيد الشيبانى الخارجي وكان ابوه اشتراها من السبي فلما حملت قالت : فى بطني شيء ينقز ! فقالوا : أحمق من جهيزة . وكل هذه مزاعم.

(٣) كانت شولة أمة رعناء لعدوان ، وكانت تنصح لمواليها فتعود نصيحتها وبالا عليهم . فقيل للنصيح الاحمق : انت شولة الناصحة

والبابَ مُنصفقاً ، فعلم أن أحداً يأخذ الحجر من مكانه فكمن لصاحبه يوماً فلما رآه قد أخذ الحجر قال : مالك تأخذ ما ليس لك ؟ قال : لم أعلم أنه لك ! قال : فقد علمت أنه ليس لك ! ؟

أما جُعَيْفَرَان[1] الموسوس الشاعر فشهدت رجلا أعطاه درهما وقال : قل شعراً على الجيم ؟ فأنشأ يقول .

عَادَنِى الهَـمُّ فاعْتَلَجْ كلُّ هَـمٍّ إلى فَرَجْ
سَلِّ عَنْكَ الهُمُومَ بِالْـ ـكَأسِ والرَّاحِ تَنْفَرِجْ

وهى أبيات ، وكان يتشيع ، قال له قائل : أتشتم فاطمة وتأخذ درهما ؟ قال : لا ، بل أشتم عائشة وآخذ نصف درهم ! وهو الذى يقول :

مَا جَعْفَرٌ لِأَبِيهِ وَلا لَهُ بِشَبِيهِ
أَضْحَى لِقَوْمٍ كَثِيـ ـرٍ فكلُّهُمْ يَدَّعِيهِ
هَذَا يَقُولُ بُنَيٌّ وذَا يُخَاصِمُ فِيهِ
والأُمُّ تَضحكُ مِنْهُمْ لِعِلْمِها بِأَبِيـهِ

(١) هو جعيفران بن على الابناوى ، كان والده من ابناء الجند الخراسانية ، وكان اديبا شاعرا مطبوعا وغلبت عليه المرة السوداء فاختلط وبطل فى اكثر اوقاته ومعظم احواله فاذا افاق ثاب إليه عقله واستقام طبعه وقال الشعر الجيد . ومن شعر الحسن قوله :

أتهجر من تحب بغير جرم أسأت إذاً وأنت له ظلوم
تؤرقنى الهموم وانت خلو لعمرك مانؤرقك الهموم

وقوله :

لست براض من جهول جهلا ولا مجازيه بفعل فعلا
لكن ارى الصفح لنفسى فضلا من يرد الخير يجده سهلا

وقوله :

رأيت الناس يدعونى بمجنون على حالى
ومابى اليوم من جن ولا وسواس بلبال
ولكن قولهم هذا لافلاسى وإقلالى
ولو كنت اخا وفر رخيا ناعم البال
رأونى حسن العقل احل المنزل العالى
وما ذاك على خبر ولكن هيبة المال

وله اخبار واشعار حسان تدل على طبع صاف .

وهو الذى يقول فى قوم لاطة :

كأنَّهم والأُيورُ عامِدَةٌ صياقِلٌ فى جلاية النَّصْلِ

وأما أبو يَس الحاسب فإن عقله ذهب بسبب تفكره فى مسألة ، فلما جُن كان يَهذِى أنه سيصير ملكا وقد أُلهم ما يحدث فى الدنيا من الملاحم ، وكان أبو نواس والرَّقاشى (١) يقولان على لسانه أشعاراً على مذاهب أشعار ابن [ابى] عَقِبِ اللَّيثى (٢) ويُروِّيانها أبا يَس إذا حفظها لم يشك أنه هو الذى قالها ، فمن تلك الأشعار قول أبى نواس :

مَنَعَ النَّوْمَ ادِّكَارِى زَمَنًا ذَا تهاوِيلَ وَأَشْيَاءَ نُكُرْ (٣)

وَاعْتِرَاكُ الرُّومِ فى مَعْمَعَةٍ لَيْسَ فيها لِجَبَانٍ مِنْ مَفَرْ

كائِنَاتٌ لَيْسَ عَنْهَا مَذْهَبٌ خَطَّها يُوشَعُ فى كُتْبِ الزُّبُرْ (٤)

وعَلاَمَاتٌ سَتَأْتِى قَبْلَهُ جَمَّةٌ أَوَّلُهَا سَكْرُ النَّهَرْ (٥)

وَيَلِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ هَاشِمٍ أَقْنَصُ النَّاسِ جَمِيعاً لِلحُمُرْ (٦)

يَبْتَنِى فى الصحنِ مِنْ مَسْجِدِهِمْ لِلمُصَلِّينَ مِنَ الشَّمْسِ سُتُرْ

وَرِجَالٌ يَبْتَنِى مَطْهَرَةً ضَخْمَةً فى وَسْطِهَا طَشْتُ صُفُرْ

فَهُنَا كُمْ حِينَ يَفْشُو أَمْرُ كُمْ وَهُنَا كُمْ يَنْزِلُ الأَمْرُ الشُّكُرْ

فاتْبَعُوهُ حَيْثُ مَا سَارَ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وإِنْ طَالَ السَّفَرْ

وَادْعُوا باللهِ أَنْ تَهْزَوا بِهِ لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ مِنْهُ سَخِرْ

والبصريون يزعمون أن أبا يَس كان أحسب الناس .

(١) لعله يزيد الرقاشى .
(٢) صاحب الاغانى يسميه : ابن ابي العقب صاحب الملاحم
(٣) التهاويل : الأمور التى تهول وتروع
(٤) هو يوشع بن نون صاحب موسى عليه السلام
(٥) سكر النهر : سده بالحجارة
(٦) رجل من هاشم : هو الذى يزعمونه للهدى المنتظر

أما أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِى(١) فإنه أجن من جُعَيْفِرَانٍ ، وكان أشعر الناس ، وهو الذى يقول :(٢)

أَلاَ حَيِّ أَطْلاَلَ الرُّسُومِ الْبَوَالِيَا ... لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيا

وهو الذى يقول :(٣)

فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ ... بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وحدثنى أبو المَنْجُوفِ قال : قال أبو حَيَّةَ : عنَّ لى ظبى فرميته ، فراغ عن سهمى فعارضه والله السهم ، ثم راغ فراوغه حتى صرعه ببعض الجنارات .(٤) وقال : والله رميت ظَبية فلما نَفَذَ السهم ذكرت بالظبية حبيبةً لى فشددت وراء السهم حتى قبضتُ على قُذَذِهِ .(٥) وكان يكلم العُمار و يخبر عن مفاوضته للجن .

(١) هو أبو حية الهيثم بن الربيع النميرى البصرى . كان شاعرا مجيداً مقدماً من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكان فصيحا يجيد القصيد والرجز . وكان مع هذا أهوج جبانا بخيلا كذاباً ، عرف بذلك اجمع . وكان يقول : أتدرى مايقول القدريون ؟ يقولون إن الله لم يكلف العباد مالا يطيقون ولم يسأ لهم مالا يجدون ، وصدق والله القدريون ولكن لااقول كما يقولون ! ؟ وكان يقول : إنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ماشاء ! فقيل له : ياأبا حية أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا تصنع ؟ قال : أبعدها الله إذاً ! وكان له سيف يسميه «لعاب المنية» ليس بينه وبين الخشبة فرق .

(٢) ويروى : ألا حي من اجل الحبيب المغانيا ... لبسن البلى لمـا لبسن اللياليا
إذا ماتقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لايمل التقاضيا
حنتك الليالى بعد ما كنت مرة ... سوي العصا لو كن يبقين باقيا

(٣) هو من ابيات يقول فيها :

رمته أناة من ربيعة عامر ... نؤم الضحى فى مأتم أى مأتم
فجاء كخوط البان لامتتابع ... ولكن بسيما ذي وقار وميسم
فقلن لها سرا فديناك لايرح ... صحيحا وإن لم تقتليه فألمي
فألقت قناعا دونه الشمس واتقت ... بأحسن موصولين كف ومعصم
وقالت ـ فلما افرغت فى فؤاده ... وعينيه منها السحر قلن لها قم ـ
فود بجدع الأنف لو ان صحبه ... تنادوا وقالوا فى المناخ له نم
فراح وما يدرى أفى ساعة الضحى ... تروح ام داج من الليل مظلم

(٤) ورواية ابي الفرج أنه قال : عن لى ظبي يوما فرميته فراغ عن سهمى فعارضه السهم ثم راغ فعارضه فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبانات .

(٥) ورواية ابي الفرج أنه قال يوما : رميت والله ظبية فلما نفذ سهمي عن القوس ذكرت بالظبية

وأما جَرَنْفَشُ فإنه لما خلع الفرزدقُ لجام بغلته وأدنى رأسها من الماء قال له جَرَنْفَشُ : نَحِّ بغلتك حلق الله ساقيك ! قال : ولم عافاك الله ؟ قال : لأنك كذوب الخبرة زانى الكَمَرَةِ ! قال أبو الحسن : و بلغنى أن الفرزدق لما أن قال له الجرنفش ما قال نادى : يابنى سدوس! فلما اجتمعوا إليه قال: سوّدُوا الجرنفش عليكم فإنى لم أر فيكم أعقلَ منه ! ؟

ومن مجانين الكوفة : عَيْنَادَةُ ، وطَاقُ البَصَلِ ، حدثنى صديق لى قال : قلت لِعَيْنَادَةَ : أيما أجن ، أنت أو طاق البصل ؟ قال: أنا شىء وطاق البصل شىء !

ومن مجانين الكوفة : بُهْلُولٌ وكان يتشيع ، قال له إسحٰق بنُ الصَّبَّاح:[١] أكثر الله فى الشيعة مثلك ! قال : بل أكثر الله فى المُرجئةِ مثلى وأكثر فى الشيعة مثلك ! وكان جيد القفاء فربما مر به من يُحب العبثَ فيَقْفِدُه[٢] فحشا قفاه خُرءاً وجلس على قارعة الطريق فكلما قَفَدَهُ إنسان تركه حتى يجوز ثم يصيح به : يافتى شم يدك ! فلم يعد بعده أحد يَقفِدُهُ ، وكان يُغنّى بقيراط ويسكت بدانق ، وكانت بالكوفة إمرأة رعناء يقال لها « مُجيبة » فقفدَ بُهلولا فتى كانت مُجيبة أرضعته ، فقال له بُهلول : كيف لا تكون أرعن وقد أرضعتك مُجيبة ! فوالله لقد كانت تَزِقّ لى الفرخ فأرى الرُّعونة فى طيرانه . ! ؟

حدثنى حُجر بن عبد الجبار قال : مر مُوسى بن أبى رَدْقَاء فناداه صباح الموسوس : يا ابن أبى الردقاء ؟ أسمنت برذَونك وأهزلت دينك ! أما والله إن أمامك لعقبة لايجوزها إلا المُخِفّ ! فحبس موسى برذونه وقال : من هذا ؟ فقيل له : هذا صباح الموسوس ! فقال : هذا نذير !

قال أبو الحسن : دعا بعض السلاطين مجنونَين ليحركهما فيضحك مما يجئ

حبية لى فعدوت خلف السهم حتى قبضت على قذذه قبل ان يدركها .

وله غير ما ذكر اخبار غريبة وشعر فى غاية الجودة .

(١) هو اسحق بن الصباح الاشعثى من ولد الاشعث بن قيس الكندى . كان يلى الحجاز فى عهد المهدى العباسى ، وكان كريما جوادا ممدحا

(٢) يقفده : يصفعه بباطن كفه على قفاه

منهما ، فلما أسمعاه وأسمعهما غضب ودعا بالسيف ! فقال أحدهما لصاحبه : كنا مجنونين فصرنا ثلاثة ! ؟

وقال عمر بن عثمان : شيعت عبدَ العزيز بن عبد الملك المخزومى وهو قاضى مكة إلى منزله ، و بباب المسجد مجنونة تصفق وهى تقول :

أَرَّقَ عَيْنِي طَرَاطِرُ القاضى هذا الْمُقِيمُ ليسَ ذَاكَ الْمَاضى

فقال : ياأبا حفص ، أتراها تعنى قاضى مكة ! ؟

وقال : تذاكروا اللثغ فقال قوم : أحسن اللثغ ما كان على السين ، وهو أن يصير ثاء ، وقال آخرون : على الراء ، وهو أن يصير غينا ، فقال مجنون البكرات: أنا أيضاً ألثغ ، إذا أردت أن أقول : شرايط قلت : رشيط !

و بعث عُبيدُ الله بنُ مَروان عم الوليد إلى الوليد بقطيفة حمراء فكتب إليه الوليد : قد وصلت إلىّ القطيفة ، وأنت ياعم أحمق أحمق !

وقال محمد بن بلال لوكيله زيد : إشتر طيبا سِيرْافِيا ؟ قال : تريده سيرافى أو سيْرافى سِيرَافى ؟ ؟

وقال مُحمد بنُ الْجَهْمِ [1] للمكى : أراك مستبصرا فى اعتقاد الجزء الذى لايتجزأ ! فينبغى أن يكون عندكَ حقا حقا ! قال : أما أن يكون عندى حقا حقا فلا ، ولكنه عندى حق !

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حَمْدُونَة بنت الرشيد ــ على أن يشترى طعاما من طعامها فى بعض البيادر ــ فقال لها : إنى قد رأيت متاعك ! قالت هاشمية : قل طعامك ؟ قال :وقد أدخلت يدى فيه فإذا متاعك قد خَم وحَمى وصار مثل الجيفة ! قالت : يا أبا طالب ألست قد قبلت الشعير ؟ فاعطنا ماشئت وإن وجدته فاسداً ! ودخل أبو طالب على المأمون فقال : كان

(١) هو محمد بن الجهم البرمكى . كان اديبا راوية للاشعار علامة ، وكان فى خاصة المامون ، فاستنشده المامون اشعاراً سر بها وولاه علي جهات عدة .

أبوك يابا خير لنا منك ، وأنت يابا ليس تعدنا وليس تبعث إلينا،ونحن يابا تجارك وجيرانك ! والمأمون فى كل ذلك يتبسم .

قيل لِلْمُثَنَّى بْنِ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ وهو على اليمامة : إن هاهنا مجنونا له نوادر ، فاتوه به ، فقال : ماهجاء النَّشَّاشِ ؟ قال : ألفلج القادى ! فغضب ابنُ هُبيرة وقال : ماجئتمونى به إلا عمدا ، ماهذا بمجنون ! ؟

والنَّشَّاشُ يوم كان لقيس على حنيفة ، وَالْفَلْجُ يوم كان لحنيفة على قيس.

وأنشدوا :

تَرَى الْقَوْمَ أَسْوَاءً إذا جُسِبُوا معًا ... وَفِى الْقَوْمِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ(١)

وقال :

فَتًى زَادَهُ عِزُّ الْمَهَابَةِ ذِلَّةً ... وَكُلُّ عَزِيزٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

وقال :

قَدْ يَنْفَعُ الأَدَبُ الأَحْدَاثَ فى مَهَلٍ ... وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبْرَةِ الْأَدَبُ
إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمْتَهَا الْخَشَبُ

باب فى العى

قال جَعْفَرُ بْنُ أُختِ واصل : كتب رجل إلى صديق له: بلغنى أن فى بستانك آسًا يهمنى ، فهب لى منه أمرًا من أمر الله عظيم !

وقال أبو عبد الملك ــ وهو الذى كان يقال له عَنَاقُ ــ: كان عَيَّاشٌ وثُمَامَةُ حتى كان تعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله ، فلما مات ثمامة صار ليس يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله ! وقال له عَيَّاشُ بْنُ الْقَاسِمِ : بأى شىء تزعمون أن أبا على الأسوارى أفضل من سَلَّامٍ أبى المنذر ؟ قال : لأنه لما مات سَلَّام أبو المنذر ذهب أبو على فى جنازته ، فلما مات أبو على لم يذهب سلام فى جنازته ! وكان يقول :

(١) اسواء : متساوون

فيك عشر خصال من الشر ، أما الثانية والرابعة كذا ، وأما السابعة كذا ، وأما العاشرة كذا ! قال : قلنا للفقْعَسي : كيف ثناؤك على حمدان بن حبيب ؟ قال : هو والله عندي الكذا الكذا ! وقال الخرزادي : آجركم الله وعظم أجركم وآجركم ! فقيل له في ذلك فقال : هذا كما قال عثمان بن الحكم : بارك الله لكم وبارك الله عليكم وبارك الله فيكم ! قالوا له: ويلك إن هذا لا يشبه ذلك ! وكتب إلى بعض الأمراء : أبقاك الله وأطال بقاءك ومد في عمرك !

وكان أبو إدْرِيس السمان يقول : وأنت فلاصبحك الله إلا بالخير ! ويقول : وأنت فلا حيا الله وجهك إلا بالسلام ! وأنتم فلا بيتكم الله إلا بالخير !

ومرّ ابْنُ أَبِي عَلْقَمَةَ :(١) فصاح به الصبيان فهرب منهم وتلقاه شيخ وعليه ضفيرتان فقال له : ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض !

وقال المهلب لرجل من بني ملكان أحد بني عدي : متى أنت ؟ قال : أيام «عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ»! (٢) وأقبل على رجل من الأزد فقال له: متى أنت ؟ قال: أكلت من حبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامين! قال : أطعمك الله لحمك ! وأنشد المُعَيْطِيُّ :

وَأَنزَلَنِى طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ ... إذا شئْتُ لاقَيْتُ الَّذِى لاأُشَاكِلُهْ

فَحامَقْتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ ... وَلَوْ كانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

وخطب عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاء (٣) فحث على الجهاد فقال: هذا كما قال الله تعالى :

---

(١) هو ابن أبي علقمة الثقفي الماجن وله وقعة حل مع الفرزدق ذكرها الأغاني

(٢) هو عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي . كان من فرسان العرب في الجاهلية وشجعانهم المغاوير وكان كثير الحروب والغارات

(٣) هو عتاب بن ورقاء الرياحي . شجاع بطل وفارس مغوار . وكان من قواد الدولة الأموية وولاتها . أبلى بلاء حسنا في فتنة الفرخان صاحب الري حينما ارتد فقاتله حتى ظفر به وفتح الري . ثم ولي أصبهان أيام فتنة عبد الله بن الزبير . ثم ولي المدائن ونواحيها ووجهه الحجاج في جيش من أهل الكوفة لقتال الخوارج الأزارقة . ثم توجه لقتال شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي فبيته شبيب واستباح عسكره وهزم جيشه ودافع عتاب دفاع الأبطال حتى خر صريعا في المعركة . وذلك سنة ٧٧ هـ

كُتِبَ القَتْلُ وَالقِتالُ عَلَيْنا   وَعَلَى الغانِياتِ جَرُّ الذُّيُولِ (١)

وخطب والى اليمامة فقال : إن الله لا يقارّ عباده على المعاصى ، وقد أهلك الله أمة عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم ! (٢) فسمى « مقوّم ناقة الله » وهؤلاء من الجفاة والأعراب المُحَرَّمِينَ (٣) وأصحاب العجرفية ومن قل فقهه فى الدين إذا خطبوا على المنابر فكأنهم فى طباع أولئك المجانين .

وخطب وَكِيعُ بْنُ أَبِى سُودٍ (٤) بخراسان فقال : إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أشهر ! فقيل له : إنها ستة أيام ! قال : وأبيك لقد قلتها وإنى لأستقلها ! وصعد المنبر فقال : إن ربيعة لم تزل غِضاباً على الله مذ بعث نبيه من مضر ، ألا وإن ربيعة قوم كُشف ، فإذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل فى مناخرها فإن فرساً لم يُطعن فى مَنْخِرِهِ إلاّ كان أشدّ على فارسه من عدوه .

وضربت بنو مَازِنٍ الْحُتَاتَ بْنَ يَزِيدٍ الْمُجَاشِعِىَّ (٥) فجاءت جماعة منهم

---

(١) هذا البيت من قصيدة لعمر بن أبى ربيعة

(٢) يريد ناقة صالح وأمة ثمود

(٣) المحرمون ، يقال : أعرابي محرم يعنى جاف لم يخالط اهل الحضر

(٤) هو وكيع بن حسان بن قيس بن ابى سود الغدانى التميمى . كان سيد بنى تميم وكان من الشجعان الابطال . افترض مع سلم بن زياد فجعل مكتبه بسجستان . ولما ولى عبد العزيز بن عبد الله بن عامر سجستان غضب على وكيع فى بعض الامر فقبض عليه وحبسه فبينا هو فى محبسه مر به ولد لعبد العزيز مع ظئر له فدعا به فأمسكه ثم دعا بسكين وقال والله لاذبحنه اوليخلين عنى ، فجاء عبد العزيز وقال: خل عنه ونؤمنك! فقال لا والله حتى يجىء عشرة من بنى تميم فتضمن لهم ثم يكونوا هم الذين يطلقون عنى ! ثم تحول وكيع إلى خراسان فرأس قومه وكانت له وقائع فى مغازى قتيبة ويوم الترك خاصة اظهر فيها من الشجاعة والاقدام مالا نظير له . ومع هذا فقد غضب الحجاج منه فى بعض الامور فبعث إلى قتيبة بقتله فعزله قتيبة عن الرئاسة . ولما مات الوليد وتولى سليمان وخافه قتيبة وخلع بيعته وسار بالناس نحو فرغانة بايعت بنو تميم وكيعا على الرئاسة وخاصم قتيبة وما زال به حتى قتل قتيبة . وبعث برأسه إلى سليمان . ثم ظل وكيع غالبا على خراسان تسعة اشهر إلى ان تولاها يزيد بن المهلب فقتله سنة ٩٨ هـ

(٥) كان الحتات وفد على معاوية مع جارية بن قدامة والاحنف بن قيس فأجاز كل واحد منهما مائة الف درهم واجاز الحتات سبعين الفا ، فسأل الحتات صاحبيه فأخبراه بما أجازهما به فعاد إلى معاوية وقال له : فضحتنى فى بنى تميم ! اما حسبى بصحيح او لست ذا سن الست مطاعا فى عشيرتى ؟ قال معاوية : بلى ، قال : فما بالك خست بى دونهما ؟ فقال إنى اشتريت منهما دينهما ! (وكانا علويي المذهب) ووكلتك إلى دينك ورأيك فى عثمان ! قال : وانا فاشتر منى دينى ؟ فأمر له بثلاثين الفا .

فيهم غالب أبو الفرزدق فقال : ياقوم كونوا كما قال الله : لا يعجز القوم إذا تعاونوا !

وتزعم بنو تميم أن صَبِرَةَ بْنَ شَيْمَانَ قال فى حرب مسعود والأحنف : إن جاء حُتَاتُ جئت ، و إن جاء الأحنف جئت ، و إن جاء جارية (١) جئت ، وإن جاؤا جئنا ، و إن لم يجيئوا لم نجيء ! وهذا باطل ، وقد سمعنا لِصَبِرَةَ كلاماً لا ينبغى أن يكون صاحب ذلك الكلام يقول هذا الكلام . ولما سمع الأحنفُ فتيانَ بنى تميم يضحكون من قول العَرَنْدَسِ (٢) :

لَحَا اللهُ قوماً شَوَوْا جَارَهُمْ إذا الشَّاةُ بالدِّرْهَمَيْنِ الشُّصُبْ (٣)
أرَى كُلَّ قَوْمٍ رَعَوْا جَارَهُمْ وَجَارُ تَمِيمٍ دُخَانٌ ذَهَبْ

قال : أتضحكون ! أما والله إن فيه لمعنى سوء ! ؟

وكان قَبِيصَةُ يقول : رأيت غرفة فوق البيت ! ورأى جراداً يطير فقال : لا يَهُولَنَّكم ما ترون فان عامتها موتى ! وأنه أول ما جاء الجراد قَبَّلَ جرادة ووضعها على عينيه على أنها من الباكورة .

وهذه الأشياء وَلَّدَها الْهَيْثَمُ بنُ عَدِيٍّ عند صنيع دَاوُدَ بن يَزِيدَ فى أمر تلك المرأة ما صنع . (٤)

---

(١) فى الاصول : حارثة ، وهو خطأ والصواب ما اثبتناه ، وهو جارية بن قدامه السعدى

(٢) هو العرندس الكلابي كان شاعرا مقلا مجيدا

(٣) الشصب : الشاة المسلوخة

(٤) كان الهيثم بن عدى قد تزوج امراة من بنى الحارث بن كعب فركب وجوه بنى الحارث إلى الرشيد يسألونه أن يفرق بينهما فقال الرشيد : أليس هو الذي يقول فيه الشاعر :

إذا نسبت عديا فى بنى ثعل فقدم الدال قبل العين فى النسب

قالوا : بلى يا امير المؤمنين — والشعر لذهل بن ثعلبة الشيبانى الكوفى — فأمر الرشيد داود ابن يزيد احد قواده أن يفرق بينهما ، فأخذوه وضربوه بالعصي حتى طلقها . وفى ذلك يقول على ابن جبلة العكوك :

للهيثم بن عدى نسبة جمعت آباءه فأراحتنا من العدد
أعدد عديا فلو مد البقاء له ما عمر الناس لم ينقص ولم يزد
نفسى فداء بنى عبد المدان وقد تلوه للوجه واستعلوه بالعمد
حتى ازالوه كرها عن كريمتهم وعرفوه بذل أين اصل عدى
يا ابن الخبيثة من أهجو فافضحه إذا هجوت وما تنمي إلى احد

قال أبو الحسن : وتغدى أبو السَّرَايَا عند سُليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولىّ عهد وقدامه جَدى فقال : كل من كليته فإنه يزيد فى الدماغ ! فقال : لوكان هذا هكذا لكان رأس الأمير مثل رأس البغل !

قال أبُو كَعْب: كناعندعَيَّاش بْنِ الْقَاسِمِ ومعناسَيفُوَيْه القاص فأتينا بفالوذجة حارّة فابتلع سيفويه منها لُقمة فغشي عليه من شدة حرّها فلما أفاق قال : مات لى ثلاثة بنين ما دخل جوفى عليهم من الحرقة ما دخل جوفى من حرقة هذه اللقمة !

سَعيد بن مالك قال : جالسنى رجل فقير لايكلمنى ساعة ثم قال لى : جلست قط على رأس تنور فخريت فيه آمناً مُطمئناً ؟ قلت : لا ! قال : فانك لم تعرف شيئا من النعيم قط !

وقال هِشام بن عبد الملك ذات يوم لجلسائه : أى شىء ألذ ؟ قال له الأبرش ابن حسان : أأصابك جرب قط فحككته ؟ قال : مالك ! أجرب الله جلدك ولا فرج الله عنك ! وكان آنس الناس به .

ومن غرائب الحمق المذهب الذى ذهب إليه الكُميت بن زيد فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

فاعْتَتَبَ الشَّوْقُ فى فُؤَادِىَ وَالشِّعْـــرُ إلى مَنْ إلَيْهِ مُعْتَتَبُ
إلى السِّرَاجِ المُنِيرِ أحْمَدَ لاَ تَعْدِلُنِى رَغْبَةٌ ولا رَهَبُ
عَنْهُ إلى غيْرِهِ ولوْ رَفَعَ النَّـ اسُ إلىَّ العُيُونَ وَارْتَقَبُوا
وقِيلَ أفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَنَّفَنِى القَائِلُونَ أوْ ثَلَبُوا
إلَيْكَ يا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ الْـ أرْضُ وَلَوْ عابَ قَوْلِىَ العُيُبُ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلوْ أُكْثِرَ فِيكَ اللَّجَاجُ وَاللَّجَبُ

فمن رأى شاعراً مدح النبي صلى الله عليه وسلم فاعترض عليه واحد من جميع أصناف الناس حتى يزعم أن ناسا يعيبونه و يثلبونه و يعنفونه ..!؟ ولقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم فما زاد على قوله :

وَبُورِكَ قَبْرٌ أَنْتَ فِيهِ وَبُورِكَتْ ... بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ بِذَلِكَ يَثْرِبُ
لَقَدْ غَيَّبُوا بِرًّا وحَزْمًا ونَائِلاً ... عَشِيَّةَ وَارَاهُ الصَّفِيحُ الْمُنَصَّبُ

يعنى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويثرب يعنى المدينة . وهذا شعر يصلح فى عامة الناس .

وكتب مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إلى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ : إنك والله ما أنت بصاحب هذا الأمر ، صاحب هذا الأمر مغمور وموتور[1] وأنت مشهور غير موتور . فقال له رجل من الأزد يقال له عثمان بن المفضل : قدم ابنك مُخَلَّداً[2] حتى يقتل فتصير موتورا !

وقال : جاء ابْنُ الْجُدَيْعِ بْنِ عَلِيٍّ [3] - وكان ابن خال يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ — فقال ليزيد : زوجنى بعض ولدك ! ؟ فقال له عثمان بن المفضل : زوجه ابنك مخلداً فإنه إنما طلب بعض الولد ولم يستثن شيئا . . ! ؟

ومن الحمقاء : كُثَيِّرُ عَزَّةَ ، ومن حمقه أنه دخل على عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فمدحه بمديح استجاده فقال له : سلنى حوائجك ؟ فقال : تجعلنى فى مكان ابْنِ زَمَانَةَ ! قال : ويلك ، ذلك رجل كاتب وأنت شاعر ! فلما خرج ولم ينل شيئا قال :

عَجِبْتُ لأَخْذِى خِطَّةَ الْغَىِّ بعدَمَا ... تبَيَّنَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَبولُهَا
فإِنْ عادَ لِى عَبْدُ العزيزِ بِمِثْلِهَا ... وأَمْكَنَنِى مِنْهَا إِذاً لا أُقِيلُهَا

قال أبو الحسن : قال طارق ، قال ابن جابان : لقى رجل رجلا ومعه كلبان فقال : هب لى أحدهما ؟ قال : أيهما تريد ؟ قال : الأسود ! قال : الأسود أحب إلى من الأبيض ! قال : فهب لى الأبيض ؟ قال: الأبيض أحب إلى من كليهما !

وقال رجل لرجل : بكم تبيع الشاة ؟ قال : أخذتها بستة وهى خير من سبعة وقد

(١) يشير إلى أبناء على بن ابي طالب رضى الله عنهم

(٢) مخلد هو ابن يزيد بن المهلب

(٣) هو جديع بن على أخو خيرة القشيرية زوج المهلب بن ابى صفرة وكان من رجالات المهالبة ، وله حديث يتعلق بالفرزدق .

أعطيت بها ثمانية ، فان كانت من حاجتك بتسعة فزن عشرة ! قال أبو الحسن : قال طارق بن المبارك : دخل رجل على بلال فكساه ثوبين فقال : كساني الامير ثوبين فاتزرت بالآخر وارتديت بالآخر ! وقال : مرض فتى عندنا فقال له عمه : أي شيء تشتهي ؟ قال : رأس كبشين ! قال : لا يكون ! قال : فرأسي كبش ! طارق قال : وقع بين جار لنا وجار له يكنى أبا عيسى كلام فقال : أللهم خذ مني لأبي عيسى ! قالوا : أتدعو الله على نفسك ! ؟ قال : فخذ لأبي عيسى مني !

أبو زكريا العجلاني قال: دخل عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ على مُعَاوِيَةَ وهو ثقيل فقال: كيف أصبحت يا أمير المومنين ؟ قال : أصبحت صالحا ؟ قال : أصبحت عينك غائرة ولونك كاسفا وأنفك ذابلا فاعهد عهدك ولا تُخْدَعَنَّ عن نفسك ! ؟

وقال عُبَيْدُ اللهِ بنُ زِيادِ بنِ ظَبْيَانِ التَّيْمِي : يرحم الله عمر بن الخطاب ، كان يقول : أللهم إني أعوذ بك من الزانيات وأبناء الزانيات ! فقال عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ : رحم الله عمر ، كان يقول: لم يقم جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائقا !

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بُلهاً كالحمام .

وقال قائل : حماقة صاحبي على أشد ضرراً منها عليه .

وقالوا : شرد بعير لِهَبَنَّقَةَ القَيْسِيِّ — وبجنونه يضرب المثل — فقال: من جاء به فله بعيران ! فقيل له : أتجعل في بعير بعيرين ؟ فقال: إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان ! وهبنقة هو يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة وكنيته أبو نافع . قال الشاعر : (١)

عِشْ بجَدٍّ وَلاَ يَغُرَّنْكَ نَوْكٌ ... إنما عَيْشُ مَنْ تَرَى بالجُدُودِ (٢)

(١) هو ابو محمد يحيى بن المبارك العدوى بالولاء اليزيدى البصرى . كان من أكابر النحاة والقراء عالما باللغة والشعر والغريب وايام الناس . فصيحا مبينا قوي اللسان . أخذ عن ابى عمرو والخليل وغيرهما وعنه اخذ خلق كثير . سكن بغداد وأدب أولاد يزيد بن منصور الحميري فقيل له « اليزيدى » وكان من مؤدبي المامون . مات بخراسان سنة ٢٠٢ هـ عن ٧٤ سنة

(٢) تناظر ابو محمد اليزيدى وعلى بن حمزة الكسائى بين يدى المهدى يوما قبل أن يلي الخلافة-

عِشْ بِجَدٍّ وَكُنْ هَبَنَّقَةَ القَيْـ ـسِيَّ نَوْكًا أو شَيْبَةَ بنَ الوَلِيدِ

ولما خلع قُتَيبةُ بنُ مُسلمٍ سُليمانَ بنَ عبد الملك بخراسان قام خطيباً[1] فقال: ياأهل خُراسان، أتدرون من وليكم؟ إنما وليكم يزيد بن ثروان — كنى به عن هبنقة. وذلك أن هبنقة كان يحسن من إبله إلى السمان ويدع المهازيل ويقول: إنما أكرم من أكرم الله وأهين من أهان الله؟ وكذلك كان سليمان يعطى الأغنياء ولا يعطى الفقراء ويقول: أصلح ماأصلح الله وأفسد ماأفسد الله!

وقال الفرزدق: ماعَييتُ بجواب أحد قط ماعييت بجواب مجنون بدير هِرَقْل، دخلت فاذا هو مشدود إلى اسطوانة فقلت: بلغنى أنك حاسب؟ قال: ألق عليّ ماشئت! فقلت: أمسك معك خمسة وجلدتها، قال: نعم، قلت: أمسك معك أربعة وجلدتها، قال: نعم، فقلت: كم معك؟ قال: تسعة وجلدتها مرتين؟

وكان زُرَيْقُ الفزارى يمر بالليل وهو شارب فيشتُمُ أهل المجلس فلما أن كان بالغداة عاتبوه فقال: نعم زنيت أمهاتكم فماذا عليكم!؟

وخطب يوماعتَّابُ بنُ وَرْقاءَ فقال: هذا كما قال الله تبارك وتعالى: إنما يتفاضل الناس بأعمالهم وكل ما هو آت قريب! قالوا له: إن هذا ليس من كتاب الله! قال: ماظننت إلا أنه من كتاب الله!

وخطب عَدِيُّ بنُ زِيَادٍ الايادى فقال: أقول كما قال العبد الصالح: « ماأريكم إلا ماأرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » قالوا له: ليس هذا من قولِ عبدٍ صالحٍ إنما هو من قول فرعون! قال: من قاله فقد أحسن! وقال أعرابى:

فانتصر اليزيدي على الكسائى وكان شيبة بن الوليد وهو من وجوه قواد المهدى واكابرهم، فى صف الكسائى فهاتر اليزيدى فاسرها فى نفسه فكتب فيه رقعة واذاعها في الدواوين والمساجد والاسواق فاصبح الناس يتناشدون ما فيها وذلك قوله: عش بجد. وبعد البيت الثانى:

شيب يا شيب ياجدى بنى القعـ ـقاع ما انت بالحليم الرشيد

لاولا فيك خلة من خلال الخـ ـير احرزتها لحزم وجود

غير ما انك المجيد لتقطـ ـيع غناء وضرب دف وعود

فعلى ذا وذاك يحتمل الدهـ ـر مجيدا له وغير مجيد

(١) راجع ص ١١٠ من هذا الجزء

خَلَقَ السَّماء وَأَهْلَها فى جُمْعَةٍ ... وأبوك يَمْدُرُ حَوْضَه فى عام[1]

وكان عبد الملك بنُ مروانَ أول خليفة من بنى أمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وتوعد عليه وقال . إن جامعة[2] عَمْرِو بنِ سعيدِ بن العاصِ عندى ! وانى والله لايقول أحدكم هكذا إلا فعلت به هكذا ! وفى خطبة له أخرى : وإنى والله ما أنا بالخليفة المستضعف — وهو يعنى عثمان بن عفان — ولا أنا بالخليفة المداهن — يعنى معاوية — ولا أنا بالخليفة المأفون — يعنى يزيد بن معاوية !

قال أبو إسحٰق :[3] والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المداهن لكنت منها أبعد من العَيُّوق ، والله ما أخذتها من جهة الميراث ولا من جهة السابقة ولا من جهة القرابة ولا تدعى شُورى ولا وصية .

قال أبو الحسن : دخل كَرْدَمُ السَّدُوسِيُّ على بلال بن أبى بردة فدعاه إلى الغداء فقال : قد أكلت ! قال : وما أكلت ؟ قال : قليل رزفاً كثرت منه ! ودخل كردَمُ الذَّرَّاعُ[4] أرض قوم يذرعها فلما انتهى إلى زنقة منها لم يحسن تذريعها . قال : هذه ليست لكم ! قالوا : هى لنا ميراث وما نازعنا فيها إنسان قط ! قال : لا والله ما هى لكم ! قالوا : فحصِّل لنا حساباً مالا نشك فيه ؟ قال : عشرين فى عشرين مائتين ! قالوا : من أجل هذا الحساب صارت الزنقة ليست لنا !

قال : ودخل عُكابة بنُ نُميلة النُّميرى دار بلال بنِ أبى بُردة فرأى ثوراً مجللا فقال : ما أفرهه من بغل لولا أن حوافره مشقوقة !

ومن النوكى ، وممن ربما عدوه فى المجانين : ابنُ فِنَانٍ الأزدى ، وضرب به المثل ابن ضب العَتَكىُّ فى قوله بجُدَيْعِ بْنِ عَلِيٍّ خال يزيد بن المهلب حيث قال :

لولاَ المُهَلَّبُ يا جُدَيْعُ ورُسْلُهُ ... تَغْدُو عَلَيْكَ لَكُنْتَ كابْنِ فِنَانِ

---

(١) يمدر حوضه : يسد ما بين حجارته بالطين

(٢) الجامعة : الغل يوضع فى العنق جامعا إليها اليدين ، وراجع ص٢٠١ من الجزء الاول

(٣) هو ابو اسحق النظام

(٤) الذراع : الذى يذرع الارض اى يقيسها

وقال آخر يهجو امرأته بأنها مِضْياعٌ خَرقاء : (١)

وَإِنَّ بَلَاءً مِنْ دَرِينَةَ كُلَّمَا ... رَجَوْتُ انْتِعاشاً أَدْرَكَتْنِي بِعاثِرِ
تُبَرِّدُ ماءَ السُّعْنِ فِي لَيلةِ الصَّبَا ... وتَسْتَعْمِلُ الكُرْكُورَ فِي شَهْرِ ناجِرِ (٢)

وفى خطأ العلماء قال أبو الحسن : قال الشَّعبى : سايرتُ أبا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ عَوْفٍ (٣) فكان بينى و بين أبى الزِّنادِ (٤) فقال : بينما عالم أهلَ المدينة ! فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها.وقال طَرَفَةُ بنُ العَبْدِ يهجو قابُوسَ ابْنَ هِنْدٍ الملك (٥) :

لَعَمْرُكَ إِنَّ قابُوسَ بنَ هِنْدٍ ... لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نَوْكٌ كَثيرُ
قَسَمْتَ الدَّهرَ فى زَمَنٍ رَخِيٍّ ... كَذاكَ الحُكْمُ يَقْصِدُ أو يَجُورُ
لنا يَوْمٌ وَلِلْكِرْوانِ يَوْمٌ ... تَطِيرُ البائِساتُ وَلاَ تَطِيرُ (٦)
فَأَمَّا يَوْمُنَا فَنَظَلُّ رَكْباً ... وُقوفاً ما نَحُلُّ وَمَا نَسِيرُ
وَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمُ سوءٍ ... تُطَارِدُهُنَّ بِالحُدْبِ الصُّقُورُ (٧)

ألفلوسكى قال : قلت لأعرابى : أى شىء تقرأ فى صلاتك ؟ قال : أم الكتاب

---

(١) المضياع : التى لا تحفظ شيئاً . والخرقاء : التى لا تحسن صنع شىء

(٢) السعن : قربة تقطع من نصفها وينبذ فيها وقد يستقى بها وقد تتخذ وعاء للغزل والقطن . وشهر ناجر من شهور الصيف

(٣) هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف ، كان فقيها محدثا من خيار التابعين . يحمل عنه الحديث ويؤخذ قوله فى الفقه . مات سنة ١٠٤ هـ

(٤) هو ابو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى رملة زوجة عثمان بن عفان . كان ورعا تقيا فى التابعين ولاه عمر بن عبد العزيز خراج العراق مع عبد الحميد الخطابى . مات فجأة فى شهر رمضان سنة ١٣٠هـ

(٥) هذه الأبيات من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند ملك الحيرة وأخاه قابوسا . وقبلها :

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور
من الزمرات أسبل قادماها ... وضرتها مركنة درور
يشاركنا لنا رخلان فيها ... وتعلوها الكباش فما تنور

(٦) الكروان : نوع يشبه البط له صوت جميل

(٧) الحدب : مناسر الصقور وهى حدباء

ونسبة الرب وهجاء أبي لهب (١) وكان الفلوشكي البكراوي أجن الناس وأعيى الخلق لسانا ، وكان شديد القِمَار شديد اللعب بالودع . قال ابن عم له : وقفت على بقية تمر في بَيْدَرٍ لي (٢) فأردت أن أعرفه بالحَزْرِ ومعنا قوم يُجيدون الخَرْص (٣) وقد قالوا فيها واختلفوا ، فهجم علينا الفلوشكي ، فقلت له : كم تَحزُرُ في هذا التمر ؟ فقال : أنا لا أعرف الأكرار وحساب القُفْزَان (٤) ولكن عندي مِرجل أطبخ فيه تمر نبيذي وهو يسع مَكُّوكَين ، وهذا التمر يكون فيه مائتين وستين مِرجلا ! فلا والله أن أخطأ بقَفيز واحد . قال المهلب ، والأزد حوله : أرأيتم قول الشاعر :

إِذَا غَرَزَ المحَالِبُ أَنَاقَتْهُ ... يَمُجُّ على مَنَاكِبِهِ الثُّمالا (٥)

وإلى جنب غَيلان بن خَرَشَة شيخ من الأزد فقال له : قل هو ابن الفحل ! فقالها ؟ فقال المهلب : ويلكم ما جالستم الناس . وأنشد بعض أصحابنا :

أَلِكْنِي إِلَى مَوْلَى أُكَيْمَةَ وَانْهَهُ ... وَهَلْ يَنْتَهِي عَنْ أَوَّلِ الزَّجْرِ أَحْمَقُ (٦)

وزعم الهيثم بن عدي عن رجاله أن أهل يبْرين (٧) أخف بني تميم أحلاماً وأقلهم عقولا . قال الهيثم : ومن النوكي : عبيد الله بن الحر ، وكنيته أبو الأبرش . وقال الهيثم : خطب قَبيصةُ (٨) وهو خليفة أبيه على خُراسان وأتاه كتابه فقال : هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهلٌ لأن أطيعه ، وهو أبي وأكبر مني !

---

(١) أم الكتاب : سورة الفاتحة . ونسبة الرب : سورة قل هو الله أحد . وهجاء أبي لهب : سورة تبت يدا أبي لهب وتب

(٢) البيدر : يريد بها ههنا المخزن الذي يخزن فيه الاشياء

(٣) الحزر والخرص : التقدير

(٤) القفزان جمع القفيز ، والقفيز ثمانية مكاكيك ، والمكوك مكيال يسع صاعا ونصفاً

(٥) غرز المحالب : قل اللبن في آنية الحلب ، أناقته : أترعته حتى تمج نواحيه الثمال الزائد

(٦) ألكني : إحمل عني الوكتي يعني رسالتي

(٧) يبرين : بلد بالبحرين موصوف بكثرة الرمل . قال أبو زياد الكلابي واسمه — يزيد بن عبد الله ابن الحر — وراجع ص ١٢٨ من هذا الجزء — قال :

أراك إلى كثبان يبرين صبة ... وهذا لعمري لو قنعت كثيب
وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى ... إلي وإن لم آته لحبيب

(٨) هو قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة

وكان فيما زعموا ابنُ السعيد الجوهرى يقول : صلى الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم .

قال أبو الحسن : صعد عَدِيُّ بْنُ أَرْطاةٍ المنبر فلما رأى جماعة الناس حُصِرَ فقال : ألحمد لله الذى يطعم هؤلاء و يسقيهم !

وصعد رَوْحُ بنُ حَاتم[1] المنبر فلما رآهم قد شَفَنُوا أبصارهم[2] وفتحوا أسماعهم نحوه قال : نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم فإن المنبر مركب صعب ، و إذا يسر الله فَتْح قُفْل تيسر .

قالوا : وصعد عُثمانُ بنُ عَفّانٍ رضى الله تعالى عنه المنبر فأُرْتِجَ عليه فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يُعدان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب !

قالوا لزِيادٍ الأعجم : لِمَ لاتهجو جرَيراً ؟ فقال : أليس الذى يقول :

كأَنَّ بَنِى طُهَيَّةَ رَهْطَ سَلْمى ... حِجارَةُ خَارِئٍ يَرْمى كِلاباَ

قالوا : بلى ، قال : ليس بينى و بين هذا عمل .

قال أبو الحسن : خطب مُصْعَبُ بنُ حَيّانٍ أخو مُقاتل بن حَيان خطبة نكاح نُحصر فقال : لَقنوا موتاكم قول لاإله إلا الله ! فقالت أم الجارية : عجّل الله موتك ، ألهذا دعوناك ! ؟ وخطب أمير المؤمنين الموالى — وهكذا لقبه — خطبة نكاح نُحصر فقال : أللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نشكرك !

وقال مولى لِخالِدِ بنِ صفوان : زوجنى أمتك فلانة ؟ قال : قد زوجتكها ، قال : أفأدخل الحى حتى يحضروا الخِطبة ؟ فقال : أدخلهم ! فلما دخلوا ابتدأ خالد

---

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب . كان من الولاة الشجعان الأجواد ، ولى الولايات للسفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد ، وكان ضابطاً لأعماله . وكان كاتباً مبيناً ومتكلما فصيحا . بعث إلى كاتب له بثلاثين ألف درهم وكتب إليه : قد بعثت إليك ثلاثين ألف درهم ، لا اقلها تكبراً ولا اكثرها تمننا ولا استثيبك عليها ثناء ولا اقطع بها عنك رجاء والسلام . ولما مات أخوه يزيد بن حاتم سنة ١٧٠ بالقيروان وكان واليا على افريقية كان روح واليا على السند فولاه الرشيد على افريقية مكان اخيه وظل بها إلى ان مات سنة ١٧٤ هـ

(٢) شفنوا ابصارهم ، نظروا إليه نظر المتعجب المتكره

فقال : أما بعد ، فان الله أجل وأعز من أن يذكر فى نكاح هذين الكلبين ، وقد زوجنا هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة !

وقال إبْرَاهِيمُ النَّخْعِيُّ لِمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ : سل مسألة الحمق واحفظ حفظ الأكياس .

ودخل كُثَيِّرُ عَزَّةَ — وكان محمقاً ويكنى أبا صخر — على يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فقال : يأمير المؤمنين ، ما يعنى الشَّمَّاخُ بْنُ ضِرَارٍ بقوله : [1]

إِذَا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ   خُدودُ جَوَازِئٍ بالرَّمْلِ عِينٍ [2]

قال يَزِيدُ : وما يضر أمير المؤمنين أن لا يعرف ماعنى هذا الأعرابى الجلف ؟! واستحمقه واخرجه .

وكان عَامِرُ بْنُ كُرَيْزٍ [3] يحمق ، قال عَوَانَةُ : قال عامر لأمه : يا أمه مسست اليوم برد الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ ! [4] فقالت : ثكلتك أمك ! رجل بين عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ هَاشِمٍ وبين عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ يفرح أن تصيب يده برد رجل من بنى سهم ! ؟

ولما حُصِرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ على منبر البصرة فشق ذلك عليه قال له زِيَادٌ : أيها الأمير ، إنك إن أقمت عامة من ترى أصابه أكثر مما أصابك !

وقيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ؟ فلما صعد حُصر وقال : الحمد لله الذى يرزق هؤلاء ! وبقى ساكتاً فأنزلوه . وصعد آخر فلما استوى قائما

(١) هذا البيت من قصيدة مدح بها الشماخ بن ضرار عرابة بن اوس واولها :

كلا يومى طوالة وصل اروى   ظنون آن مطرح الظنون

وهى طويلة .

(٢) الأرطى : شجر تدبغ به الجلود . توسد : أتخذ الأبردين وهما الظل والفئ كالوسادة . الجوازئ الظباء وبقر الوحش . ومعنى ذلك انه سار إليه فى المواجر حيث تفر الوحوش من حر الشمس إلى كنسها فى جوانب الشجر

(٣) هو ابو عبد الله بن عامر امير العراق

(٤) هو أبو عمرو بن العاص

وقابل بوجهه وجوه الناس وقبمت عينه على صلعة رجل فقال : اللهم العن هذه الصلعة !

وقيل لِوَازِعِ الْيَشْكُرِيّ : قم فاصعد المنبر وتكلم ؟ فلما رأى جمع الناس قال: لولا أن امرأتى لعنها الله حملتنى على إتيان الجمعة اليوم ماجَمَّعْتُ ، وأنا أشهدكم أنها منى طالق ثلاثا ! ولذلك قال الشاعر :

وَمَا ضَرَّنِى أَنْ لاَ أَقُومَ بِخُطْبَةٍ ... وَمَارَغْبَتِى فى ذَا الَّذِى قَالَ وَازِعُ

ودخلت على أَنَسِ بْنِ أَبِى شَيْخٍ [١] وإذا رأسه على مرفقه والحجام يأخذ من شعره فقلت له : مايحملك على هذا ؟ قال: الكسل ! قلت: فان لقمان قال لابنه إياك والكسل و إياك والضجر فانك إذا كسلت لم تؤد حقاً و إذا ضجرت لم تصبر على حق! قال : ذاك والله انه لم يعرف لذة الكسولة !

وقيل لبَحْرِ بنِ الأحنفِ : ما يمنعك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل . وقال الآخر :

أَطَالَ اللهُ كَيْسَ بَنِى رَزِينٍ ... وحُمْقِى أَنْ شَرِبْتُ لهم بِدِينِى
أَأَكْتُبُ إبلَهُمْ شاء وفيها ... بِرَيْعٍ فِصالِها بِنْتَا لَبُونٍ [٢]
فما خلقوا بكَيْسِهِمُ دُهَاةً ... وَلا مُلْجَاء بعدُ فيُعْجِبونِى [٣]

وذكر آخر الكيسَ فى معاتبته لبنى أخيه حين يقول :

عَفارِيتاً عليَّ وأَكْلِ مَالِى ... وعَجْزاً عن أُناسٍ آخَرِينا ؟
فَهَلاَّ غَيْرَ عَمِّكُمُ ظَلَمْتُمْ ... إذا ما كُنتُمُ مُتَظَلِّمينا [٤] ؟
فلَوْ كُنتُمْ لِكَيِّسَةٍ أَكاسَتْ ... وكَيْسُ الأُمِّ أَكْيَسُ لِلْبَنِينا [٥]

---

(١) هو أنس بن أبي شيخ النصري . كان من ظرفاء الناس واصحاب النوادر والمضحكات منهم وكان اديبا بارعا ذا منزلة من جعفر بن يحي البرمكي ومن خاصة ندمائه .

(٢) بنتاليون : ناقتان صغيرتان

(٣) الملجاء : الاجلاء

(٤) متظلمون : ظالمون هنا

(٥) أكاست : ولدتكم كيسي عقلاء

وقال بعضهم : عيادة النَّوْكَى الجلوس فوق القدر والمجيء في غير وقت . وعاد رجل رَقَبَةَ بنَ الحُرِّ فنعى رجالا اعتلوا مثل علته فنعى بذلك إليه نفسه ، فقال له رَقَبَةُ : إذا دخلت على المرضى فلا تنع إليهم الموتى ، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا .

وسأل مُعَاوِيَةُ إبنَ الْكَوَّاءِ (١) عن أهل الكوفة فقال : أبحثُ الناس عن صغيرة وأتركهم لكبيرة ! وسئل شَرِيكٌ (٢) عن أبي حنيفة فقال : أعلم الناس بما لا يكون وأجهل الناس بما يكون . وسأل مُعاويةُ دَغْفَلاً النسابة عن اليمن فقال: سيِّدٌ وأنْوَكٌ . وذُكر عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ (٣) عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ألاحمقُ المطاع .

وجُن أعرابيٌّ من أعراب الْمِرْبَدِ ورماه الصبيان فرجم فقالوا له : أما كنت وقوراً حليما ! فقال : بلى ، بأبي أنتم وأمي والله ما استُحمقت إلا قريباً ! وكان أول جنونه من عبث الناس به ، ورمى إنساناً فشجه فتعلق به وهو لا يعرفه وضمه إلى الوالي فقال له الوالي : ولم رميت هذا وشججته ؟ قال : أنا لم أرمه ! هو دخل تحت رميتي !

وكان وكيعُ بنُ الدَّورقيةِ (٤) يحمق . قال الوليدُ بنُ هِشامٍ القحْذَميُّ أبو عبدِ الرَّحمنِ : أخبرني أبي قال : لما قدم أُميَّةُ (٥) خُراسان قيل له : لِمَ لا تدْخل

(١) هو عبد الله بن عمرو (ابن الكواء) اليشكري كان من النسابين العلماء بالاخبار والآثار وكان مع علي بن أبي طالب ومن شيعته ثم فارقه وخرج عليه فيمن خرج احتجاجا على التحكيم . ثم كان بعد ذلك من رؤس الشراة الخوارج الذين حاربهم المهلب

(٢) هو شريك بن عبد الله النخعي . كان عالما فقيها فهما ذكيا ذا فطنة وقوة حجة . تولى القضاء بالكوفة وبالاهواز ايام المهدي العباسي ثم عزله الهادي . وكان مولده ببخارى سنة ٩٥ . وتوفي بالكوفة سنة ١٧٧ هـ وفيه يقول أبو العلاء بن المنهال :

فليت ابا شريك كان حيا فيقصى حين يبصره شريك
ويدرك من بدرته علينا إذا قلنا له هذا أبوك

(٣) كان بالاصول . عتيبة بن حصين ، وهو خطأ ، والصواب ما اثبتناه

(٤) هو وكيع بن عمير القريعي السعدي ، وكانت امه من سبي دورق بلد بخوزستان . وهو الذي تولى قتل عبد الله بن خازم السلمي امير خراسان

(٥) هو أمية بن عبد الله بن اسيد ، احد من ولى خراسان

وكيعَ بنَ الدَّورقيةِ في صحابتك ؟ قال : هو أحمق ! فركب يوماً وسايره فقال له ما أعظم رأس برذونك ! قال : قد كفاك الله حمله ! ثم سايره قليلا فقال : أصلحك الله ، أرأيت يوم لقيت أبا فُديكٍ (١) ما منعك أن تكون قدمت رجلا وأخرت رجلا وداعست بالرمح حتى يفتح الله عليك ! قال : أعزب قبحك الله ! وأمر به فنُحِّي .

وساير سعيدُ بنُ سَلْمٍ موسى أمير المؤمنين ، والحربة في يد عبدالله بن مالك وكانت الريح تسفى التراب الذى تثيره دابة عبدالله بن مالك في وجه موسى وعبد الله لايشعر بذلك وموسى يحيد عن سنن التراب وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ مسير موسى فيتكلف ان يسير على محاذاته وإذا حاذاه ناله ذلك التراب ، فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سَلمٍ فقال : ألا ترى مانلقى من هذا المائق (٢) في مسير ناهذا ؟ ! قال : والله ياأمير المؤمنين ماقصر في الاجتهاد ولكنه حُرم التوفيق .

وساير البطْريقُ الذى خرج الى المعتصم من سور عمُّوريةَّ محمدَ بن عبدالملك (٣)

---

(١) هو عبد الله بن ثور بن سلمة ابو فديك الخارجي . خرج باليمن سنة ٧٢ فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي رأس الخوارج هناك . فلما استفحل امره وخيف شره سير إليه خالد بن عبد الله بن اسيد جيشا كثيفا وعلى رأسه اخوه أمية بن عبد الله فقاتله ثم هزم ابو فديك جيشه وفر امية على فرس له لايلوى على شيء حتى دخل البصرة في ثلاثة ايام . ولما رأى ذلك عبد الملك بن مروان قام وقعد ثم سير إليه جيشا من عشرة آلاف وعلى رأسه عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي فلما ورد البحرين والتقى بأبي فديك وجيوشه صمد لهم وقاتلهم قتال الابطال ، وكان ابو فديك في قوة هائلة ومنعة لاترام فجد عمر في قتاله وغاداه الحرب وراوحه وما زال به حتى قتله واستباح عسكره وقتل من اتباعه مقتلة عظيمة وكفى الدولة شرا مستطيرا ثم عاد بجنوده واسراه إلى البصرة . وذلك في سنة ٧٣ هـ

(٢) كان بالاصول : هذا الخائن . ولا معنى للخيانة ههنا ، والصواب ماأثبتناه

(٣) هو محمد بن عبدالملك الزيات الكاتب البليغ والشاعر المجيد والوزير الخطير ، وكان ابوه تاجراً في ايام المأمون غنيا موسراً ، ونشأ محمد نشأة اهل اليسار فتأدب وقرأ وفهم ، وكان ذكيا فطنا فبرع في كل شيء الم به حتى صار نادرة وقته عقلا وفهما وذكاء وبلاغة في الكتابة وفصاحة في الشعر وسعة في المعارف والآداب ، وكان ذا خبرة بآداب الرياسة وقواعد الملوك . سأله ابوه العمل معه في تجارته فأبى والتحق بالديوان وكتب للوزراء واشتهر حتى صار من كتاب الدولة العباسية وظل كذلك إلى ان ورد كتاب من بعض العمال على المعتصم يذكر فيه خصب الناحية وكثرة الكلأ فسأل المعتصم وزيره احمد بن عمار عن الكلأ فلم يدر مايقول فدعا محمد بن عبد الملك الزيات — وكان أحد خواصه واتباعه — فسأله عن الكلأ فقال : اول النبات يسمي بقلا ، فاذا طال قليلا فهو الكلأ ، فاذا يبس وجف فهو الحشيش . فصرف المعتصم احمد بن عمار واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات فنهض

والأَفْشِين بنَ كاوُس ِ فساوم كل واحد منهما بِرذونه ، وذكر أنه كان يرغبهما أو يرجهما ! فإذا كان هذا أدب البطريق مع محله من الملك والملكة فما ظنك بمن هو دونه منهم ! ؟ ولما استجلس المعتصم بطريق خَرْشَنَةَ تربّع ومدّ رجليه !

واجبات الملوك والأُمراء

قال زِيادٌ : ما قرأت مثل كتب الربيع بن زِيادٍ الحارِثيّ ، ما كتب إليّ إلا في اجترار منفعة أو دفع مضرة، وما كان في موكبي قط فتقدم عنان دابته عنان دابتي ولا مست ركبته ركبتي ولا شاورت الناس قط في أمر إلا سبقهم إلى الرأي فيه . كان على شرط زِيادٍ عبدُالله بنُ الحُصَين صاحب مقبرة بني حصين ، والجَعْدُ ابنُ قَيْسٍ النمري صاحب طاق الجعد ، وكانا يتعاقبان مجلس صاحب الشرطة ، فإذا كان يوم حمل الحربة سارا بين يديه معاً ، فجرى بينهما كلام وهما يسيران بين يديه فكان صوت الجعد أرفع وصوت عبد الله أخفض ، فقال زياد لصاحب حربته: تناول الحربة من يد الجعد ومره بالانصراف إلى منزله .

وعدا رجل من أهل العسكر بين يدي المأمون فلما انقضى كلامه قال له بعض من يسير بقربه : يقول لك أمير المؤمنين : إركب ؟ قال المأمون : لا يقال لمثل هذا إركب ؟ إنما يقال لمثل هذا : انصرف .

بأعباء الوزارة نهوضا لم يكن لمن تقدمه من أضرابه . وكان جبارا غليظ القلب فظا متكبرا أخشن الجانب مبغضا إلى الخلق . ومات المعتصم وهو على وزارته . وقد كان المعتصم أمر لابنه الواثق بمال فأشار ابن الزيات على المعتصم بأن لا يعطيه شيئا فرجع فيما كان أمر به فلما علم الواثق بما فعله ابن الزيات حقد عليه وكتب بخطه عهداً ليقتلن ابن الزيات متى ولي الخلافة شر قتلة . فلما ولي الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم قال للحاجب : أدخل على عشرة من الكتاب ؟ فلما أدخلوا عليه اختبرهم فما ارضاه واحد منهم . فقال للحاجب : أدخل من الملك محتاج إليه محمد بن الزيات ! فلما مثل بين يديه قال لخادم : احضر إلي المكتوب الفلاني ؟ فاحضر له ذلك العهد فدفعه إلى ابن الزيات وقال : اقرأه . فلما قرأه قال : يا أمير المؤمنين ، أنا عبد إن عاقبته فأنت حاكم فيه ، وإن كفرت عن يمينك واستبقيته كان أشبه بك . فقال الواثق : والله ما أبقيتك إلا خوفا من خلو الدولة من مثلك ! وسأكفر عن يميني فإني أجد عن المال عوضا ولا أجد عن مثلك عوضا . ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض الأمور إليه . وظل في وزارته إلى أن مات الواثق وولي أخوه المتوكل فقبض عليه وقتله في تنوره سنة ٢٣٣هـ .

وكان الفضلُ بنُ الرّبيع[١] يقول: مُساءلة الملوك عن أحوالهم من تحية النّوكى، فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير؟ فقل: صبح الله الأمير بالكرامة، فإذا أردت أن تقول: كيف يجد الأمير نفسه؟ فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، والمسألة توجب الجواب فان لم يجبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه.

وقال محمد بن الجهْم: دخلت على المأمون فقال لى: مازال أميرُ المؤمنين إليك مشتاقاً! فلم أرد ما جواب هذه الكلمة بعينها وأخذت لا أقصر فيما قدرت عليه من الدعاء ثم الثناء.

قال أبو الحسن: قال ابنُ جابان: قال المهدي: كان شبيبُ بنُ شيْبة يسايرني فى طريق خُراسان فيتقدمني بصدر دابته، فقال لى يوماً: ينبغى لمن ساير خليفة أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفةُ أن يسأله عن شيء لايلتفت اليه، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس، قال: فبينما نحن كذلك إذ انتهينا إلى مخاضة فأقحمت دابتي ولم يقف واتبعني فملأ ثيابي ماء وطيناً! فقلت: يا أبا مُعمر ليس هذا فى الكتاب!

رجع الى النوكى

قال الهيثمُ بنُ عَدِيّ: كنت قائماً إلى حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ[٢] وهو على بِرْذَوْنٍ

(١) هو ابو العباس الفضل بن الربيع بن يونس. كان من الأدب والسياسة والدهاء على جانب عظيم، وكان حاجبا للمهدى والهادي والرشيد. وكانوا يخصونه بالحظوة والثقة. وكان البرامكة يقصرون فى حقه. ودخل يوما على يحيى بن خالد البرمكي وبين يديه ولده جعفر وهو يوقع على الرقاع فيها حوائج الناس فعرض الفضل عليه عشر رقاع لبعض من يرعاهم فتعلل يحيى فى كل رقعة بعلة ولم يوقع فى شيء منها البتة فجمع الفضل الرقاع وقال: إرجعن خائبات خاسئات. ثم خرج وهو يقول:

متى وعسى يثنى الزمان عنانه ... بتصريف حال والزمان عثور
فتقضى لبانات وتشفى حسائف ... وتحدث من بعد الأمور امور

فسمعه يحيى فقال: عزمت عليك ياابا العباس إلا رجعت! فرجع فوقع له فى جميع الرقاع. غير ان الفضل لم يغتفرها فأوغر صدر الرشيد عليهم وكان من اسباب نكبتهم. واستوزره الرشيد بعد البرامكة. ولما مات الرشيد قام الفضل بالأمر للأمين وهو الذى أغرى الأمين بخلع المأمون من ولاية العهد وكان سببا في نكبة الأمين على ماهو معروف. وكانت وفاة الفضل بن الربيع سنة ٢٠٨ هـ

(٢) مضت ترجمته فى ص ٩١ من الجزء الأول

فتفاجّ البرذون ليبول ، فقال لى : تنح لا يُهريق عليك البرذون الماء .

وجاء رجل الى محمد بن حَرب الهلالى[١] بقوم فقال : إن هؤلاء الفساق ما زالوا فى مَسيس هذه الفاجرة ؟ قال: ما ظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغى أن يُكنى عن الفجور بهن !

وقلت لرجل من الحُساب : كيف صار البرذون المتحصن إلى البغلة أحرص منه على الرَّمكةِ والرمكةُ أشكل بطبعه ؟ قال: بلغنى أن البغلة أطيب خلوة !

وقال صديق لنا : بعث رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه مالا له عليه ، فرجع إليه مضروبا ! فقال: ما بالك ويلك ؟ قال: سبك فسببته فضربني ! قال : وبأى شىء سبنى ؟ قال: قال: هَنُ الحمار فى حرام من أرسلك ! قال : دعنى من افترائه علىّ ، أنت كيف جعلت لاير الحمار من الحرمة ما لم تجعله لحر أُمّى ؟ فهلا قلت : أير الحمار فى هن أم من أرسلك ؟!

أبو الحسن قال: كان رجل من ولد عبدِ الرَّحمن بن سَمُرَة أراد الوثوب بالشام ، فحمل إلى المهدى فخلى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه ، فقال له يوماً : أنشدنى قصيدة زُهير التى أولها « لمن الدّيار بقُنَّةِ الحجْر » وهى التى على الراء[٢]

(١) كان محمد بن حرب الهلالي أديبا بارعا حسن الحديث مفتنا صاحب رواية وخبر ، وكان على شرطة محمد بن سليمان العباسي

(٢) لهذه القصيدة قصة لطيفة يحسن إيرادها هنا وذلك أن المهدى دعا المفضل الضبي فقال له: إني رأيت زهير بن أبي سلمي افتتح قصيدته بأن قال « دع ذا وعد القول فى هرم » ولم يتقدم له قبل ذلك قول، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئا إلا أني توهمته كان يفكر فى قول يقوله أو يروى فى أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال « دع ذا » ، أو كان يفكر فى شىء من شانه فتركه وقال « دع ذا » أي دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول فى هرم ! فامسك المهدى عنه ثم دعا بحماد الراوية فساله فقال : ليس هكذا قال يا أمير المؤمنين ! قال : فكيف قال ؟ قال وأنشده :

لمن الديار بقنـة الحجر　　أقوين مذ حجج ومذ دهر
لعب الزمان بها وغيرها　　بعدى سوافى المور والقطر
قفر بمندفع النحائت من　　ضفوى ألات الضال والسدر
دع ذا وعد القول فى هرم　　خير الكهول وسيد الحضر

فقال المهدى للمفضل ما أنشده حماد فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا القول من صنعه ! فاطرق المهدى

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ مُذْ حِجَجٍ وَمُذْ دهر

فأنشده ، فقال المهدى : ذهب والله من يقول مثل هذا ! قال السَّمَرِيُّ : وذهب والله من يقال فيه مثل هذا ! ؟ فغضب المهدى واستجهله ونحاه ولم يعاقبه ، واستحمقه الناس . ولما دخل خالدُ بنُ طُلَيْقٍ (١) على المهدى مع خصومه وأنشد قول شاعرهم :

إذا القُرَشِيُّ لمْ يَضرِبْ بِعِرْقٍ خُزَاعِيٍّ فلَيْسَ مِنَ الصَّمِيمِ

فغضب المهدي وقال : أحمق ! فأنشد خالد فقال :

إذا كُنْتَ فى دَارٍ فحاوَلْتَ رِحْلَةً فَدَعْهَا وَفيهَا إنْ أَرَدْتَ مَعَادُ

فسكن عند ذلك المهدى . وقال بشار :(٢)

ثم أقبل على حماد فاستحلفه ليصدقنه فحلف . فقال له : ماحال هذه الأبيات فقال انه هو الذي قالها لازهير ؟ فامر له بمال وللمفضل باكثر منه وأمر حاجبه أن ينادى فى ملأ العلماء بقوله : يا معشر من حضر من اهل العلم إن امير المؤمنين يعلمكم انه اجازحماد بمالجودة شعره وابطل روايته لزيادته فى اشعار الناس ما ليس لهم ، واضعف جائزة المفضل لصدقه وصحة روايته ، فمن اراد ان يسمع شعرا جيدا محدثا فليسمع من حماد ، ومن اراد رواية صحيحة فلياخذها عن المفضل .

(١) كان قد ولاه المهدى قضاء البصرة . ومع ان ابن مناذر كان صديقا لآل طليق فقد قال يهجوه خبثا ومجونا :

اصبح الحاكم بالناس من آل طليق
جالسا يحكم فى الناس بحكم الجاثليق
يدع القصد ويهوى فى بنيات الطريق
يا ابا الهيثم ما كنت لهذا بخليق
لا ولا كنت لما حملت منه بمطيق
حبله حبل غرور عقده غير وثيق

(٢) كان بشار مدح المهدي فلم يثبه فغضب وقال : والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على احد ولكنه كذب املي لانى كذبت فى قولى ، ثم قال فى ذلك قصيدة اولها البيتان وبعدهما :

الدماء لا أسطيع فى قلة الثرى خزوزا ووشيا والقليل محيق
خذى من يدي ماقل إن زماننا شموس ومعروف الرجال رقيق
لقد كنت لا ارضى بأدنى معيشة ولا يشتكى بخلا على رفيق
خليلى إن المال ليس بنافع إذا لم ينل منه اخ وصديق
وكنت إذا ضاقت على محلة تيممت اخرى ما على تضيق
وما خاب بين الله والناس عامل له فى التقى او فى المحامد سوق
ولا ضاق فضل الله عن متعفف ولكن اخلاق الرجال تضيق

خَلِيلَيَّ إِنَّ الْعُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ ... وَإِنَّ يَسَارًا مِنْ غَدٍ لَخَلِيقُ
وما كُنْتُ إِلَّا كالزَّمَانِ إِذا صَحَا ... صَحَوْتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ

قالوا : ومن النوكى : أَبُو الرَّبِيعِ العامريُّ واسمه عبدُ الله ، وكان ولى بعض منابر اليمامة وفيه يقول الشاعر :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ ... وَأَنَّ الرَّبِيعَ الْعَامِرِيَّ رَقِيعُ
أَقَادَ لَنَا كَلْبًا بِكَلْبٍ وَلَمْ يَدَعْ ... دِماءَ كِلَابِ الْمُسْلِمِينَ تَضِيعُ

قال أبو الحسن : ومن النوكى : ربيعةُ بنُ عسلٍ أحد بنى عمرو بن يربوع ، وأخوه ضُبَيْعُ بن عسلٍ ، وفد ربيعةُ على معاوية فقال معاويةُ : حاجتك ؟ قال : زوجنى ابنتك ! قال : إسقوا ابن عسلٍ عسلا ! فأعاد عليه ، فأعاد عليه العسل ثلاثا ، فتركه وقد كاد تنقدّ بطنه ، قال : فاستعملنى على خُراسان ؟ قال : زيادٌ أعلم بثغوره. قال : فاستعملنى على شُرطة البصرة ! قال زيادٌ : أعرف بشُرطته . قال : فاكسنى قطيفة ؟ أو قال هب لى مائة ألف جِذْعٍ لدارى ؟ قال : وأين دارك ؟ قال : بالبصرة ! قال : كم ذرعُها ؟ قال : فرسخان فى فرسخين ! قال : فدارك فى البصرة أو البصرة فى دارك !؟ قال معاوية : فإن البصرة لا تكون هذا . وقال أبو الأحوص الرياحى :

وَلَيْسَ بِيَرْبُوعٍ إِلَى الْعَقْلِ حَاجَةٌ ... سِوَى دَنَسٍ تَسْوَدُّ مِنْهُ ثِيَابُهَا
فَكَيْفَ بَنُو كَيَ مَالِكٍ إِنْ كَفَرْتُمُ ... لَهُمْ هَذِهِ أَوْ كَيْفَ بَعْدُ خِطَابُهَا
مَشَائِمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً ... وَلَا نَاعِبٌ إِلَّا بِبَيْنٍ غُرَابُهَا

قال عوانةُ : إستعمل مُعاويةُ رجلا من كلب فذكر يوماً المجوس وعنده الناس فقال : لعن الله المجوس ، ينكحون أمهاتهم ! والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أمّى ! فبلغ ذلك معاوية فقال : قاتله الله ، أترونه لو زاده على مائة ألف فعل ! فعزله .

الهيثم عن الضحاك بن رُمل قال : بينا مُعاويةُ بنُ مَروان[1] واقف بدمشق ينتظر عبد الملك على باب طحّانٍ وحمار له يدور بالرحى فى عنقه جُلجُل إذ قال للطّحّانِ : لم جعلت فى عنق هذا الحمار هذا الُجلجل ؟ قال : ربما أدركتنى سآمة أو نعسة فإذا لم أسمع صوت الُجلجل علمتُ أنه قد قام فصحت به . قال معاوية : أفرأيت إن قام ثم قال برأسه : هكذا هكذا — وجعل يحرك رأسه يمنة ويسرة — وما يدريك أنت أنه قائم ؟ قال الطّحانُ : ومن لى بحمار بعقل مثل عقل الأمير !؟ ومعاوية بن مروان هذا هو الذى قال لأبي امرأته : ملأتنا ابنتك البارحة بالدم ! قال : إنها من نسوة يحبأن ذلك لأزواجهن [2]

وصعد يُوسُفُ بْنُ عُمَرِ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد قتل الله زيداً [3] ونصر بن سيار ! يريد نصر بن خزيمة .

وقال عَلِيُّ الأُسْوارى : عمر بن الخطاب معلق بشعرة ! قلت : وما صيره إلى ذلك ؟ قال : لما صنع بنصر بن سيار ! يريد نصر بن الحجاج بن عِلاَط [4]

وقالوا أحب الرَّشِيدُ أن ينظر إلى أبي شُعَيْبٍ القَلّالِ كيف يعمل القلال ، فأدخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج إليه من آلة العمل ، فبينا هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه فلما رآه نهض قائما فقال له الرشيد : دونك مادعيت له

(١) كان معاوية بن مروان بن الحكم ضعيفا سخيفا وكان موضع سخرية بنى امية . قال له خالد ابن يزيد : يا ابا المغيرة . ما الذى هونك على اخيك فلا يوليك ولاية ؟ قال : لو اردت لفعل ! قال : فسله ان يوليك بيت لهيا . قال : نعم ، وغدا على عبد الملك فقال له : ولنى بيت لهيا ؟ قال عبد الملك: متى عهدك بخالد ؟ قال : عشية امس ! قال : إياك أن تكلمه ودخل خالد فقال له : كيف أصبحت يا أبا المغيرة ؟ قال : قد نهانا هذا عن كلامك ! فغلب الضحك على عبد الملك فقام وتفرق الناس . وكان عبد الملك إذا نظر إليه تمثل بقول المغيرة بن حبناء :

أبوك أبي وأنت أخي ولكن تفاضلت الطبائع والظروف
وأمك حين تنسب أم صدق ولكن ابنها طبع سخيف

(٢) ومن دلائل سخفه أنه أفلت له باز فصاح : اغلقوا أبواب المدينة لئلا يخرج ! وقال له رجل : انت الشريف ابن امير المؤمنين واخو امير المؤمنين وابن عم امير المؤمنين عثمان وامك عائشة بنت معاوية ! فقال : إذن فأنا مردد فى بنى اللخناء ترداداً !

(٣) هو زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب . وكان خرج عليهم وله فى خروجه شأن عظيم

(٤) هو الذى نفاه عمر لجماله خوف الفتنة فى خبر معروف

فإنى لم آتك لتقوم إلى وإنما أتيتك لتعمل بين يدى ! قال : وأنا لم آتك ليسوء أدبى وإنما أتيتك لأزداد بك فى كثرة صوابى ! فقال له الرشيد : إنما تعرضت لى حين كسدت سوقك ! قال أبو شعيب : ياسيد الناس ، وما كساد عملى فى جلال وجهك ! ؟ فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال : والله ما رأيت أنطق منه أولا ولا أعيى منه آخراً ! ينبغى لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجن الناس .

عبد الله بن شداد [(١)] قال : أرى داعى الموت لا يقلع وأرى من مضى لا يرجع ومن بقى فاليه ينزع ، ولا تزهدن فى معروف فان الدهر ذو صروف ، فكم من راغب قد كان مرغوبا إليه ! وطالب قد كان مطلوبا إليه ، والزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان ير الهوان .

عن محمد بن على عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةٍ حَلَّ بِهَا الْبَلَاءُ: إِذَا أَكَلُوا الأَمْوَالَ دولاً وَاتَّخَذُوا الأَمَانَةَ مَغْنَمًا وَالزَّكَاةَ مَغْرَماً وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجفَا أَبَاهُ وَارْتفعتِ الأَصْوَاتُ فِى المَسَاجدِ وأُكرم الرَّجلُ مخافةَ شَرِّهِ وَكَانَ زَعِيمَ القَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ، وإذا لُبس الحرير وشُربت الخمور واتُّخذت القِيان والمعازف ولعن آخرُ هذه الأمة أوَّلَها ، فَلْيَرْتَقِبُوا بَعْدَ ذلك ثلاث خصال : رِيحًا حَمْرَاءَ وَمَسْخًا وَخَسْفًا »

الهيثم قال : أخبرنا الكلبى قال : كانت قريش تعد أهل الجزالة فى الرأى : العَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَا سُفْيَانَ ، وابنيهما ، [(٢)] وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَف [(٣)] قال : وقال ابن عباس : لم يكن فى العرب أمرد ولا أشيب أشد عقلا من السائب بن

(١) هو عبد الله بن شداد بن اسامة . كان من افاضل المحدثين واهل الفقه والورع ، وكان جده اسامة يلقب بالهادى لانه كان يوقد النار ليلا لمن يسلك الطريق ، وعبد الله ابن خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس . وراجع ص ٩٢ من هذا الجزء

(٢) وابنيهما : يريد عبد الله بن عباس ومعاوية بن ابي سفيان

(٣) كان من عظماء قريش وله مع النبى وقائع فى صفوف المشركين

الأقرع . قال : حدثني الشعبي أن السائب شهد فتح مِهْرِجَانَقَذَقْ ودخل (١) منزل الهُرْمُزَانِ وفي داره ألف بيت فطاف فيه فاذا ظبي من جص في بيت منها مادٌّ يده فقال : أقسم بالله أنه يشير إلى شيء ! إنظروا ؟ فنظروا فاستخرجوا سَفَطَ كنز الهُرْمُزَانِ فاذا فيه ياقوت وزبرجد ، فكتب فيه السائب إلى عمر ، وأخذ منه فصا أخضر وكتب إلى عمر : إن رآى أمير المؤمنين أن يهبه لي فليفعل ؟ فلما عرض على الهرمزان قال : فأين الفص الصغير ؟ قال عمر : سألنيه صاحبنا فوهبته له ! فقال إن صاحبك بالجوهر لعالم . أخبرنا مجالد عن الشعبي قال : قال السائب : لِجَمِيلِ بْنِ بَصْرَةَ : (٢) أخبرني عن مكان من القرية لايخرب حتى اقتطع ذلك المكان؟ قال : ما بين الماء إلى دار الامارة ! قال : فاختط لثقيف في ذلك الموضع . قال الهيثم : بت عندهم ليلة فاذا ليلهم مثل النهار.

أبو الحسن قال : قال عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ لِمُعَاوِيَةَ : أما والله لو كنا على السواء بمكة لعلمت ! قال معاوية : إذاً كنت أكون معاوية ابن أبي سفيان منزلي الأبطح ، ينشق عني سيله ، وكنت أنت عبد الرحمن ابن خالد منزلك أجياد ، أعلاه مدرة وأسفله عذرة!

وقال سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو : أشبه امرأً بعض بَزِّهْ . (٣) فصار مثلا . وقال مُحْرِزُ ابْنُ عَلْقَمَةَ :

لَقَدْ وَارَى المَقَابِرُ مِنْ شَرِيكٍ كَثِيرَ تَحَلُّمٍ وَقَلِيلَ عَابِ
صَمُوتاً في المَجَالِسِ غيرَ عَيٍّ جَدِيراً حِينَ يَنْطِقُ بالصَّوابِ

(١) قال ياقوت : هي كورة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال

(٢) كان بالأصول : جيل بن بصهرى اوبصهرى ، وهوخطا ، والصواب ماأثبتناه ، وهوابوبصرة جميل بن بصرة الغفاري من صحابة رسول الله.

(٣) البز: يريد به الثياب او ما يلبس

وقال ابنُ الرِّقَاعِ :(١)

أُمَمٌ تَدَاخَلَتِ الْحُتُوفُ عَلَيْهِمُ ... أَبْوَابَهُمْ فَكَشَفْنَ كُلَّ غِطَاءِ
فَإِذَا الَّذِى فِى حِصْنِهِ مُتَحَرِّزٌ ... مِنْهُمْ كَآخَرَ مُصْحِرٍ بِفَضَاءِ
وَالْمَرْءُ يُورِثُ مَجْدَهُ أَبْنَاءَهُ ... وَيَمُوتُ آخَرُ وَهْوَ فِى الأَحْيَاءِ
وَالْقَوْمُ أَشْبَاهٌ وَبَيْنَ حُلُومِهِمْ ... بَوْنٌ كَذَاكَ تَفَاضُلُ الأَشْيَاءِ

وقال بعضهم :

بَيْضَاءُ نَاصِعَةُ الْبَيَاضِ كَأَنَّهَا ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ نِصْفَ لَيْلٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ ... إِنَّ الْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ
وَتَرَى مَآقِيهَا تَقَلَّبُ مُقْلَةً ... حَوْرَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الإِثْمِدِ(٢)

---

(١) هو عدى بن الرقاع العاملى ، كان شاعرا مقدما مطبوعا من حاضرة الشعراء كان منزله دمشق وكان خاصا بالوليد بن عبد الملك اثيرا عنده كثير المدح له ، وكان له بنت شاعرة تسمى « سلمى » جاءه ناس من الشعراء ليباتوه وكان غائبا فخرجت إليهم بنته سلمى وهى صغيرة فنظرت إليهم ثم قالت :

تجمعتم من كل اوب وبلدة ... على واحد لازلتم قرن واحد

فافحمتهم وتفرقوا ، وجرت بين جرير وعدي مهاترة فى مجلس الوليد فكف الوليد جريرا عن هجوه فلم يهجه ، وكان عدي يطعن على شعر كثير ويقول هذا شعر حجازى مقرور إذا اصابه قر الشام جمد وهلك ! وبلغ ذلك كثيرا فلما حضر عند الوليد وعدي ينشده قصيدته التى اولها :

عرف الديار توهما فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى ابلادها

فلما قال : وقصيدة قد بت اجمع بينها ... حتى اقوم ميلها وسنادها

قال له كثير : لو كنت مطبوعا او فصيحا او عالما لم تات فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى ان تقومها فلما قال :

نظر المثقف فى كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدها

قال له كثير : لاجرم إن الايام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ، ولان تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف اجود لها ! فلما قال :

وعلمت حتى ما اسائل واحداً ... عن علم واحدة لكى ازدادها

قال كثير : كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك امير المؤمنين بان يسالك عن صغار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط احمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك ! فضحك الوليد ومن فى مجلسه ولم ينطق عدي بشيء . وليس هذا مما يحط من قدر عدي ولا مما يحجب فضله واجادته في شعره . وسنذكر قصيدته هذه برمتها فى مقام آخر لجودتها وندرتها

(٢) الاثمد : حجر اسود براق يكتحل بمسحوقه

وقال الآخر:

خَوْدٌ إذَا كَثُرَ الحَدِيثُ تَعَوَّذَتْ ... بِحِمَى الحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ (١)

وقال:

لِسَانُكَ خَيْرٌ وَحْدَهُ مِنْ قَبِيلَةٍ ... وَمَا عُدَّ بَعْدُ فِي الفَتَى أَنْتَ فَاعِلُهْ

سِوَى طَبَعِ الأَخْلَاقِ وَالفُحْشِ وَالخَنَا ... أَبَتْ ذَا كُمُ أَخْلَاقُهُ وَشَمَائِلُهْ (٢)

وقال الآخر:

عَلَى امْرِئٍ هَدَّ عَرْشَ الحَيِّ مَصْرَعُهُ ... كَأَنَّهُ مِنْ ذَوِي الأَحْلَامِ مِنْ عَادِ

وقال النابغة: (٣)

أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَامٌ مُطَهَّرَةٌ ... مِنَ المَعَقَّةِ وَالآفَاتِ وَالإِثَمِ (٤)

وقالت الخنساء: (٥)

خَطَّابُ مُعْضِلَةٍ فَرَّاجُ مَظْلِمَةٍ ... إِنْ جَاءَ مُفْظِعَةً هَيَّا لَهَا بَابَا

---

(١) الخود . الشابة الناعمة الحسنة الخلق . تقصد : تقلل

(٢) طبع الأخلاق : شينها وعيبها .

(٣) هو النابغة الذبيانى واسمه زياد بن معاوية . كان من اشراف شعراء الجاهلية وا كابرهم وكان في الطبقة الأولى منهم وله مع النعمان بن المنذر الملك خطوب واحداث . مات سنة ٦٠٤ م . وهذا البيت من قطعة يمدح بها ملوك غسان حين رجع من عندهم قال :

لايبعد الله جيرانا تركتهم ... مثل المصابيح تجلو ليلة الظلم

لايبرمون إذا ما الأفق جلله ... برد الشتاء من الامحال كالأدم

هم الملوك وابناء الملوك لهم ... فضل على الناس فى اللأواء والنعم

احلام عاد واجساد مطهرة ... من المعقة والآفات والاثم

(٤) احلام عاد : الحلم والعقل سواء . وقد كان فى عاد حلماء مشهورون وبهم يضرب المثل . والمعقة : سوء الخلق او فساد المعدة . يعنى لهم أحلام كاحلام عاد وجسومهم مطهرة من الآفات وهي الأمراض الخبيثة . ولا يأتون الآثام .

(٥) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية . كانت اشعر شواعر العرب . وقد استنفدت اشعارها فى رثاء أخويها معاوية وصخر . قدمت مع قومها على النبى فاسلمت معهم . وكان النبى يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول : هيه ياخناس ؟ وكان بشار يقول : لم تقل امرأة شعرا قط إلا تبين الضعف فيه . فقيل له : أوكذلك الخنساء ؟ فقال : تلك كان لها اربع خصى ! يعنى أنها تعد فى شعرها من فحول

وعد الأَصْمَعِيُّ خصال مَعَدٍّ فقال :

كانُوا أَدِيماً مَاعِزاً شَانُهُ أَخْلَصَ فِيهِ القَرَظَ الآهِبُ (١)
أَوْ مُرْقِىءُ عِرْقَ دَمٍ مُفْرَجٍ أَوْ سَائِلٌ فِى لَزْبَةٍ زَاعِبُ (٢)
أَوْ ذِمَّةٌ يُوفِى بِهَا عَاقِدٌ أَوْ عُقْدَةٌ يُحْكِمُهَا آرِبُ (٣)
أَوْ حَائِطٌ مِنْ غَيْرِ لا نِعْمَةٍ أَوْ رَحِمٌ مَتَّ بِها جَانِبُ (٤)
أَوْ خُطْبَةٌ بَزْلَاءُ مَفْصُولَةٌ يَرْضَى بِهَا الشَّاهِدُ وَالْغَائِبُ (٥)

وقال [يَحْيَى] بْنُ نَوْفَلٍ يهجو [خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ] (٦)

الرجال الشعراء او هى تعد كفحلين منهم . وكانت خطية مبينة ، حضرت حرب القادسية ومعها بنوها اربعة رجال فقالت لهم من اول الليل : يابنى إنكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذى لاإله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة ، ماخنت اباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم وقد تعلمون ماأعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، فاذا اصبحتم فاغدوا إلى قتال عدوكم مستنصرين بالله ربكم ، فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ، فغدوا للقتال فقتلوا عن آخرهم . فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى سبيله . وكان عمر يعطيها ارزاق اولادها الاربعة مابقى

(١) الاديم الماعز : الجلد الصلب دبغ اولم يدبغ . القرظ : ورق السلم وثمر السنط تدبغ به الجلود . الآهب : هو دابغ الاهب وهى الجلود

(٢) مرقىء الدم : حاقنه . المفرج : المقتول في الفلاة لم يعرف قاتله . اللزبة السنة الشديدة . الزاعب : السيل المنحدر

(٣) الآرب : العاقل المحكم

(٤) الجانب : الغريب

(٥) خطبة بزلاء : فاصلة بين الحق والباطل

(٦) راجع ص ١١٤ من الجزء الاول . لما خرج المغيرة بن سعيد ــ وهو من اصحاب النحل وكان يدعي الامامة لنفسه ثم ادعى النبوة وتبعه طائفة يقال لها المغيرية . وكان خروجه فى عهد هشام بن عبد الملك سنة ١١٩ وكان خالد بن عبد الله على العراق فلما بلغه خروجه وكان على المنبر ــ حصر ودهش وقال أطعمونى ماء . فقال ابن نوفل يهجوه :

أخالد لا جزاك الله خيرا واير فى حرامك من امير
تمنى الفخر فى قيس وقسر كأنك من سراة بنى جرير
جرير من ذوى يمن اصيل كريم الاصل ذو خطر كبير
وامك علجة وابوك وغد وما الاذناب عدلا للصدور
وانت زعمت انك من يزيد وقد دوحقتم دحق البعور

وَأَنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الحَشَايَا ... يَصِيرُ إِلى الخَبِيثِ مِنَ المَصِيرِ
وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا ... تَعَاظَمُهَا إِذَا مَا قِيلَ طِيرِى
وَإِنْ قِيلَ احْمِلِى قَالَتْ فَإِنِّى ... مِنَ الطَّيْرِ المُرِبَّةِ بِالوُكُورِ (١)
وَكُنْتَ لَدَى المُغِيرَةِ عَنْزَ سُوءٍ ... تَبُولُ مِنَ المَخَافَةِ لِلزَّئِيرِ
لِأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ ... كَبِيرِ السِّنِّ ذِى بَصَرٍ ضَرِيرِ
تَقُولُ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعِمُونِى ... شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

وقال عَبْدُ يَغُوثَ : (٢)

أَلَا لَا تَلُومَانِى كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا ... فَمَا لَكُمَا فِى اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ المَلَامَةَ نَفْعُهَا ... قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِى أَخِى مِنْ شِمَالِيَا
فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامَاىَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
أَبَا كَرِبٍ وَالأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليَمَانِيَا
جَزَى اللّٰهُ قَوْمِى بِالكُلَابِ مَلَامَةً ... صَرِيحَهُمُ وَالآخَرِينَ المَوَالِيَا (٣)
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِى بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا (٤)

وانت كساقط . وبعده :

وكنت لدى المغيرة عبد سوء ... تبول من المخافة للزئير
وقلت لما اصابك أطعمونى ... شرابا ثم بات على السرير
لأعلاج ثمانية وشيخ ... كبير السن ليس بذى نصير

(١) المربه : المقيمة الملازمة

(٢) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى . كان سيد بنى الحارث وفارسهم وقائدهم فى يوم الكلاب الثانى وفيه اسر وقتل . وكان من الشعراء الامجاد . ولما اسره بنو تيم قال لهم : يابنى تيم اقتلونى قتلة كريمة إسقونى الخمر ودعونى انح على نفسى فسقوه الخمر وقطعوا له عرقا فجعل يشرب . الدم ينزف وهو يقول « الا لاتلومانى » .

(٣) وبعده : ولو شئت نجتنى من الخيل نهدة ... ترى خلفها الحو الجياد تواليا
ولكننى احمى ذمار ابيكم ... وكان الرماح يختطفن المحاميا

(٤) وبعده : امعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا ... فان اخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلونى تقتلوني سيدا ... وان تطلقونى تحربونى بماليا
احقا عباد الله ان لست سامعاً ... نشيد الرعاء المعزبين المتاليا

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَا قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا(١)

قال أبو عثمان: وليس في الأرض أعجب من طَرَفَة بنِ العبدِ وعبدِ يغوثَ، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية.

أبو عُبَيْدَةَ قال: حدثني أبو عَبْدِ الله الفَزَارِيُّ عن مالكِ بنِ دِينارٍ قال: ما رأيت أحداً أبين من الحجّاج، إن كان ليَرْقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم إليه، حتى أقول في نفسي: إني لأحسبه صادقاً وإني لأظنهم ظالمين له!

قال: وكانت العرب تخطب على رواحلها، وكذلك روى النبي صلى الله عليه وسلم عن قُسِّ بنِ ساعدةَ. قال: أخبرني عبدُ الرحمن بنُ مَهْدِيٍّ عن مالكِ ابنِ أَنَسٍ قال: الوقوفُ على ظهور الدواب بعرفة سُنة، والقيامُ على الأقدام رُخصة، وجاء في الأثر: لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس.

ووقف الهيثمُ بنُ مطهرٍ الفأفاء على ظهر دابته على باب الخَيْزُران (٢) ينتظر

(١) وبعده: وظل نساء الحي حولي ركدا ... يراودن مني ما تريد نسائيا
وقد علمت عرسي مليكة انني ... انا الليث معديا عليه وعاديا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل الـ ... ـمطي وامضي حيث لاحي ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتي ... واصدع بين القينتين ردائيا
وكنت إذا ما الخيل شمسها القنا ... لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية سوم الجراد وزعتها ... بكفي وقد انحوا إلى العواليا
كأني لم اركب جوادا ولم اقل ... لخيلي كري نفسي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروي ولم اقل ... لايسار صدق اعظموا ضوء ناريا

(٢) هي الخيزران جارية المهدي وأم الهادي والرشيد. وكانت ذات نفوذ في الدولة وقيام بقضاء حوائج الناس عند المهدي والهادي، وكانت مقصودة الجناب. وكانت المواكب تغدو إلى بابها وتروح. فلما رأى الهادي ذلك ورأى كثرة طلباتها للناس وتدخلها في الشؤون الممكنة وغير الممكنة غضب وقال لها في محاورة: والله وإلا فأنا نفي من قرابتي من رسول الله لئن بلغني أنه وقف ببابك احد من قوادي او احد من خاصتي أو خدمي لأضربن عنقه ولأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم ذلك! ماهذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم اما لك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك او بيت يصونك إياك ثم إياك مافتحت بابك لمسلم أو ذمي. فانصرفت ولم تنطق عنده بعدها بحلوة ولا مرة

بعض من يخرج من عندها ، فلما طال وقوفه بعث اليه عُمَرُ الْكَلْوَاذِيّ فقال : إنزل عن ظهر دابتك ! فلم يرد عليه شيئاً ، فكرر الرسول إليه فقال : إني رجل أعرج و إن خرج صاحبي من عند الخَيْزُران فى موكبه خفت أن لا أدركه ! فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك ! فبعث إليه قال: هو حبيس فى سبيل الله إن أنزلتنى عنه أن أقْضَمْتُهُ شهراً ! فانظر أيهما خير له أراحة ساعة أو جوع شهر !؟ قالوا له : هذا الهيثم بن مطهر ! قال: هذا شيطان .

وقال أبو عَلْقَمة النَّحْوِى : يا آسى ، إنى رجعت إلى المنزل وأنا سَنِقٌ لَقِسٌ فأتيت لِشَنْشِنَةَ من لَوِيَّةٍ ولَكِيكٍ وقطيع أقْرَنٍ قد غدَرْنَ هناك من سَمْنٍ ورُقاق سرشصان وسقيط عُطعُطٍ ، ثم تناولت عليها كأساً ![1] فقال له الطبيب : خذ خرفقا وسفلقا وجرفقا ! فقال : ويلك ، أيّ شيء هذا !؟ قال : وأى شيء ماقلت .. !؟

وقال الزِّبرقانُ أحبُّ صبياننا إلينا العريض الوَرِكِ السَّبِطِ الغُرَّة الطَّويل الغُرْلَةِ الأبله العقُول ، وأبغض صبياننا إلينا الأُقيعِسُ الذكر الذى كأنما ينظر من جُحر ، و إذا سأله القوم عن أبيه هرّ فى وجوههم !

قال الهيثم ، قال الأشعث : إذا كان الغلامُ سائلَ الغُرَّة طويلَ الغُرْلة مُلْتاثَ الأَزْرَةِ كأن به أُ نّة ، فما يُشك فى سُؤْدُده !

قال أبو الْمِخَشّ : كان المخشُّ أشدقَ خُرْطُمانيا سائلا لُعابه كأنما ينظر من قَلْتَيْن وكأن ترقُوَته بُوان أو خالفة وكأن كاهله كِرْكِرَةُ جمل ، فقأ الله عينىّ هاتين إن كنتُ رأيت بعده ولا قبله مثله ![2]

---

(١) يا آسى: ياطبيب . سنق : بشم متخم . لقس لقست نفسه : غثت وخبثت من البشم والتخمة. والشنشنة : القطعة من اللحم . واللوية : مايدخره الرجل لنفسه اولضيفه . واللكيك : اللحم المقصول عن العظام . وقطيع اقرن : وقطعة من لحم خروف ذى قرون . غدرن : شربن . وسقيط عطعط : ولد الخروف

(٢) ورواية المبرد عن الاصمعى : قيل لابى المخش ، اما كان لك ابن ؟ فقال : المخش وما كان المخش ؟ كان والله اشدق خرطمانيا إذا تكلم سال لعابه ، كأنما ينظر من قلتين وكأن ترقوته بوان أو خالفة وكأن

وكان زيادٌ حَول المنبر وبيوت الأموال والدواوين إلى الأزد وصلى بهم وخطب فى مسجد حُدَّان فقال عمرو بنُ الفرندَس :

فأصبحَ فى الحُدَّانِ يخطبُ آمِناً ... وِللأزدِ عِزٌّ لا يزالُ تِلادُ(١)

وقال الأعرج :

وَالقائِلِينَ فلا يُعابُ خَطِيبُهُمْ ... يَوْمَ المُقامَةِ بالكلامِ الفاصِلِ

وقال ابنُ مُفرِّغ :

وَمَتى تقُمْ يومَ اجتِماعِ عَشِيرَةٍ ... خُطباؤُنا بينَ العَشِيرَةِ تفصِل

وقال :

فيارُبَّ خَصْمٍ قد كُفيتُ دِفاعَهُ ... وَقوَّمتُ مِنهُ دَرْأَهُ فتنكَّبا

وقال آخر :

وَحامِلِ ضَبٍّ ضِغْنٍ لمْ يَضِرْنِى ... بَعِيدٍ قلبُهُ حُلْوِ اللِّسانِ

وَلوْ أنِّى أشاءُ نقَمْتُ مِنهُ ... بِشَغْبٍ مِنْ لِسانٍ تيَّحانِ

وقال :

عَهِدْتُ بِهِ هِنْداً وَهِنْدٌ غَرِيرَةٌ ... عَنِ الفُحْشِ بَلْهاءُ العِشاءِ نَؤُومُ(٢)

رَداحُ الضُّحَى مَيَّالَةٌ بَخْتَرِيَّةٌ ... لها مَنْطِقٌ يُصْبِى الحليمَ رَخِيمُ

وقال آخر :

وَخَصْمٍ يرْكَبُ العَوْصاءَ طاطٍ ... عَلَى المُثْلَى قُصاراهُ القِراعُ(٣)

مشاش منكبيه كركرة جمل ، ففقأ الله عينى هاتين إن كنت رايت بهما احسن منه قبله ولابعده . ورواية القالى عن العباس بن محمد : قلنا لابى المخش النطفاني : اما كان لك ولد ؟ فقال : بلى والله ، مخش ، وما كان مخش ! كان خرطمانيا اشدق إذا تكلم سال لعابه كانما ينظر بمثل الفلسين — يعنى ان عينيه كانتا خضراوين — كأن مشاشة منكبيه كركرة جمل وكان ترقوته بوان أو خالفة ، ففقأ الله عينى هاتين إن كنت رايت مثله قبله ولا بعده . قلت : لا كان المخش ولا كان أبوه ! وراجع ص ١١٢ من الجزء الاول

(١) بنو حدان بطن من تميم .

(٢) كان بالاصول : عزيزة . والصواب ماأثبتناه .

(٣) طاط : شديد الخصومة

وَمَلْمُومِ جَوَانِبُهَا رَدَاحٍ ... تُزَجَّى بالرِّمَاحِ لها شُعَاعُ (١)

وقال مُحَلِّمُ بن فراسٍ يرثى منصوراً وهمّاماً ابنى المِسجاح :

كَمْ فِيهِمُ لَوْ تَمَتَّعْنَا حَيَاتَهُمُ ... مِنْ فَارِسٍ يَوْمَ رَوْعِ الْحَيِّ مِقْدَامِ (٢)

وَمِنْ فَتًى يَملأُ الشِّيزَى مُكَلَّلَةً ... شَحْمَ السَّدِيفِ نَدِيِّ الْحَدِّ مِطْعَامِ (٣)

وَمِنْ خَطِيبٍ غَدَاةَ الْحَفْلِ مُرْتَجِلٍ ... ثَبْتِ الْمَقَامِ أَرِيبٍ غَيْرِ مِقْحَامِ (٤)

وقال خالدٌ لِلقَعْقَاعِ : (٥) أنافرك على أينا أطعن بالرماح وأطعم للسّحاح وأنزل بالبراح ! قال : لا بل على أينا أفضل أبًا وجدًّا وعمًّا وقديمًا وحديثًا ! قال خالد : أعطيتَ يوما من سأل وأطعمت حولا من أكل وطعنت فارساً طعنة شككتَ فخذيه بجنب الفرس ! ؟ قال القعقاع ، وأخرج نعلين فقال : ربَع أبي عليهما أربعين مرباعا (٦) لم تشكل فيهن تميميةٌ ولدا !

كان مالكُ بنُ الأخطل التغلبي — وبه كان يكنى — أتى العراق فسمع شعر جرير والفرزدق ، فلما قدم على أبيه سأله عن شعرهما فقال : وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر ! فقال الأخطل : الذى يغرف من بحر أشعرهما . وقال بعضهم :

وَمَا خَيْرُ مَنْ لَا يَنْفَعُ الأَهْلَ عَيْشُهُ ... وَإِنْ مَاتَ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهْ

---

(١) يريد بالململومة : الدرع

(٢) روح الحى : عودته من الغزو

(٣) الشيزي : خشب أسود من نوع الآبنوس تتخذ منه القصاع يوضع فيها الطعام . وشحم السريف : شحم السنام

(٤) يوم الحفل : يوم يجتمع القوم للكلام فى اخطر شؤونهم . اريب : عاقل محكم . غير مقحام : متريث فى أموره

(٥) خالد : هو خالد بن مالك النهشلى ، والقعقاع : هو القعقاع بن معبد التميمى ، وكان عظيم القدر فى بنى تميم . قال ابن دريد فى الاشتقاق : اخذ القعقاع المرباع ونافر خالد بن مالك النهشلى إلى ربيعة ابن حذار الأسدى فنفر القعقاع ، وأدرك القعقاع الاسلام ووفد إلى النبى ، وله فى وفادته هذه حديث يروى عن عبد الله بن المبارك .

(٦) المرباع : هو ربع الغنيمة وهذا دليل السيادة والزعامة فى الجاهلية.

كَهَامٌ عَلَى الأقصَى كَلِيلٌ لِسَانُهُ ... وَفِي بَشَرِ الأَدْنَى حِدَادٌ مَخَالِبُه[١]

وقال العُمانيُّ :

إِذَا مَشَى لِكُلِّ قِرْنٍ مُقْرِنِ ... ثُمَّ مَشَى القِرْنُ لَهُ كالأَرْعَنِ[٢]

بِصَارِمٍ يَفْرِي صَفِيحَ الجَوْشَنِ ... مُقَرْطَنٌ ذَافَ إِلَى مُقَرْطَنِ[٣]

يُفضِي إِلَى أُمِّ الفِرَاخِ المُكْمِنِ ... حَيْثُ تَقُولُ الهَامَةُ اسْقِنِي اسْقِنِي

كَمْ لِأَبِي مُحَمَّدٍ مِنْ مَوْطِنِ

وقال العُمانيُّ :

وَمِقْوَلٌ نِعْمَ لِزَازُ الخَصْمِ ... أَلَدُّ يَشْتَقُّ لِأَهْلِ العِلْمِ[٤]

بِبَاطِلٍ يَدْحَضُ حَقَّ الخَصْمِ ... حَتَّى يَصِيرُوا كَسَحَابِ البُكْمِ[٥]

وقال عُبيد فى حديث على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه حين رأى فلاناً يخطب فقال : هذا الخطيب الشَّحْشَحُ . قال : هو الماهر الماضى . قال الطِّرِمَّاحُ :

كَأَنَّ المَطَايَا لَيْلَةَ الخِمْسِ عُلِّقَتْ ... بِوَثَّابَةٍ تَنْضُو الرَّوَاسِمَ شَحْشَحِ

وقال ذُو الرُّمَّةِ :

لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى إِذَا امْتَدَّتِ الضُّحَى ... وَحَثَّ القَطِينَ الشَّحْشَحَانُ المُكَلَّفُ

يعنى الحادى .

وكان أسدُ بنُ كُرْزٍ[٦] يقال له : خطيب الشيطان ! فلما استُعمل ابنه على

---

(١) كهام : مثلم

(٢) الأرعن : الجبل

(٣) الجوشن : الدرع

(٤) المقول : اللسان المبين الداحض . لزاز الخصم : مضيق على الخصم المسالك آخذ عليه المسارب . ألد : شديد الخصومة قوي اللدد : يشتق : يأتي بالحجج ويولد الأدلة والبراهين لأهل العلم

(٥) بباطل : يعنى انه لقوة لسنه وشدة عارضته يدحض حق الخصم بالحق أو بالباطل . سحاب البكم : التى لا ماء فيها . شبههم وهم فى حالة الانبهار وعدم القدرة على الكلام بالسحاب الذى لايبض بقطرة

(٦) هو أسد بن كرز بن عامر القسرى البجلى من ذرية شق بن صعب الكاهن المشهور ، وهو جد خالد

العراق قيل له : خطيب الله . فجرت إلى اليوم . قال أبُو المُثَلَّمِ الهُذَلِىُّ :

أَصَخْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا ... فَإِنَّكَ لَا تُهْدِى القَرِيضَ لِمُفْحَمِ

وقال بَلْعاءُ بنُ قَيْسٍ :

أَبَيْتُ لِنَفْسِي الخَسفَ لَمَّا رَضَوْا بِهِ ... وَوَلَّيْتُهُمْ سَمْعِي وَمَا كَانَ مُفْحَمَا

وقال عبدُ اللهِ بنُ مُصْعَبٍ : وقف مُعاويةُ على امرأة من بنى كِنانةَ فقال لها : هل من قِرًى ؟ قالت : نعم ، قال : وما قِراكِ ؟ قالت: عندى خبز خمير ولبن فطير وماء نمير . وقال أُحَيْحَةُ :(١)

وَالصَّمْتُ أَكْرَمُ بالفَتَى ... مَا لَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهُ

وَالقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذا ... مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهُ

وقال أبو ثُمامَةَ الضَّبِّيُّ :(٢)

ابن عبد الله القسرى . وكان يقال لكرز فى الجاهلية « كرز الاعنة » وهم بيت السيادة والشرف فى بجيلة . وكان أسد بن كرز يدعى فى الجاهلية « رب بجيلة » وكان ممن حارم الخمر فى جاهليته تنزها عنها . وكان أسد شاعراً فاتكا مغوارا . إعتدى قوم من سحمة فى الجاهلية علي جارله فأوقع بهم ثم انشأ يقول :

ألا أبلغا أبناء سحمة كلها ... فتى خثعم عنى وذل لخثعم

فما أنتم منى ولا انا منكم ... فراش حريق المرفج المتضرم

فلست كمن تذرى المقالة عرضه ... دنياً كعود الدوحة المترنم

وما جار يبقى بالذليل فترتجى ... ظلامته يوما ولا المتهضم

وأقزل آبائى وقسر عمارتي ... هما ردءاى عزتي وتكرمى

وأحمس يوما إن دعوت اجابنى ... عرانين منهم أهل ايد وانعم

فمن جار مولى بدفع الضيم جاره ... مع الشمس ما إن يستطاع بسلم

وكيف يخاف الضيم من كان جاره ... إذا ضاع جارى يا اميمة او دمى

وأدرك اسد بن كرز الاسلام هو وابنه يزيد بن اسد فأسلما واهدى أسد يوم اسلم إلى النبي قوسا، وفي رواية ابى عبيدة ان عبد الله بن يزيد بن أسد وهو ابو خالد بن عبد الله القسرى هو الذى كان يلقب « خطيب الشيطان » وهذا يوافق ما يقوله الجاحظ من انه لما استعمل ابنه على العراق قيل له « خطيب الله » ويصحح روايته

(١) راجع ص ١٨ من الجزء الاول

(٢) هو ابو ثمامة البراء بن عازب الضبي : كان من فرسان بنى ضبة وشجعانهم المغاوير ، وكان شاعرا مقلا مجيدا من شعراء الجاهلية

وَمِنَّا حُصِينٌ كانَ فى كلِّ خُطْبَةٍ ... يَقُولُ أَلاَ مِنْ نَاطِقٍ مُتَكَلِّمِ

وقال عُبيدُ بنُ أُمَيَّةَ الضبيُّ ، واستبَّ هو والحارثُ بْنُ شَيْبَةَ المُجَاشِعِيُّ عند النعْمانِ ، فقال :

نُرَى بُيُوتٌ وتُرَى رِمَاحُ ... وَنَعَمٌ مُزَنَّمٌ سِجَاحُ(١)

ومَنْطِقٌ لَيْسَ لهُ نجَاحُ ... يَاقصَبًا طَارَ بِهِ الرِّيَاحُ(٢)

وَأَذْرُعًا لَيْسَتْ لها أَلْوَاحُ(٣)

وقال قيْسُ بْنُ الخطيمِ :

وبَعْضُ القَوْلِ لَيْسَ لهُ حَصَاةٌ ... كمَخْضِ المَرْءِ لَيْسَ لهُ إِتَاءُ

وهذا شبيهٌ بقوله :

كُسَالَى إِذَا لاقَيْتَهُمْ غيْرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ المَتْبولُ وهْوَ عَنَاءُ(٤)

وقال أبو ثُمَامةَ : (٥)

أُخَاصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِمًا ... وَأَجْثو إِذَا مَاجَثَوْا لِلرُّكَبْ

إِذَا مَنْطِقٌ قَالَهُ صَاحِبِى ... تعقَّبْتُ آخَرَ ذَا مُعْتَقَبْ

---

(١) النعم : الابل . والمزنم : الذى قطع شىء من اذنه ، وكان من عادة العرب أن تعرض لكرام إبلها فتقطع من أذن كل بعير قطعة ولا تفصلها وتتركها معلقة . والسجاح : السمان

(٢) ياقصبا : يريد باخفاف الأحلام ، وشبههم بالقصب لأنه اجوف قد تحمله الريح

(٣) ليس لها ألواح : يريد أنها غير ثابتة فى المناكب

(٤) ويروى : يلهى به المحروب

(٥) هو أبو ثمامة البراء بن عازب الضبى . وسبب هذه الأبيات أنه كان مقيما على مياه ضبة وهم منتجعون فجاء قوم يريدون التغلب عليها فطردهم أبو ثمامة ومن معه من قومه فقال :

رددت لضبة أمواهها ... وكادت بلادهم تستلب
بحكر المطى وإتباعه ... وبالكور أركبه والقتب
أخاصمهم مرة قائما ... وأجثوا إذا ما جثوا للركب
وإن منطق زل عن صاحبى ... تعقبت آخر ذا معتقب
أفر من الشر فى رخوة ... فكيف الفرار إذا ما اقترب

وقال الشَّمَّاخُ :(١)

وَمَرْتَبةٍ لا يُسْتَطاعُ بها الرَّدَى ... تَرَكْتُ بها الشَّكَّ الَّذِي هُوَ عَاجِزُ

ويُرْوَى ... تَلاَفَى بهَا حِلْمِي عَنِ الجَهْلِ حَاجِزُ

باب من الكلام المحذوف

ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأول

عن الحسن يرفعه ، أن المهاجرين قالوا : يارسول الله ، إن الأنصار فَضَلُونَا بأنهم آوَوْا ونصروا وفعلوا وفعلوا ! قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتعرِفون ذاكَ لهُمْ » ؟ قالوا : نعم ، قال : « فإنَّ ذاكْ »

ليس فى الحديث غير هذا ، يريد : إن ذاك شكر ومكافأة

قال : وكلم رجل من قيسٍ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ رحمه الله تعالى فى حاجة ، وجعل يمتّ بقرابة ، فقال عمرُ : وإنَّ ذاك ! ثم ذكر حاجته فقال : لعلَّ ذاك ! لم يزده على أن قال : فإن ذاك ولعل ذاك . فان ذاك كما قلت، ولعل حاجتك أن تُقضى . وقال عُبيدُ اللهِ بنُ قيسٍ: (٢)

---

(١) هو الشماخ بن ضرار وقد مضت ترجمته فى ص ٢٤ من الجزء الاول . وهذا البيت من قصيدة له جيدة طويلة أولها :

عفا بطن قومن سلمى فعالز ... فذات الصفا فالمشرفات النواشز
فكل خليل غيرها ضم نفسه ... لوصل خليل صارم أو معارز
ومرتبة لا يستقال بها الردى ... تلافى بها حلمي عن الجهل حاجز
وعوجاء مجذام وأمر صريمة ... تركت بها الشك الذي هو عاجز
كأن قتودى فوق جأب مطرد ... من الحقب لاحته الجداد الغوارز
طوى ظمئها فى بيضة الصيف بعدما ... جرى فى عنان الشعريين الاماعز
فظلت بيمؤد كأن عيونها ... إلى الشمس هل تدنو ركى نواكز
لمن صليل ينتظرن وروده ... بضاحى غداة امره فهو ضامز
فلما رأين الورد منه صريمة ... مضين ولاقاهن خل مجاوز

(٢) كان بالاصول عبد الله . والصواب ما اثبتناه .

وهو عبيد الله بن قيس الرقيات ، كان من مفاخر شعراء قريش وهو احد شعرائهم المحسنة القدماء

بكَرَتْ عَلَيَّ عَوَاذِلى يَلْحَيْنَنى وَأَلومُهُنّهْ
وَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلاكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ[1]

وقال الأسدِيُّ[2] لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبيْرِ : لا حملتْ ناقة حملتنى إليك ! قال ابن الزبيرْ : إنَّ وَرَاكِبَها !

عن أبى هاشمٍ القاسمِ بن كثيرٍ عن قيسْ الخارجىِّ أنه سمع علياً يقول : سَبَقَ رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكرٍ وثلَّثَ عمرٌ ، وخبطتنا فتنة ، فما شاء الله ! ليس فى الحديث أكثر من هذا .

ولما كتبأبوعُبيدةَ[3] إلى عمرٍ جواب كتابعمرٍ فىأمر الطاعون فقرأ عمرُ الكتاب استرجع فقال له المسلمون : مات أبو عبيــدة ! ؟ قال : لا وكأنْ قدِ !

اقرت العرب لقريش بهم ، وهم عمر بن ابى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى والعرجي وابو دهبل الجمحى وعبيد الله بن قيس الرقيات . وكان حماد الراوية يقول : إذا اردت ان تقول الشعر فارو شعر ابن قيس الرقيات فانه ارق الناس حواشى شعر . وقال سعيد بن المسيب : ابن ابى ربيعة اشعر في الغزل ، وابن قيس أكثر افانين شعر . وكان ابنقيس زبيرى الهوي وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك وقاتل فى صفه وحرض جنده فلما قتل مصعب وعبد الله هرب فلجأ إلي عبد الله بن جعفر فأرضى عنه عبد الملك . وله مدائح فى آل الزبير ثم فى عبد الملك من اجود ما قيل

(١) إنه : يريد ان يقول : نعم علاني الشيب . وبعده :

لا بد من شيب فدعن ولا تطلن ملامكنه
ولقد عصيت الناهيات الناشرات جيوبهنه
حتى ارعويت إلى الرشاد وما ارعويت لنهيهنه

(٢) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي الاسدى ، كان من شعراء بنى اسد الفحول وكان خطيبا لسنا مفوها ، وفد على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال له : نفدت نفقتى ونقبت راحلتى ! فقال : احضرها ؟ فأحضرها ، فقال : اقبل بها ، ادبر بها ، ففعل ، فقال : ارقعها بسبت واخصفها بهلب وانجد بها يبرد خفها وسر البردين تصح . فقال ابن فضالة : إنى اتيتك مستحملا ولم آتك مستوصفا فلعن الله ناقة حملتنى إليك ! قال ابن الزبير: إن وراكبها ! فقال :

اقول لغلمتى شدوا ركابي اجاوز بطن مكة في سواد
فمالى حين اقطع ذات عرق الى ابن الكاهلية من معاد
سيبعد بيننا نص المطايا وتعليق الاداوى والمزاد
وكل معبد قد اعلمته مناسمهن طلاع النجاد
اري الحاجات عند ابي خبيب نكدن ولا امية بالبلاد
من الاعياص اومن آل حرب اغر كغرة الفرس الجواد

(٣) هوابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشى ، كان من عظماء الصحابة وأجلائهم ، وكان

وقال النابغة : (١)

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا ... لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنا وكأنْ قَدِ

وأنشد ابنُ الأعرابيِّ :

إذا قِيلَ أعمَى قُلْتُ إنَّ وَرُبَّما ... أكونُ وإنِّي مِنْ فَتًى لَبَصِيرُ

إذا أَبْصَرَ القَلْبُ المُرُوءَةَ وَالتُّقَى ... فإنَّ عَمَى العَيْنَيْنِ ليسَ يَضِيرُ

وإنَّ العَمَى أجرٌ وذُخرٌ وَعِصمَةٌ ... وَإِنِّي إلى هَذِي الثَّلَاثِ فَقِيرُ

ابنُ أبي الزِّنادِ قال : كنت كاتباً لِعُمر بن عبدِ العزيز رحمه الله تعالى ، وكان يكتب إلى عبدِ الحميدِ بن عبد الرَّحمن بن زيْد بن الخطَّاب (٢) في المظالم فيراجعه فكتب إليه : إنه ليخيل إليَّ أني لو كتبتُ إليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت إليَّ : أضأن أم ماعز ؟ وإن كتبتُ إليك بأحدهما كتبت إليَّ : أذكرٌ

النبي يقول : لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة، فلقب « أمين الأمة » وقد رشحه أبو بكر للخلافة يوم سقيفة بنى ساعدة وقال : رضيت لكم أحد صاحبي : أباعبيدة أو عمر . نزع يوم أحد نصالا من جبهة رسول الله فثرم . وكان شجاعا باسلا ومحربا بطلا وقائداً دربا وأميراً مطاعا مع عفة وزهد وتقوى وورع وتقشف . شهد كثيرا من المشاهد والمغازي والفتوح وآخر ماشهد فتوح الشام وكان أميرا على أجنادها . مات بالشام في طاعون عمواس عن ٥٨ سنة وذلك في سنة ١٨ هـ

(١) هو النابغة الذبياني . وهذا البيت من قصيدة قالها في المتجردة امرأة النعمان أولها :

من آل مية رائح او مغتدى ... عجلان ذا زاد وغير مزود

أزف الترحل غير أن ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قد

زعم الغداف بأن رحلتنا غدا ... وبذاك تنعاب الغراب الأسود

لا مرحبا بغد ولا أهلا به ... إن كان تفريق الأحبة في غد

حان الرحيل ولم نودع مهددا ... والصبح والإمساء منها موعدي

في إثر غانية رمتك بسهمها ... فأصاب قلبك غير أن لم تقصد

وهي طويلة أجاد فيها الوصف وأحسن الرصف

(٢) كان عمر بن عبد العزيز ولى عبد الحميد الخطابي الكوفة وكان أعرج وجعل على شرطته سهل الأشعري وكان أعرج . فخرج الحكم بن عبدل الشاعر وكان اعرج فلقى سائلا قد تعرض للأمير وكان اعرج فقال الحكم للسائل :

الق العصا ودع التخامع والتمس ... عملا فهذى دولة العرجان

لأميرنا وأمير شرطتنا معا ... ياقومنا لكليهما رجلان

فإذا يكون أميرنا ووزيرنا ... وأنا فإن الرابع الشيطان

أو أنثى ! فإن كتبتُ إليك بأحدهما كتبت إليّ : صغيرٌ أم كبير ! فإذا أتاك كتابي في مظلمةٍ فلا تراجعني والسلام .

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه : إني لأستعين بالرجل الذي فيه ! — ليس في الحديث غير هذا ! ثم ابتدأ بالكلام فقال — : ثم أكون على قفائه إذا كان أقوى من المؤمن الضعيف ! وأراد هو قول الأسدي :(١)

سُوَيْدٌ فيه فابغونا سِوَاهُ أبَيْناهُ وَإنْ بَهَّاهُ تاجُ

ولم يقل فيه كذا وفيه كذا . وقال الراجز :

بِتْنَا بِحَسّانَ ومِعْزَاهُ تَئِطْ في سَمْنٍ حَمٍّ وَتَمْرٍ وَأَقِطْ (٢)

حتّى إذا كادَ الظلامُ يَنْكَشِطْ جاءَ بِمَذْقٍ هلْ رَأَيْتَ الذئْبَ قطْ (٣)

وقيل للمُنْتَجِع بن نَبْهانَ — أو لأبي مَهْدِيَّةَ (٤) — : ما النَّضْنَاضُ ؟ فأخرج طرف لسانه وحركه ! وقيل له : ما الدَّلَنْظَى ؟ فزحَرَ وتقاعَسَ وفرج ما بين مَنْكِبَيْهِ .

ومن الكلام كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وإلى قصد صاحبه ، كقول الله تبارك وتعالى : « وترَى الناسَ سُكارَى وما هم بِسُكارَى » وقال : « لا يَمُوتُ فيها ولا يَحْيَا » وقال : « وَيأْتِيهِ المَوْتُ من كلِّ مَكانٍ وما هُوَ بِمَيِّتٍ » وسئل المفسر عن قوله : « لَهُمْ رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا » فقال : ليس

(١) لعله عبد الله بن الزبير الاسدى ، وسويد الذي ذكره في البيت لعله سويد بن منجوف.اقول هذا وإن كان لعبد الله بن الزبير في سويد مديح إلا انه كان من المجانين الذين لا يبالون

(٢) حسان اسم رجل استضافه . وتئط : يسمع لامعائها اطيط من الجوع . سمن حم : كثير سائل . الاقط : الجبن يتخذ من اللبن

(٣) ينكشط : يذهب . المذق : لبن مشوب بماء . ويعني ان لونه لون الذئب في غبرته . ويروى :

بتنا بحسان ومعزاه تئط تلحس اذنيه وحينا تمتخط

مازلت أسعى بينهم وألتبط حتى اذا كاد الظلام يختلط

جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

(٤) كان المنتجع بن نبهان وابو مهدية من الاعراب الفصحاء الذين تؤخذ عنهم اللغة ويستشهد بقولهم فيها .

فيها بكرة ولا عشي! وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم « فإنْ كنتَ فى شكٍّ مِمَّا نزَّلْنَا إليكَ فاسألِ الذينَ يقرأُون الكِتابَ مِنْ قبلِكَ » قالوا: لم يشك ولم يسأل.

وقال عمرُ رضي الله تعالى عنه فى جواب كلام قد تقدم وقول قد سلف منه: مُتعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أنهى عنهما وأضرب عليهما.(١)

وهذا مثل قائل لو قال: أتضربُنا على الكلام فى الصلاة وعلى التطبيق إذا ركعنا؟ فيقول: نعم، أشد الضرب. إذا كان قد تقدم منه إعلامه إياهم بحال الناسخ والمنسوخ.

وقد سأل رجل بلالا (٢) مولى أبي بكر رضى الله تعالى عنه — وقدأقبل من الحَلْبَةِ — فقال له: مَنْ سَبَقَ؟ قال: سبق المقربون! قال: إنما أسألك عن الخيل! قال: وأنا أجيبك عن الخير. فترك بلال جواب لفظه إلى خير هو أنفع له.

وكَتَبَ أبو جعفر إلى سَلْم (٣) يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم (٤) وعقرِ نخلهم، قال: فكتب إليه سَلْمٌ: بأى ذلك نبدأ؟ بالدور أم بالنخل؟ فكتب إليه أبو جعفر: أما بعد فانى لو كتبت إليك بإفساد تمرهم لكتبت إليّ تستأذنى بأية

(١) المتعتان هما متعة النساء ومتعة الحج. فأما متعة النساء فهى ان يتزوج الرجل بأمراة لأجل معلوم فاذا انقضى الاجل جاز له تركها. واما متعة الحج فقد كان الرجل ينوى بالحج ثم يتحلل من بعض مناسكه. وقد كان ذلك جائزا فى عهد النبي فلما قام عمر بالأمر نهى عنهما. ولا يظن ظان انه اراد الافتيات على الشارع الاعظم. فان عمرا اشد ايمانا واعظم يقينا من ان ينسخ امرأ قائما او يحرم حلالا. ولكنه اجتهد فى امر رأى فيه صالح الامة ومقتضى الحال. وقد يكون امر بذلك من رسول الله ولذلك لم ينكر عليه أحد من كبار الصحابة نهيه عنهما وتشدده فى امرهما. وللفقهاء فى ذلك كلام كثير.

(٢) هو بلال بن رباح كان حبشيا ومولده بمكة أسلم وعذب من قريش ثم اشتراه أبو بكر واعتقه وشهد بدرا والمشاهد كلها وكان يؤذن لرسول الله فلما مات الرسول ترك الحجاز واقام بالشام. ومات بدمشق سنة ٢٠ وقد جاوز الستين

(٣) هو سلم بن قتيبة بن مسلم. كان من الولاة الشجعان. ولى البصرة فى أواخر عهد بنى مروان. ثم ولاه أبو جعفر المنصور. وكان سيد قومه. مات بالرى

(٤) هو ابراهيم الامام بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب. خرج فى عهد ابى جعفر فسير اليه الجيوش فخر صريعا بالمعركة سنة ١٤٥ هـ

نبدأ: بالْبَرْنِيّ أم بالشُّهْرِيزِ (١) وعزله وولى محمدَ بنَ سليمانَ (٢)

وقال [عَبْدُ اللهِ] بنُ مسعودٍ: إن طولَ الصلاة وقِصَرَ الخُطبة مِئِنَّةٌ من فقه الرجل. مِئِنَّةٌ: كقولك مَخلَقَة ومَجْدَرة ومَجرأة. قال الأصمعي: مِئِنة: علامة.

وقال عبد الله: عليكم بالعلم فإن أحدكم لايدرى متى يَختل اليه.

ولما أقدم عمر بنُ الخطاب رضى الله تعالى عنه عمرَو بنَ العاصِ من مصر قال له عمرُ: لقد سرت سير عاشق! قال عمرو: إنى والله ماتأبطتنى الإماء ولاحملتنى البغايا فى غُبَّراتِ المآلى! (٣) قال له عمرُ: والله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتك عنه! و إن الدَّجاجة لتفحص فى الرَّماد فتضع لغير الفحل، والبيضة منسوبة إلى طَرْقِها! وقام عمرُ فدخل، وقام عمرو فقال: قد أفحش أمير المؤمنين علينا.

وجاء فى الحديث: «لا يُمنعُ فضلُ الماءِ لِيُمنعَ به فَضلُ الكلأ» وقال أعرابى: أللهم لاتنزلنى ماء سُوء فأكون امرأ سُوء. وقال بَلْعاء بنُ قَيْسٍ:

وَكَمْ كانَ فى آلِ المُلَوَّحُ مِنْ فَتًى ... مُنادًى مُفدًّى حِينَ تُبلَى سَرائِرُهْ

وكَمْ كانَ فى آلِ المُلَوَّحِ مِنْ فَتًى ... يُجِيبُ خَطيباً لا يُخافُ عَوائِرُهْ.

وقال آخر:

وَمُخاصِمٍ قاوَمْتُ فى كَبَدٍ ... مِثْلِ الرِّهانِ فَصارَ لِى العُذْرُ (٤)

وقال آخر:

وَجْهٌ قَبِيحٌ وَلِسانٌ أَبْكَمُ ... وَمِشفَرٌ لايتوارَى أَضْجَمُ (٥)

ولما رأى الفرزدق دَرِسْتَ بن رِباطٍ الفُقَيْمِيَّ على المنبر وكان أسود دميما قصيراً قال:

---

(١) البرني والشهريز: نوعان من التمر، وقد يقال سهريز أيضا

(٢) هو محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس. مضت ترجمته فى ص ١٠٦ من هذا الجزء

(٣) غبرات المآلى: اثار الحيض فى الخرق البوالى

(٤) الكبد: الشدة

(٥) المشفر الاضجم: الشدق المعوج بعامة

بكَى المِنْـبَرُ الشَّرْقِيُّ إذا قامَ فَوْقَهُ   أميرٌ فُقَيْمِيٌّ قَصِيرُ الدَّوَارِجِ

وقال :

بكَى المِنبَرُ الشَّرْقِيُّ والنَّاسُ إذا رَأَوْا   عَلَيْهِ فُقَيْمِيًّا قصِيرَ القَوَائِمِ

وإنما كان يعادى بنى فُقَيْمٍ لأنهم قتلوا أباه غالباً .

قال أبو عُبَيْدَةَ : قال رجل ليونس بنِ حَبِيْبٍ : إذا أخذتم فى مذا كرة الحديث وقع علىَّ النُّعاس ! قال : فاعلم أنك حِمارٌ فى مِسْلَاخِ إنسان[١] .

ودخل عبدُ اللهِ بْنُ خازمٍ[٢] على عُبيدِ اللهِ بْنِ زِيادٍ ـ وهو يَخطِر فى مِشْيَته ـ فقال لِلْمُنْذِرِ بنِ الجارُودِ :[٣] حرَّكه ؟ فقال : يا ابن خازم ، إنك لتجر ثوبك كما تجر المرأة البَغِيُّ ذيلها ! قال : أما والله إنى مع ذلك لأنفذ بالسَّرية ، وأضرب هامة البطل المُشيح ، ولو كنت وراء هذا الحائط لوضعت أكثرك شعراً ـ وقد كان قبض عطاءه فصبه بين أيديهم ـ ثم قال : لعنك الله من دراهم ! والله ما تقومين بمؤنة خيلنا ! ؟

---

(١) المسلاخ : الجلد

(٢) ترجمنا لعبد الله بن خازم فى الصفحة ٨٨ من هذا الجزء ، وقد وقع فيها سهو واقتضاب اقتضى استدراكه وإبانته ههنا . اما السهو فهو القول بأنه مات فى عهد معاوية سنة ٥٦ه والصحيح أنه قتل فى عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ ه . وبيانه ان عبد الله بن خازم كان يلى خراسان فلما مات معاوية بن يزيد بن معاوية غلب عليها واستأثر بشؤونها واستقل بها . فلما ولى عبد الملك بعث إليه يدعوه إلى بيعته ومناه بان يجعل خراسان طعمة له ، اى يكون فيها حاكما مستقلا ، فابى عبد الله فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومناه فدعا أهل مرو إلى بيعته فاجابوه ، وبلغ ذلك ابن خازم وهو يقاتل بحير بن ورقاء الصريمى بابر شهر فخاف من وقوعه بينهما فترك بحيرا واقبل إلى مرو وتبعه بحير حتى إذا كان بقرب مرو خرج إليه وكيع بن الدورقية القريعي السعدى وعمار بن عبد العزيز الجشمي والتقيا ببحير بن ورقاء وتعاونوا على عبدالله حتى صرعوه وقعد وكيع على صدره فاحتز رأسه

(٣) هو المنذر بن الجارود العبدى . كان من رجالات الدولة الاموية وشجعانهم واجوادهم وكانت بحرية بنت المنذر زوج عبيد الله . وكان مع هذا صديقا لأبي الاسود الدؤلى تعجبه مجالسته وحديثه اهدى يوما لأبي الاسود ثيابا فقال فيه ابو الاسود :

كساك ولم تستكسه فحمدته   اخ لك يعطيك الجزيل وياصر

وإن أحق الناس إن كنت حامدا   بحمدك من أعطاك والعرض وافر

وقال عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه : خذِ الحكمة أنّى أتتكَ ، فإن الحكمة تكون فى صدر المنافق فتلجلج فى صدره حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها.

وقال عمرُو بنُ العاصِ لأهل الشام يوم صِفِّينَ : أقيموا صفوفكم مثل قص الشارب وأعيرونا جماجمكم ساعة من النهار فقد بلغ الحق مقطعه فوإنما هو ظالم أو مظلوم .

وقال عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه يومئذ : عضُّوا على النواجذ من الأضراس فانه أنبا للسيوف عن الهام .

وقال رجل : طِدْ رجلَكَ[1] إذا اعتقبتَ بالسيف والعصا وأنت مخير فى رفعها ساعة المسالمة والموادعة . ولما أقاموا ابن قُبيئة بين العقابين قال له أبوه : طِدْ رجليك الأرض وأصرّ إصرار الفرس واذكر أحاديث غد ، وإياك وذكر الله فى هذا الموضع فإنه من الفشل .

وقيل للحَجّاجِ : مَن أخطب الناس ؟ قال : صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة . يعنى الحسن .

كلام لعمر بن الخطاب

وقال الأحنف : قال عُمَرُ : تفقهوا قبل أن تسودوا . وقال عمر : إحذر من فلتات الشباب كلّ ما أورثك النَّبْزَ وأعلقك اللقب ، فإنه إن يعظم بعدها شأنُك يشتد على ذلك ندمُك .

ولما بنى عُتْبَةُ بنُ غَزْوان وأصحابه بالبصرة بناء اللَّبِنِ كتب إليهم عُمر : قد كنت أكره لكم ذلك ، فإذا فعلتم ما فعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السَّمْكَ وقاربوا بين الخشب . ولما بلغه أنهم قد اتخذوا الضِّياع وعَمَرُوا الأرضين كتب إليهم : لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمتها فيه . وقال عمر : بع الحيوان أحسن

---

(١) طد رجلك : اي ثبتها في الارض

ما يكون في عينك . وقال : فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين . وقال : أملكوا العجين فإنه أحد الرَّيْعَين . وقال : إذا اشتريت بعيراً فاجعله ضخما فان أخطأك خُبرٌ لم يُخطئك سوق . وقال عمر: العمائم تيجانُ العرب . وقال: نعم المستَنَد الاحتباء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النَّاسُ كالإبلِ تَرَى المِائةَ لا تجدُ فيهَا رَاحِلةً » وأنشدوا :(١)

وكأنَّ مِنْ زَهرِ الخُزَامَى وَالنَّدَى ... وَالأُقْحُوَانِ عَلَيْهِ رَيْطَةَ بُرْنُسِ

وَإذا تَرَنَّمَ حَوْلَهُ ذِبَّانُهُ ... أَصْغَى تَسَمُّعَ خَائِفٍ مُتَوَجِّسِ

خَرَجَتْ عَليْهِ مِنَ الضَّرَاءِ دَوَاجِنٌ ... تَحْتَثُّ نحوَ مَلاَذِ وَانٍ أَشْوَسِ(٢)

يَسْعَى يُمَثِّلُ وَالصَّفِيرُ كلاَمُهُ ... وَتَجِيءُ يَدَاهُ لهُنَّ وَحْيَ الأَخْرَسِ(٣)

وقال الراعي :(٤)

أَبَا خالِدٍ لاَ تَنْبِذَنَّا فَصَاحَةً ... كَوَحْيِ الصَّفَا خُطَّتْ لَكُمْ في فُؤَادِيَا(٥)

وقال الشاعر :

رُبَّ طَرْفٍ مُصَرِّحٍ ... عَنْ ضَمِيرٍ بِمَا هَجَسْ

وقال آخر ... بِلَحْنِ القَوْلِ وَالطَّرْفِ الفَصِيحِ

وقال المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ في استماع الثور وتوجسه وجمع باله إذا أحس بشيء من أسباب القانص ، وذكر ناقته :

---

(١) يصف ثور وحش في روضة

(٢) الضراء : الشجر الملتف يخفي ماوراءه . والدواجن : يريد بها كلاب الصيد وكانت مستخفية في الضراء . تحتث : تسرع العدو . الملاذ : الجانب والملجا . وان : متوان في عدوه تعبا وبهرا . اشوس : ناظر بمؤخر عينيه إلى الكلاب غيظا منها وحنقا عليها ، يعني ثور الوحش .

(٣) الوحي ههنا : الايماء باليد

(٤) هو عبيد بن حصين الراعي النميري الشاعر . مضت ترجمته في ص ١٠٣ من الجزء الأول .

(٥) وبعد هذا البيت :

وقد قادني الجيران حينا وقدتهم ... وفارقت حتى مايحن جماليا

رجاؤك انساني تذكر اخوتي ... ومالك انساني بوهبين ماليا

(٦) هو عائذ بن محصن بن ثعلبة . شاعر جاهلي قديم من شعراء عبد القيس . وهذه الأبيات من

كأنّها أَسْفَعُ ذُو جُدَّةٍ   يَضُمُّهُ القَفْرُ وَلَيْلٌ سَدِى (١)
كأنّما يَنْظُرُ مِنْ بُرْقُعٍ   مِنْ تحْتِ رَوْقٍ سَكَبٍ مِذْوَدِ (٢)
يُصِيخُ لِلنَّبْأَةِ أَسْمَاعَهُ   إصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ (٣)

قصيدة جيدة يصف فيها ناقته ابدع وصف اولها :

هل عند غان لفؤاد صد   من نهلة فى اليوم او فى غد
يجزى بها الجازون عنى ولو   يمنع شربى لسفتى يدى
قالت ألا لا يشتري ذاكم   إلا بما شئنا ولم يوجد
إلا ببدرى ذهب خالص   كل صباح آخر المسند
من مال من يجبو ويجبى له   سبعون قنطارا من العسجد
او مائة تجعل اولادها   لغوا وعرض المائة الجلمد
إذ لم اجد حبلا له مرة   إذ انا بين الخل والاوبد
حتى تلوفيت بلكية   معجمة الحارك والمحفد
تعطيك شيا حسنا مرة   حثك بالمرود والمحصد

يقول فيها : تمى بناض إلى حارك   ثم كركن الحجر الأصلد

ثم يقول : كلفتها تهجير دوية   من بعد شأو ليلها الابعد

ويقول : تسمع تعزافا له رنة   فى باطن الوادى وفى القردد

كأنها أسفع ذو جدة   يمسده البقل وليل سدى
ملمع الخدين قد اردفت   أكرعه بالزمع الأسود
كأنما ينظر فى برقع   من تحت روق سلب مذود
يصيخ للنبأة اسماعه   إصاخة الناشد للمنشد
ضم صماخيه لنكرية   من خشية القانص والمؤسد
وانتصب القلب لتقسيمه   امرا فريقين ولم يلبد
فى بلدة تعزف جنانها   فيها خناطيل من الرود
فذاكم شبهته ناقتى   مرتجلا فيها ولم اغتد

(١) الاسفع : الثور الوحشي فى وجهه سفع وهى نقط حمر تضرب إلي السواد . والجدة : الخطة فى ظهر الثور تخالف لونه ، ومنه قوله تعالى « جدد بيض وحمر » يضمه القفر . ويروى : يمسده البقل ، يعنى يجزئه ذلك عن الماء فيضمره ويطويه . وليل سدى ليل كثير الندى

(٢) كأنما ينظر من برقع : كأن السفع التي فى وجهه برقع ينظر منه . الروق : القرن ، سكب : مصمت ، ويروي : سلب ، يعنى طويل سريع الطعن به ، والمذود : يريد به القرن الذي يذود به عن نفسه أى يدفع به العدو

(٣) يصيخ للنبأة اسماعه : يصغى ويتسمع للصوت الخفى ويجمع لذلك أذنيه . إصاخة : كما يتسمع . الناشد : الطالب الباحث ، المنشد : المطلوب المبحوث عنه

وَيُوجِسُ السَّمْعَ لِنَكْرَائِهِ ... مِنْ خَشْيَةِ القَانِصِ وَالمُوسَدِ (١)

وقال بعض العبيد شعراً يقع فى ذكر الخطباء وفى ذكر أشداقهم وتشادقهم:

أَغَرَّكَ مِنِّى أَنَّ مَوْلَايَ مَزْيَدًا ... سَرِيعٌ إِلى داعِى الطَّعامِ سَرُوطُ (٢)

غلامٌ أتاهُ الذُّلُّ مِنْ نحوِ شِدْقِهِ ... لهُ نَسَبٌ فى الْوَاغِلِينَ بَسِيطُ (٣)

لهُ نحوَ دَوْرِ الكأْسِ إِمَّا دَعَوْتَهُ ... لِسانٌ كذَلْقِ الزَّاعِيِّ سَلِيطُ (٤)

وقال الأول : ... إِنَّ سَلِيطًا كَاسْمِهِ سَلِيطُ

وقال بعض العبيد ، وقد كان مفتوق اللهاة وشاعراً :

أَشْدَقُ يَفْرِى حِينَ لا أَحَدٌ يَفْرِى

وقال مُورِقُ العبد يتوعد مولاه : (٥)

لَوْلَا عَجُوزٌ قَحْمَةٌ وَدَرْدَقُ ... وَصَاحِبٌ جَمُّ الْحَدِيثِ مُونِقُ (٦)

كَيْفَ الفَوَاتُ وَالطَّلُوبُ مُورِقُ ... شَيْخٌ مَغِيظٌ وَسِنَانٌ يَبْرُقُ (٧)

وَحَنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتٌ مِصْلَقُ ... وَشِدْقُ ضِرْغَامٍ وَنَابٌ يَخْرُقُ (٨)

وسأل رجل عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ عن الجمل وصِفِّين (٩) فقال : تلك دماء كف الله يدى عنها فلا أحب أن أغمس لسانى فيها :

---

(١) ويوجس السمع لنكرائه : يتسمع تسمع الحذر المنكر للاشياء الخبيث الداهي . ويروى: لمكرية وهي من النكر ، وهو الانتباه والحذر . والموسد : المغري كلابه بالصيد .

(٢) سروط : شديد البلع

(٣) نسب بسيط : مديد

(٤) كذلق الزاعي : طويل كحد السنان . سليط : كثير الفحش فى الكلام

(٥) راجع ص ١٢٥ من هذا الجزء

(٦) القحمة : المرأة المسنة ، ويريد بها أمه. والدردق : أطفاله الصغار.والصاحب : يريد بهامرأته ، جم الحديث : كثيرته . مونق : معجب أنيق

(٧) وسنان يبرق : وسنان لامع .

(٨) مصلق : شديد . وشدق ضرغام : الضرغام الأسد . وناب يخرق : ناب نافذ فى الاشياء

(٩) الجمل وصفين : وقائع لعلى بن أبي طالب مع خصومه فى الاسلام ، وكانت هذه الوقائع من اشد النكبات على الاسلام

ويقع فى باب التطبيق قول الشاعر :

لأَنْتمْ بِبَيْعِ اللَّحْمِ أَعْلَمُ مِنْكُمُ   بِضَرْبِ السُّيُوفِ الْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاطِعِ

وقال عمْرُو بنُ هَدَّابٍ : إنما كنا نعرف سُودَدَ مُسلم بن قُتيبة(١) أنه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين .

وقال الأصمعى : دخل حَبيبُ بْنُ شَوْذَبٍ الأسدىُّ على جَعْفرِ بنِ سليمان(٢) بالمدينة فقال : أصلح الله الأمير ، حَبيب بن شوذب وادّ الصدر جميل الذكر يكره الزيارة المملة والعقدة المنسية ، وفى الحديث : « زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا »

وعن عِياضِ بن عبدِ اللهِ قال : إن الدَّيْنَ مجمع لكل همٍ ، همٌّ بالليل وذُل بالنهار وراية الله فى أرضه ، فإذا أراد الله أن يُذِلَ عبداً جعله طوقاً فى عنقه .

عمرُ بنُ ذرٍّ قال : الحمد لله الذى جعلنا من أمة تُغفر لهم السيئآت ولا تُقبل من غيرهم الحسنات !

ابنُ أبى الزنادِ :(٣) كنا لا نكتب إلا سُنة ، وكان الزُّهرى يكتب كل شئ ، فلما احتيج إليه عُرف أنه أوعى الناس .

قال فيرُوزُ حُصيْنٍ :(٤) إذا أراد الله أن يُزيل عن عبده نعمة كان أول مايغيّر منه عقله .

---

(١) هو مسلم بن قتيبة بن مسلم ، كان أميرا جليلا من أمراء الدولة الأموية وكان سيداً نبيلاذا فصاحة وبيان محببا إلى الناس وكان واليا على البصرة وهو الذي يقول : لا تطلبن حاجتك إلى واحد من ثلاثة : لا تطلبها إلى الكذاب فانه يقربها وهى بعيدة ويبعدها وهي قريبة ، ولا تطلبها إلى الاحمق فانه يريد أن ينفعك وهو يضرك ، ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأكلة فانه يجعل حاجتك وقاء حاجته . وقد مضت هذه الكلمة فى ص ١٦١ من هذا الجزء غير منسوبة وفيها بعض تغيير فانظرها هناك

(٢) هو جعفر بن سليمان بن علي العباسى ، كان من سروات بنى العباس وأمرائهم وشجعانهم وقوادهم ، وكان له بلاء حسن فى توطيد دعائم الدولة العباسية ، وزعموا انه كان يضعف ، قالوا إنه مر بقاص وهو يقول « يتجرعه ولا يكاد يسيغه » فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه ! مات بالبصرة

(٣) كان بالاصول : ابن أبي زياد ، وهو خطا والصواب ما أثبتناه ، وهو عبد الرحمن بن أبى الزناد كان من وجوه التابعين ولى خراج المدينة زمنا ثم ذهب إلى بغداد ولقى بها الشيوخ وما زال بها إلى ان مات سنة ١٧٤ هـ

(٤) كان بالاصول : فيروز بن حصين ، وهو خطا والصواب ماأثبتناه ، وراجع ترجمته فى ص ٣٢ من هذا الجزء

وقيل لمحمدِ بن كعبِ القُرَظيّ : ماعلامة الخِذْلان ؟ قال: أن يستقبح الرجلُ ما كان عنده حسناً و يستحسن ما كان عنده قبيحاً .

وقال محمدُ بنُ حَفْصٍ:(١) كن إلى الإستماع أسرع منك إلى القول ، ومِن خطأ القول أشد حذراً من خطأ السكوت .

وقال الحسنُ : إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرصَ منك على أن تقول ، وتعلَّم حُسن الإستماع كما تتعلم حُسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه .

سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَةَ قال: كان يقال: ألعالم مثل السراج من مر به اقتبس منه .

وقال الشاعر أبو دُهْمان الغلابى :

لئن مِصْرُ فاتَتْنى بما كُنْتُ أَرْتَجِى   وَأَخْلَفَتْنِي مِنْها الّذِى كُنْتُ آمُلُ
فَمَا كلُّ مايَخْشَى الفتى بمصيبهِ   وَمَا كُلُّ مايَرْجُو الفتى هُوَ نَائِلُ
(فمَا كانَ بَيْنْ لوْ لَقِيتُكَ سَالِمًا   وَبَيْنَ الغِنَى إلاّ لَيَالٍ قَلاَئِلُ)(٢)

(١) هو محمد بن حفص بن عمر التيمي . كان من وجوه التابعين وكان على قضاء البصرة . دخل المسجد يوما فرأى أبا نواس يتكلم مع امرأة ـ وكانت جاءته برسالة من عند جنان ـ فقال له : اتق الله ! فقال إنها حرمتي قال : صنها عن هذا الموضع . فلما انصرف كتب إليه أبو نواس :

إن التى ابصرتها بكرا أ كلمها رسول
ادت إلى رسالة كادت لها نفسي تسيل
من ساحر العينين يجـذب خصره ردف ثقيل
متقلد قوس الصبا يرمي وليس له رسيل
فلو ان اذنك بيننا حتى تسمع ما تقول
لرايت ما استقبحت من امرى هو الامر الجميل

فلما قرأها القاضى ضحك وقال : إن كانت رسول فلا بأس ! ولست أتعرض للشعراء

(٢) هذا البيت من قصيدة جيدة طويلة قالها الحطيئة رثى بها علقمة بن علاثة الكلابى وكان قصده مستمنحا فنعي إليه ، ومما قال فيها :

إلى القائل الفعال علقمة الندي   رحلت قلوصى تجتويها المناهل
إلى ماجد الآباء قرم عشمّ   له عطن يوم التفاضل آهل
فما كان بيني لو لقيتك سالما   وبين الغنى إلا ليال قلائل
لعمري لنعم المرء من آل جعفر   بحوران أمسى اعلقته الحبائل
لقد غادرت حزما وجودا ونائلا   ولبا اصيلا خالفته المجاهل
تكاد يداه تسلمان رداءه   من الجود لما استقبلته الشمائل
فان تحى لا أملل حياتى وان تمت   فما فى حياة بعد موتك طائل

وقال الآخر :

وَإِنَّ كَلامَ المَرْءِ فى غيْرِ كُنْهِهِ   لَكالنَّبْلِ تَهْوِى ليْسَ فِيْها نِصالُهَا

وقال كعبُ الأحبار:[١] قرأت فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام : الهدية تفقأ عينَ الحكيم وتُسَفِّهُ عَقلَ الحليم. زحم رجل سالمَ بنَ عبدِ اللهِ[٢] فزحم سالمٌ الذى يليه فقال له : ياشيخ ، ما أحسبك إلا شيخ سُوء ! قال سالمٌ : ما أحسبك أبعدت !

وسأل رجل محمدَ بنَ عُمَيْرِ بن عُطاردٍ وعتَّابَ بنَ ورقاء فى عشر دِيَاتٍ فقال محمد : علىَّ دِيةٌ . فقال عتَّابٌ : ألباقى علىَّ ! فقال محمد : نعم العونُ اليسار على المروءة .

وقال الأحْنَفُ :

فلَوْ مُدَّ سَرْوِى بمَالٍ كثيرٍ   لَجدْتُ وَكُنْتُ بِهِ بَاذِلَا

فإنَّ المُرُوءَةَ لَا تُسْتطَاعُ   إذا لَمْ يكُنْ مَالُهَا فاضِلَا

وقال يَزِيدُ بنُ حُجَيَّةَ حين بلغه أن زيادَ بنَ خَصَفَةَ تبعه ولم يلحق به :

أَبْلِغْ زِيادًا أنَّنى قَدْ كَفِيتُهُ   أُمورِى وَخَلَّيْتُ الَّذِى هُوَ غَالِبُهْ

وَبابٍ شَدِيدٍ دَاؤُهُ قَدْ فَتَحْتُهُ   عَلَيْكَ وَقدْ أعْيتْ عَليْكَ مَذاهِبُه

هُبِلْتَ فما تَرْجُو غَنَاىَ وَمَشْهَدِى   إذا كانَ يَوْمٌ لا تَوارَى كَوَاكِبُهْ[٣]

قال آخر :   ومَنطِقٍ خُرِّقَ بالْعَوَاسِلِ

وتجردت حَضْرَمِيَّةٌ لزوجها ثم قالت : هَلْ تَرَى فى خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تفَاوُتٍ

ولعل الشاعر الذى روى له الجاحظ الثلاثة الأبيات قد ضمن بيت الحطيئة فيها .

(١) هو كعب بن مانع الحميري من سلامة ذي رعين أحد ملوك اليمن . كان على دين اليهود باليمن وكان على اطلاع واسع بكتب الأوائل . أسلم باليمن ثم قدم المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب ثم خرج إلى الشام فسكن حمص وبها كانت وفاته سنة ٣٢ هـ واخذ الناس عنه اخبارا وروايات واقاصيص كثيرة كما حمل عليه من ذلك شىء كثير .

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

(٣) غناى : بلائى وكفايتى

قال : أرى فُطُوراً . وقال آخر : راودت امرأةٌ شيخاً واستهدفت له وأبطأ عليه الانتشار فلامته فقال لها : إنك تفتحين بيتاً وأنا أنشر ميتاً !

كتاب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري

كتب عمرُ رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعريّ :

أما بعد فإن للناس نَفْرةً عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تُدركني و إياك عَمْياء مَجهولة وضغائنُ مَحمولة وأهواء متبعة ودنيا مُؤْثَرَة ، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار ، و إذا عرَض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فان الدنيا تَنفَدُ والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل ، وأخف الفُساق واجعلهم يداً يداً ورِجلا رجلا ، و إذا كانت بين القبائل نائرةٌ(١) وتداعوا : يا آل فلان ، فإنما تلك نَجوَى الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يَفيئُوا(٢) إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله و إلى الإمام ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضَبَّةَ تدعو : يا آل ضبة ، و إني والله ما أعلم أن ضَبة ساق الله بها خيراً قط ولا منَع بها سوأً قط ، فاذا جاءك كتابي هذا فانْهكْهُمْ عقوبة حتى يفْرَقوا(٣) إن لم يفقهوا ، والصق بغَيْلانَ بنِ خرَشة من بينهم ،(٤) وعُد مرضَى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح بابك و باشر أمرَهم بنفسك ، أنت امرؤ منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حِملا ، وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فَشا لك ولأهل بيتك هَيئةٌ في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبدَ الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصيب فلم يكن لها هِمةٌ إلا السِّمن ، و إنما حتفُها في السِّمن! واعلم أن للعامل مَردًّا إلى الله فإذا زاغ العامل زاغت رَعيته ، و إن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام .

---

(١) النائرة : الفتنة المائجة

(٢) يفيئوا : يرجعوا

(٣) يفرقوا : يخافوا وينقمعوا

(٤) هو غيلان بن خرشة بن عمرو بن ضرار الضبي ، وكان من سراة اهل البصرة

عَوانةُ قال : قدم علينا أعرابى من كلب ، وكان يحدثنا الحديث فلا يكاد يقطعه ، فقال له رجل : أما لحديثك هذا آخر ! فقال : إذا عجز وصلناه .

وقال مُعاوية لِيونُس الثقفيّ : إتّق أن أطير بك طيرة بطيئًا وقوعها ! قال : أليس لى ولك المرجع بعدُ إلى الله ؟ قال : بلى ، فأستغفر الله .

رَقَبةُ بنُ مصقلة[1] قال : ماسمعت عُمَرَ بن ذرّ يتكلم إلا ذكرت النفخ فى الصور ، وما سمعت أحداً يحكيه إلا تمنيت أن يُجلد ثمانين ! قال : وتكلم عمرُ بنُ ذرّ فصاح بعض الزّفّانين[2] صيحة فلطمه رجل فقال عُمر بنُ ذرّ : ما رأيت ظالماً قط أوفق لى من هذا ! وقال طاوُس : كنت عند محمد بن يوسف[3] فأبلغه رجل من بعض أعدائه كلاماً فقال رجل من القوم : سبحان الله ! فقال طاوس : ماظننت أن قول سبحان الله معصية لله حتى كان اليوم ! كأنه عنده إنما سبح ليظهر استعظام الذى كان من الرجل ليوقع به . وقال الآخر :

لوْ كانَ عَدْوَاكَ البَطِىءُ المُسْهِمُ ... إذا بَدَا مِنْكَ الّذى لا يُكْتَمُ
وَجْهٌ قَبِيحٌ وَلِسَانٌ أَبْكَمُ ... وَمِشْفَرٌ لا يَتَوَارَى أَضْجَمُ

وقال الآخر :

يُقَعِّرُ القوْلَ لِكَيْمَا تَحْسَبَهْ ... مِنَ الرِّجَالِ الفُصَحَاءِ المُعْرِبَهْ
وَهُوَ إذَا نَسَبْتَهُ مِنْ كَرَبَهْ ... مِنْ نَخْلَةٍ نابِتَةٍ فى خَرِبَهْ[4]

قالت امرأة الحُطَيْئَةِ للحطيئة حين تحول عن بنى رياح إلى بنى كليب : بئس ما استبدلت من بنى رياح بعر الكبش ! لأنهم متفرقون ، وكذلك بعر الكبش يقع متفرقا .

(١) هو رقبة بن مصقلة العبدى ، كان من خطباء عبد القيس وفصحائهم واهل البيان واللسن فيهم . وقد ولى الولايات لبنى امية

(٢) الزفانون : الرقاصون

(٣) هو محمد بن يوسف الثقفى اخو الحجاج بن يوسف . ولاه عبد الملك على اليمن فما زال عليها حتى مات بها وجاء نعيه اخاه الحجاج

(٤) الكربة : اصل السعفة اليابسة

كلام لعائشة أم المؤمنين في قتل عثمان

عن داود بن أبي حرب بن أبي الأسود ، عن أبيه قال : بعثني وَعِمْرَانَ بْنَ حُصينٍ (١) عثمانُ بنُ حنيفٍ إلى عائشة رضي الله تعالى عنها فقلنا : ياأم المؤمنين ، أخبرينا عن مسيرك هذا ! أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأي رأيتيه ؟ قالت : بل رأيٌ رأيته حين قُتل عثمان ، إنا نقمنا عليه ضربة بالسوط ، وموقع السحابة المُحماة ، وإمرة سَعيدٍ والوليدِ ، (٢) فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحُرم الثلاث : حُرمة البلد ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر الحرام ، بعد أن مِصْناه كما يُماص الإناء فاستنقى ، فركبتم منه هذه ظالمين ، فغضبنا لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم ! ؟ قلت : فما أنت وسيفنا وسوط عثمان ، وأنت حَبيسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تقرّي في بيتك فجئت تَضرب الناس بعضهم ببعض ! ؟ قالت : وهل احد يقاتلني أوَ تقول غير هذا ! قلنا : نعم ! قالت : ومن يفعل ذلك ؟ أزنيم بني عامر !؟ ثم قالت : هل أنت مبلغ عني يا عِمْران ؟ قال : لا ، لستُ مبلغاً عنك خيراً ولا شراً ! فقلت : لكني مبلغ عنك ، فهاتي ما شئت ؟ قالت : أللهم اقتل مذمَّماً ـ تعني محمدَ بنَ أبي بَكرٍ ـ قصاصاً بعثمان ، وارْمِ الأشترَ بسهم من سهامك لايشوَى ، وأَرْدِ عمّاراً (٣) بحفرته في عثمان !

بين زياد والحكم بن عمرو

عن الحسَن أن زياداً بعث الحَكَم بنَ عمرٍو على خُرسانَ فأصاب مغنما فكتب إليه زيادٌ : إن أمير المؤمنين مُعاويةَ كتب إليَّ يأمرني أن أصطفي له كل

(١) هو عمران بن حصين الخزاعي . كان من أفاضل الصحابة . مات بالبصرة سنة ٥٢ هـ

(٢) هما سعيد بن العاص والوليد بن عقبة

(٣) كان بالاصول : وأدرك عمارا . وهو خطأ والصواب ماأثبتناه . وعمار : هو عمار بن ياسر

صفراء و بيضاء ، فإذا أتاك كتابى هذا فانظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه. واقسم ما سوى ذلك ! فكتب إليه الحكمُ : إنى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، ووالله لو أن السموات والأرض كانتا رتقًا على عبدٍ فاتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجاً والسلام . ثم أمر المنادى فنادى فى الناس أن : اغدوا على غنائمكم ؟ فغدو فقسمها بينهم .

وقال خالدُ بنُ صفوانَ : ما رأينا أرضا مثل الأُبلَّةِ (١) أقرب مسافة ولا أطيب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد .

كلام بعض الأعراب

قال الكسائىُّ : لقيت أعرابياً فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف ، والشىء بعد الشىء أقرنه بغيره ، فقال : تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة إلى جنب كلمة منها أشبه شىء بها وأبعد شىء منها ، منك ! ووصف إعرابى رجلا فقال : ذاك والله ممن ينفع سِلْمُهُ ، ويتواصفُ حِلْمُهُ ولا يُستمرأ ظُلْمُهُ . وقال آخر لخصمه : لئن هَمْلَجْتَ إلى الباطل إنك لقطوف إلى الحق . (٢)

ورأى رَقَبَةُ بنُ مَصْقَلَةَ العبدى جارية عند العطار فقال له : ما تصنع هذه عندك ؟ قال : أكيل لها حِنَّاء ! قال : أظنك والله تكيل لها كيلا لا يأجرك الله عليه !

---

(١) هى مدينة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذى يدخل البصرة وهى اقدم من البصرة . وروي ياقوت ان خالد بن صفوان قال : مارأيت ارضاً مثل الابلة [اقرب] سافة ولا اغذى لطفة ولا اوطأ مطية ولا اربح لتاجر ولا احق لعائد

(٢) هملجت : أسرعت . وقطوف : بطئ

كلام عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس

قال عمرُو بنُ العاصِ لعبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ : إنّ هذا الأمر الذى نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم ما ترى ، وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبراً ، ولسنا نقول ليت الحرب عادت ! ولكننا نقول ليتها لم تكن كانت ! فانظر فيما بقى بغير ما مضى فإنك رأس هذا الأمر بعد علىّ ، وإنما هو أمير مطاع ، ومأمور مُطيع ومشاوَر مأمون ، وأنت هو .

وقال عيسَى بنُ طلْحةَ[1] لِعُرْوةِ بنِ الزُّبيرِ[2] حين ابتُلِى برجله فقطعها : يا أبا عبدِ اللهِ ، ذهب أهونك علينا ، وبقى أكثرك لنا .

قال أبو الحسن : خطب الحجّاجُ يوم جمعة فأطال الخطبة فقال رجل : إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك ! فحبسه فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا : إنه مجنون! فقال : إن أقر بالجنون خليتُ سبيله ! فقيل له: أقر بالجنون ؟ قال: لا والله ، لا أزعم أنه ابتلانى وقد عافانى .

وصف الإبل

قالت أم هاشمٍ السَّلُولِيّةُ : ما ذكر الناس مذكوراً خيراً من الإبل أحناه على أحد بخير ، إن حملت أثقلت وإن مَشت أبعدت وإن نُحرت أشبعت وإن حُلبت أروت .

---

(١) هو عيسى بن طلحة بن عبيد الله .

(٢) أصيب عروة بن الزبير بأكلة فى رجله فقدم على الوليد بن عبد الملك وهو بها شاك فقيل له : اقطعها فإنها إن وقعت في الركبة قتلتك . فلما قبل قيل له : نسقيك دواء لا تجد معه ألما ! فقال : أيقطع منى عضو ولا احس به ! فقطعت وهو جالس فى مجلس الوليد يحدثه والوليد مصغ إليه حتى شم رائحة الزيت المغلى يصب على مكان القطع ، وعروة فى كل هذا لم يقطع حديثه ولم يقبض وجهه ولم يظهر عليه أثر للألم . فلما ذهب إلى المدينة دخل عليه عيسى بن طلحة فلما رأى ما به قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ، ما أعددناك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه ، ابقى لنا منك رأيك وعقلك وعلمك . فقال عروة : ما عزانى احد عن رجلى مثلك ، وراجع ص ٥٤ من هذا الجزء

من الحسن بن علي الى زياد

قال : طلب زيادٌ رجلا كان فى الأمان الذى سأله الحسنُ بْنُ علىٍّ لأصحابه.
فكتب فيه الحسن رضى الله تعالى عنه إلى زياد :

من الحسن بن على إلى زياد : أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لأصحابنا ، وقد ذكر لى فلان أنك عرَضتَ له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير .

من زياد الى الحسن

فلما أتاه الكتاب ، ولم ينسبه الحسَنُ إلى أبي سُفيانَ ، غضب فكتب :

من زِياد بْنِ أبى سُفْيانَ إلى الحسَنِ : أما بعد أتانى كتابك فى فاسق يؤويه الفُسَّاق من شيعتك وشيعة أبيك ، وأيم الله لأطلبنهم ولو بين جلدك ولحمك ، وإنَّ أحبَّ لحم إليَّ آكله للحم أنت منه .. !؟

من معاوية الى زياد

فلما وصل الكتابُ الحسنَ وجَّه به إلى مُعاويةَ فلما قرأه مُعاويةُ غضب وكتب:

من مُعاويةَ بن أبى سُفْيانَ إلى زياد بْنِ أبى سُفْيانَ: أما بعد فان لك رأيين رأياً من أبى سُفيان ورأياً من سُمَيَّةَ ، فأما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم ، وأما رأيك من سمية فكما يكون رأى مثلها ، وقد كتب إليَّ الحسنُ بن علىٍّ أنك عرضت لصاحبه ! فلا تعرض له ، فإنى لم أجعل لك اليه سبيلا ! وإن الحسن ابن علىٍّ ممن لا يرمى به الرَّجَوان ! [1] والعجب من كتابك اليه [أنك] لا تنسبه إلى أبيه ، أفإلى أمه وَكَلْتَهُ وهو ابن فاطمةَ بنت محمد صلى الله عليه وسلم !؟ فالآن حين اخترت له والسلام ...!؟

---

(١) لايرمى به الرجوان : لايستهان بشأنه

خطبة مصعب بن الزبير

قدم مُصْعَبُ بنُ الزُّبير العراقَ فصعد المنبر ثم قال:

بسم الله الرحمن الرحيم «طسم تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنونَ إنَّ فِرْعَوْنَ علا في الأَرْضِ وجَعلَ أَهْلَها شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً منهُمْ يُذَبِّحُ أبناءهُمْ ويَسْتَحْيِي نساءَهُم إنَّهُ كانَ مِنَ المُفْسِدينَ» وأشار بيده نحو الشام[1] «ونُرِيدُ أنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ استُضْعِفوا في الأرض ونجعلهُمْ أئمةً ونجعلهمُ الوارثين» وأشار بيده نحو الحجاز[2] «ونُمكِّن لَهُمْ في الأرْض ونُرِي فِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنودهُما منْهمْ ما كانوا يحذرون» وأشار بيده نحو العراق[3]

وكتب محمد بن كعب «القرظيُّ»، فقيل له: والأنصاري! قال: أكره أن أمن على الله بما لم أفعل.

عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس

وقام عمْرُو بنُ العَاصِ بالموسم فأطرى مُعاوِيَةَ وبني أمية وتناول بني هاشم ثم ذكر مشاهده بِصِفِّينَ فقال ابن عبَّاسٍ: ياعمرو إنك بعت دينك من معاوية فأعطيته مافي يدك ومنَّاك مافي يد غيره فكان الذي أخذ منك فوق الذي أعطاك، وكان الذي أخذت منه دون ما أعطيته، وكلٌّ راض بما أخذ وأعطى! فلما صارت مصر في يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقُّص حتى لو أن نفسك فيها لألقيتها إليه! وذكرت مشاهدك بصفين فما ثقلت علينا يومئذ وطأتك ولا نَكَتْنَا[4] فيها حربك، وإنْ كنتَ فيها لطويلَ اللسان قصيرَ السنان، آخر الحرب إذا أقبلت وأولها إذا أدبرَتْ، لك يدان: يد لا تبسطها إلى خير ويد لاتقبضها عن شر،

(١) يريد عبد الملك بن مروان وبني امية

(٢) يريد اخاه عبد الله بن الزبير ومن معه

(٣) يريد المختار بن ابي عبيد الثقفي وعصبته

(٤) نكتتا من النكاية: لم تصبنا حربك بأذى

ووجهان : وجه مؤنس ووجه موحش ، ولعمرى إن من باع دينه بدنيا غيره لحرىٌّ أن يطول حزنه على ماباع واشترى ! لك بيان وفيك خَطَل ، ولك رأى وفيك نَكَدٌ ، ولك قَدر وفيك حَسد ، فأصغر عيب فيك أعظم عيب فى غيرك..!؟
فقال عَمْرُو : أما والله مافى قُريش أحد أثقل وطأة علىّ منك ولا لأحد من قريش قَدرٌ عندى مثل قَدرك !

كلام عمرو بن عتبة

ورأى عَمْرو بن عُتبة بن أبى سفيان (١) رجلا يشْتُم رجلا وآخر يسمع منه فقال للمستمع : نَزِّه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به ، فإن السامع شريك القائل ، وإنما نظر إلى شر مافى وعائه فأفرغه فى وعائك ، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهل فى فيه لسعد رادُّها كما شقى قائلها .

خصمان عند زياد

عوانة قال : اختصم إلى زياد رجلان فى حق كان لأحدهما على الآخر ، فقال المدعى : أيها الأمير ، إنه ليسطو علىّ بخاصة ذكر أنها له منك ! فقال زياد : صدق وسأخبرك بمنفعتها له : إن يكن الحق له عليك أخذتك به ، وإن يكن لك عليه حكمت عليه ثم قضيت عنه .

تأبين عائشة لأبى بكر الصديق

ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه قامت عائشة رضى الله تعالى عنها على قبره فقالت : نضَّر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها ، وإن كان لأجلَّ الأرزاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزؤك وأكبر المصائب فقدك ، وإن كتاب الله ليعد بجميل

(١) كان عمرو بن عتبة بن ابى سفيان من خيار بنى أمية وصلحائهم ، وكان ذا بيان وفصاحة ولسن ، وكان مستقيم الطريقة محبا للعدل مبغضا للظلم ، ولذلك لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على الحجاج لظلمه وجوره خرج عمرو معه وقاتل بين يديه حتى قتل . وهذه الكلمة التى رواها له الجاحظ فى افضل ماقيل فى بابها .

العزاء [فيك] حُسنَ العوض منك ، فأنتجزْ من الله موعده فيك بالصبر عنك ، وأستخلصه بالاستغفار لك .

فرغانة بنت أوس تؤبن الأحنف بن قيس

وقامت فَرْغانةُ بنت أوْس بنِ حجَر على قبر الأحنف بنِ قيْس وهى على راحلة فقالت : إنا للهِ و إنا إليه راجعون ، [رحمك الله] أبا بَحْرٍ من مِجَنّ فى جَنَن (١) ومُدْرِجٍ فى كفَن ، فوالذى ابتلانا بفقدك ، و بلّغنا يوم موتك لقد عشتَ حميداً ومتّ فقيداً ، ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم ، رفيع العماد وارى الزناد ، منيع الحريم سليم الأديم ، و إن كنت فى المحافل لشريفاً وعلى الأرامل لعطوفاً ، ومن الناس لقريبا وفيهم لغريبا ، وإن كنت لَمُسَوَّداً و إلى الخلفاء لمُوَفَّداً ، و إن كانوا لقولك لَمستمعين ولرأيك لمتبعين . ثم انصرفت .

عمرو بن العاص يصف معاوية

أبو الحسن قال : قال عمرو بنُ العاص : ما رأيتُ معاوية قط متكئاً على يساره واضعاً إحدى رجليه على الأخرى كاسراً إحدَى عينيه يقول للذى يكلمه : ياهناه! (٢) إلا رحمت الذى يكلمه .

من كلام عمر بن الخطاب

وقال عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه : كونوا أوعيةَ الكتاب وينابيعَ العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم ولا يَضيركم أن لا يكثر لكم .

---

(١) الجنن : القبر لأنه يجن الموتى أي يخفيهم عن الانظار

(٢) ياهناه : كلمة كانت العرب تقولها عند إرادة التنكير ، كأنها تقول : ياشىء

بين معاوية وعائشة

وكتب مُعاويةُ إلى عائشة رضى الله تعالى عنها أن أكتبي الىّ بشيء سمعتيه من أبى القاسم صلى الله عليه وسلم، فكتبت إليه : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: « مَنْ عَمِلَ بما يُسْخِطُ اللهَ عادَ حامدُهُ منَ الناسِ لهُ ذَاماً »

وصية عالم لابنه

أوصى بعض العلماء ابنه فقال : أوصيك بتقوى الله وليسعك بيتك واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك .

فضل الشورى

بكر بن أبى بكر القرشى قال : قال أعرابى : ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبن قومى ! قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئا حتى أشاورهم.(١) قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازم ونحن نطيعه ، فكأننا ألف حازم .(٢)

الحجاج أول مجر لنوع من السفن وأول صانع للمحامل

قال أبو الحسن : أول من أجرى فى البحر السفن المُقيَّرة المسمَّرة ، غير المخرزة

---

(١) قلت : وقد ذم عبد الملك بن صالح العباسى الشورى واحتج للاستبداد فقال : ما استشرت أحدا قط إلا تكبر عليك وتصاغرت لبه ، وداخلته العزة وداخلتك الذلة ، فعليك بالاستبداد فإن صاحبه مبجل فى العيون مهيب فى الصدور ، وإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فيتضعضع شأنك وتخف بك أركانك ويستحقرك الصغير ويستخف بك الكبير!؟

(٢) عن عمر بن شبة قال : سأل عمر بن الخطاب الحطيئة فقال : كم كنتم فى حربكم ؟ قال : كنا ألف حازم ! قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازما وكنا لا نعصيه ، وكنا نقدم بإقدام عنترة ، ونأتم بشعر عروة بن الورد ، وننقاد لأمر الربيع بن زياد . قلت : وهؤلاء زعماء بنى عبس

والمدهونة وغير ذوات الجآجىء ، وكان أول من عَمِلَ المَحَامِلَ الحجاج . قال بعض رجاز الأكرياء :

أَوَّلُ عَبْدٍ عَمِلَ المَحَامِلاَ   أَخْزَاهُ رَبِّى عَاجِلاً وآجِلاَ

وقال آخر :

شَيَّبَ أَصْدَاغِى وَهُنَّ بِيضُ   مَحَامِلٌ لِقِدِّهَا نَقِيضُ

كلام بعض الأعراب

قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : لو تنخَّل رجل أخا شقيقا لم يأمن أن يبدو منه ما يبدو من الثوب ذى الخرق ، فرحم الله رجلا أغضى على الأقذاء واستمتع بالظاهر . وقال الأصمعى : سمعت بعض الأعراب يقول : من ولَّد الخير أنتج له فِراخاً تطير بالسرور ، ومن ولد الشر أنبت له نباتاً مُراً مذاقه ، قضبانه الغيظ وثمره الندم . وأنشد النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ :(١)

يُحِبُّ بَقَائِى المُشْفِقونَ وَمُدَّتِى   إِلَى أَجَلٍ لوْ يَعْلَمونَ قَرِيبِ

وَمَا أَرَبِى فِى أَرْذَلِ العُمْرِ بَعْدَ مَا   لَبِسْتُ شَبَابِى قَبلَهُ وَمَشِيبِى !

---

(١) هو النضر بن شميل المازنى النحوي البصري كان عالماً ثقة صاحب غريب وفقه ومعرفة بأيام الناس ، وكان شاعرا محدثاً ، أخذ عن الخليل بن أحمد وأقام فى البادية اربعين سنة ، وله فى رواية الأثر والسنن والأخبار منزلة . ضاقت به المعيشة فى البصرة فأراد الخروج إلي خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث ، أو نحوى ، أو لغوى ، اوعروضي ، أو إخباري ، فلما صار بالمربد جلس وقال : يا أهل البصرة ، يعز على فراقكم ، والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتكم . ثم أتى خراسان وأفاد بها مالا عظيماً . قال النضر : كنت أدخل على المامون — حينما كان مقيماً بمرو — فجرى الحديث فقال : حدثنا هشيم عن خالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تزوج الرجل المراة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز . فقلت : صدق يا أمير المؤمنين هشيم ، حدثنا عوف بن ابى جيلة عن الحسن عن على بن ابى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تزوج الرجل المراة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز . قال : وكان المامون متكئا فاستوي جالساً وقال : يا نضر ، كيف قلت سداد ؟ قلت : لأن السداد ههنا لحن . قال : او تلحنى ؟ قلت : إنما لحن هشيم وكان لحانة . قال فما الفرق بينهما ؟ قلت السداد بالفتح : القصد في الدين والسبيل ، والسداد بالكسر : البلغة ، وكل ماسددت به شيئاً فهو سداد . الخ . توفى سنة ٢٠٤ هـ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

يَا ابْنَ الزُّبيرِ جَزَاكَ اللهُ لاَئِمَةً ... هَلاَّ انْتَهَيْتُمْ وَفى الأَقْوَالِ تَعْتِيبُ(١)

تَنْزُو لِتُدْرِكَ مِنْ كَعْبٍ غَطَارِفَةً ... لاَ تَسْتَوِى بُسْرَةُ العُرْجُونِ وَالطِّيبُ(٢)

كَمَا تَرَى فَرْخَ عُشٍّ لاَ حَرَاكَ بِهِ ... وَفَوْقَهُ مِنْ نُسَالِ الرِّيشِ تَزْغِيبُ(٣)

مَا فِيكُمُ قَدْ عَلِمْنا مِنْ مُحَافَظَةٍ ... يَوْمَ الحِفَاظِ وَلاَ خَيْراً لِمَنْكُوبِ(٤)

وَأَنْتُمُ تَحْتَ أَرْوَاقِ البُيُوتِ إِذَا ... هَبَّتْ شَآمِيَةٌ دُرْنٌ طَحَارِيبُ(٥)

أَنْتُمْ مُنَاخُ الخَنَا قُبْحًا لِخَلْقَتِكُمْ ... فَكُلُّكُمْ يَا بَنِى البَلْقَاءِ مَقْشُوبُ(٦)

فِى ذِمَّتِى أَنْ تَضِجُّوا مِنْ مُصَادَمَتِى ... كَمَا تَضِجُّ مِنَ الحَرِّ الجَنَادِيبُ(٧)

مَا بَيْنَ أَدْبَسَ نَتَّاجٍ لَهُ دَفَرٌ ... وَمُقْصَدِ القَلْبِ ذِى سِتِّينَ مَعْصُوبِ(٨)

خَالِى سَمَاعَةُ فَاعْلَمْ لاَ خَفَاءَ بِهِ ... لَقَدْ هَوَى بِكَ يَا دَفِينُ شُخْبُوبُ(٩)

صَعْبٌ مَنَاكِبُهُ تَعْيَا الكُمَاةُ بِهِ ... خَوْفًا وَتَضْطَادُهُمْ مِنْهُ كَلاَلِيبُ(١٠)

وأنشد ابن المُعَذَّل :(١١)

---

(١) تتيب : معاتبة

(٢) تنزو : تثب : ألغطارفة : السادة الامجاد . البسر : البلح قبل الارطاب . والعرجون : اصل العذق اليابس

(٣) نسال الريش : ما تناثر منه . والتزغيب ، كالزغب : الريش اول ظهوره على الفرخ

(٤) يوم الحفاظ : يوم يحق الغضب لجلائل الامور وتجب الحمية . وفى هذا البيت إقواء

(٥) شآمية : ريح الشمال . درن : يعلوكم الدرن من قذارتكم . طحاريب : فساؤن

(٦) مقشوب : مذموم

(٧) الجنادب : صغار الجراد

(٨) الأدبس : الذى فى وجهه بقع سود وحمر . والدفر : ريح خبيثة . والمقصد القلب : الذى يموت بالسكتة . والمعصوب : السغب . وفى هذا البيت إقواء

(٩) شخوب كشخاب ، وهو الذى يقص الأعناق فتشخب منها الدماء

(١٠) الكماة : الشجعان المتكمون فى السلاح

(١١) هو احمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم . أبو القاسم البصرى . كان شاعرا متعففا ذا دين ومروة وكان متقدما عند المنزلة ذا جاه واسع وحرمة عند السلطان . وكان اخوه عبد الصمد بن المعذل شاعراً فصيح اللسان من شعراء الدولة العباسية . وكان هجاء خبيث الكلام قوى المارضة . وكان يحسد

تَوَاعَدَ لِلْبَيْنِ الْخَلِيطُ لِيَنْبَتُّوا ... وقالُوا الرَّاعِي الظُّهْرِ مَوْعِدُكَ السَّبْتُ
فَفَاجَأَنِي بَغْتاً وَلَمْ أَخْشَ بَيْنَهُمْ ... وَأَفْظَعُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ الْبَغْتُ
مَضَى لِسُلَيْمَى مُنْذُ مَا لَمْ أُلَاقِهَا ... سُنُونَ تَوَالَتْ بَيْنَنَا خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكُمْ كَثِيرَةٌ ... بِرُبَّانِهَا فِي الْحَيِّ لَوْ أُخِّرَ الْوَقْتُ(١)
تَأَيَّمْتُ حَتَّى لَامَنِي كُلُّ صَاحِبٍ ... رَجَاءَ سُلَيْمَى أَنْ تَئِيمَ كَمَا إِمْتُ(٢)
لَئِنْ بِعْتُ حَظِّي مِنْكِ يَوْمًا بِغَيْرِهِ ... لَبِئْسَ إِذًا يَوْمَ التَّغَابُنِ مَا بِعْتُ
تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَعَهْدُهُمْ ... بِأَنْ يَتَمَنَّوْا لَوْ حَيِيتُ إِذَا مِتُّ
وَقَدْ عَلِمُوا عِنْدَ الْحَقَائِقِ أَنَّنِي ... أَخُو ثِقَةٍ مَا إِنْ وَنَيْتُ وَلَا إِنْتُ(٣)
وَإِنِّي وَقَدْ سَيَّرْتُ نَبْلِي وَإِنَّنِي ... كَأَنِّي وقدْ وَقَّعْتُ أَنْصَالَهَا رِشْتُ

وقال أحمدُ بنُ الْمُعَذَّلِ ، أنشدني أعرابي من طيء :(٤)

وَلَسْتُ بِمَيَّالٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى ... إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنُوبُنِي ... وَحَسْبُكَ أَنَّ اللهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

خطبة الحجاج حين ولي العراق

عن عبدِ اللهِ بنِ أبي عُبَيْدَةَ بنِ محمَّدِ بنِ عمَّارِ بنِ ياسرٍ قال :

احمد و يهجوه وكان احمد يحام عليه . كتب احمد إلى أخيه عبد الصمد يقول : إني ارى المكروه من حيث برنجى المحبوب ، وقد شمل عرك وعم اذاك وصرت فيك كابى الابن العاق إن عاش نقصه وأن مات نقصه ، وقد خشنت بقاب جيبه لك ناصح والسلام . فرد عليه عبد الصمد بقوله :

اطاع الفريضة والسنه ... فتاه على الانس والجنه
كأن لنا النار من دونه ... وافرده الله بالجنه
وينظر نحوى إذا زرته ... بعين حماة إلى كنه

وقال احمد : قال لى أنت اخو الكلب وفى ... علته ان قد هجانى واجتهد
احمد الله تعالى انه ... ما درى انى اخو عبد الصمد

(١) ربانها : بوقتها وحينها
(٢) فى الاصول : تئم ، وهو خطأ والصواب ماأثبتناه . وتئيم : تصبح بلا زوج
(٣) ونيت : ضعفت . وإنت : تريثت
(٤) من الغريب ان ابا الفرج نسب هذين البيتين للمعذل بن غيلان ، فهل كان احمد من العقوق بحيث ينكر قول ابيه وينسبه إلى غيره ! ؟

خرج الحَجّاج يريد العِراق والياً عليها (١) فى اثنى عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار — وقد كان بِشْرُ بن مَرْوان بعث المُهَلَّبَ إلى الحَرُورِيّةِ (٢) — فبدأ الحجاجُ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثّم بعمامة خز حمراء (٣) فقال: علىّ بالناس، فحسبوه وأصحابهُ خوارجَ فهمّوا به، حتى إذا اجتمع الناس فى المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال:

أنَا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا ... مَتى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفونِى (٤)

أما والله إنى لأحتمل الشرّ بحمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله، و إنى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قِطافُها، و إنى لصاحبها! و إنّى لأنظر إلى الدماءِ ترقرق بين العمائم واللّحى: قدْ شمّرتْ عَنْ سَاقِها فشمّرِ: ثم قال (٥)

(١) وذلك فى سنة ٧٥ بعد وفاة بشر بن مروان

(٢) الحرورية: من الخوارج

(٣) قال المبرد: معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا . . . فسكت ساعة لايتكلم فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق، حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقالوا: أمهل حتى ننظر. فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال: أنا ابن جلا.

(٤) وابن جلا: المنكشف الأمر المشهور الذكر. والثنايا جمع ثنية وهي الطريق فى الجبل. وطلاعها يعنى أنه جلد قوى يطلع الثنايا على صعوبتها وارتفاعها. والبيت من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى. وبعده:

وإن مكاننا من حميرى ... مكان الليث من وسط العرين
وإنى لن يعود إلى قرنى ... غداة الغب إلا فى قرين
بذى لبد يصد الركب عنه ... ولا تؤتى فريسته لحين
عذرت البزل إذ هى خاطرتنى ... فما بالى وبال ابنى لبون
وماذا تبتغى الشعراء منى ... وقد جاوزت حد الأربعين
أخو خمسين مجتمع أشدى ... ونجذنى مداورة الشؤون
فإن علالتى وجراء حولى ... لذو شق على الضرع الظنون
كريم الخال من سلفى رياح ... كنصل السيف وضاح الجبين
متى أحلل إلى قطن وزيد ... وسلمى تكثر الأصوات دونى
وهمام متى أحلل إليه ... محل الليث فى عيص أمين
ألف الجانبين به أسود ... منطقة بأصلاب الجفون
وإن قناتنا مشظ شظاها ... شديد مدها عنق القرين

(٥) راجع ص ١٠٢ من الجزء الأول

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّى زِيَمْ ... قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ

لَيْسَ بِرَاعِى إِبِلٍ وَلاَ غَنَمْ ... وَلاَ بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ (١)

وقال أيضاً :

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصْلَبِيّ ... أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِّيِّ (٢)

مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيّ (٣)

إنى والله ياأهلَ العراق والشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق ، مَا أُغْمَزُ تَغْمَازَ التينْ ولاَ يُقَعْقَعُ لى بالشِّنَانِ ، ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاء وفُتِّشْتُ عن تجربة وجريت من الغاية ، إن أميرَ المؤمنين كب كنانته (٤) ثم عجم عيدانها فوجدنى أمرّها عوداً وأصلبها عموداً ، فوجهنى إليكم ، فإنكم طالما أوضعتم فى الفتن واضطجعتم فى مراقد الضلال وسننتم سُنن الغيّ ، أما والله لألحُوَنَّكُمْ لَحْوَ العصا ولأعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلَمَةِ ولأضربَنَّكُمْ ضَرْبَ غرائبِ الإبل ! فانكم لكأهل « قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يأتيها رزقُها رَغَداً من كل مكانٍ فَكَفَرَتْ بأنعُمِ اللهِ فأذاقها اللهُ لباسَ الجُوعِ والخوْفِ بما كانُوا يصنعُونَ » وَإِنِّى واللهِ لا أَعِد إلاَّ وَفيت وَلا أَهُمُّ إلاَّ أمضيتُ ولا أَخلُقُ إلاَّ فَريت ! (٥) فإياى وهذه الجماعات

(١) زيم : اسم فرس او ناقة . والسواق الحطم : الذي لايبقى من السير شيئا . والوضم : الخشبة التى يقطع الجزار اللحم عليها « أرمة » .

(٢) العصلبى : الشديد . والاروع : الذكى . خراج من الدوي : خراج من كل عماء شديدة . والدوى : المفازة المهلكة .

(٣) وقد جاء فى كامل المبرد ان الحجاج قال بعد هذا :

قد شمرت عن ساقها فشدوا ... وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عرد ... مثل ذراع البكر او اشد

(لابد مما ليس منه بد)

(٤) رواية المبرد : نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني امرها عوداً واصلبها مكسرا فرماكم بي

(٥) أخلق : أقدر . فريت : قطعت . وروى المبرد انه قال بعد هذا : وإن امير المؤمنين امرني باعطائكم اعطياتكم وان اوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن ابى صفرة وإني اقسم بالله لا اجد رجلا تخلف بعد اخذ عطائه بثلاثة ايام إلا ضربت عنقه

وقالَ وقيلَ وما تقول ! وفيم أنتم وذاك ! أما والله لتستقيمُنَّ على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلا فى جسده ! من وجدتُ بعد ثلاثة من بعث المُهلّبِ سفكتُ دمَه وأنهبتُ ماله . ثم دخل منزله .

كتاب الحجاج الى قطرى بن الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم . أبو الحسن قال:

كَتَبَ الحَجّاجُ بْنُ يُوسُفَ إلى قَطَرِيِّ بْنِ الفُجَاءةِ : سلام عليك ، أما بعد فإنك مرقت من الدين مُروق السهم من الرَّميةِ ! قد علمت حيث تجرثمتَ (١) ذلك أنك عاص لله ولوُلاة أمره، غير أنك أعرابى جِلْف أُمى تستطعم الكِسرة وتشتفى بالتمرة والأمور عليك حسرة ، خرجت لِتَنَالَ شَبْعَةً فلحق بك طَغَامٌ صُلوا بمثل ما صُليت به من العيش ، يهزُّون الرماح وتستنشون الرياح على خوف وجهد من أمورهم ، وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته ! ثم أهلكهم الله بترحتين والسلام .

رد قطرى بن الفجاءة على الحجاج

فأجابه قَطَرِيُّ بْنُ الفُجَاءةِ :

من قَطَرِيِّ بْنِ الفُجَاءةِ إلى الحَجَّاجِ بْنِ يوسُف : سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نقمه ، فالحمد لله على ما أظهر من دينه وأظلع به أهل السفالة وهدى به من الضلالة ونصر به عند استخفافك بحقه ، كتبتَ إليَّ تذكر أنى أعرابى جِلْف أميٌّ أستطعم الكِسرة واشتفى بالتمرة ! ولعمرى ياابن أُم الحجاج إنك لميت فى جبلتك مُطْلَخِمٌ (٢) فى طريقتك وَاهٍ فى

(١) تجرثمت : سقطت من علو إلى اسفل

(٢) مطلخم : مضطجع

وبقيتك لا تعرف الله ولا تجزع من خطيئتك ، يئست واستيئست من ربك. فالشيطان قرينك لاتجاذبه وثاقك ولا تنازعه خناقك ، فالحمد لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتك وأوضح لى طلعتك ، فوالذى نفس قَطَرِىّ بيده لعرفتَ أن مقارعةَ الأبطال ليست كتصدير المقال ، مع أنى أرجو أن يدحض الله حجتك وأن يمنحنى مهجتك .

بين معاوية وعدى بن حاتم

خالد بن يزيد الطائى قال :

كتب مُعاويةُ إلى عَدِىِّ بن حاتمٍ : حاجيْتُكَ مالا يُنسى ! ـ يعنى قتل عثمان ـ فذهب عدىٌّ بالكتاب إلى علىّ بن أبى طالب فقال: إن المرأة لاتنسى قاتل بكرها ولا أبا عُذْرها. (١) فكتب إليه عَدِىٌّ : إن ذلك منى كليلة شَيْباء ! (٢)

وقال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيز رحمه الله تعالى: ياغلام ارفع ذلك النَّثِيلَ ! ـ يعنى روثا ـ وقيل له : أين خرج هذا الحِبن؟ قال : تحت منكبى. (٣)

وقيل لِقُتَيْبَةَ : أين خرَجَ بك هذا الخُرَاجُ ؟ قال : بين الرَّانِفَةِ والصَّفِنَةِ (٤).

وقيل لِرَقَبة : (٥) ما بال القرَّاء أشد شيء نَهْمَةً وغلْمَةً؟ قال: أما الغُلْمة فإنهم لا يزنون ، وأما النَّهْمَةَ فلأنهم يصومون . وعرض عليه رجل الغداء فقال له : يا هذا، إن أقسمتَ علىَّ و إلا فدعنى !

وقال مُوَرِّقُ العِجْلِيُّ : ما تكلَّمْتُ بكلمة فى الغضب أندم عليها فى الرضا. وقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة فما أجابنى ولا يئست منها ؛ ولا أتكلم إلا فيما يَعنينى . قيل: مكتوب فى حكمة داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالما بأهل

---

(١) ابو عذرها : اول مفترع لبكارتها

(٢) ليلة شيباء : غالب ظلامها على نورها وتطلق على آخر ليلة من الشهر

(٣) الحبن : خراج كالدمل

(٤) هوقتيبة بن مسلم . الخراج : قرحة كالدمل الكبير . الرانفة : اسفل الالية . والصفنة : وعاء الخصية .

(٥) هو رقبة بن مصقلة

زمانه مالكا للسانه مقبلا على شانه . ولما قدم الفرَزْدَقُ الشامَ قال له جرُيرٌ — وكان هناك — : ما ظننت أنك تقدم بلداً أنا فيه ! قال الفرَزْدَقُ : إنى طالما خالفت رأىَ العجَزةِ ! وقال يونُسُ بْنُ حَبِيْب : إذ قالوا : غَلَبَ الشاعر فهو الغالبُ ، وإذا قالوا : مُغلَّبٌ ، فهو المغلوبُ . قال امْرُؤ القَيْس :

وَإنكَ لمْ يَفخَرْ عَلَيْكَ كَعَاجِزٍ ضَعِيفٍ وَلمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغلَّبِ

وقال بعضهم :

إنى امْرُؤٌ يَنفعُ قَوْمِى مَشْهَدِى أذُبُّ عَنهُمْ بِلِسَانِى وَيَدِى

وقال قُتَيْبَة بْنُ مسلمٍ : إذا غزَوتمْ فأطيلوا الاظفار وقصّروا الشعور .

ونظر مخنثٌ إلى شيخ قبيح الوجه فى الطريق فقال : ألم ينهكم سُليمانُ بنُ داود عليهما السلام عن الخروج بالنهار ! ؟ (١)

وعزى أعرابى ناسا فقال : يرحم الله فلانا ، لقد كان كثير الإهالة (٢) دسم الأشداق ! وقال الشاعر :

تَرَى وَدَكَ السَّدِيفِ عَلَى لِحَاهُمْ كلَوْنِ الرَّاءِ لَبَّدَهُ الصَّقِيعُ (٣)

وقال أعرابي : رحم الله فلانا ، إن كان لَضخم الكاهل ! ثم جلس وسكت . وقال آخر : كان والله نَقِىَّ الاظفار قليلَ الأسرار ! وسارّ رجلٌ أعرابياً بحديث فقال : أفهمتَ ؟ قال : بل نسيت !

هجاء واثلة السدوسى لعبد الملك بن المهلب

قال وَاثِلةُ بْنُ خَليفةَ السَّدُوسىّ يهجو عَبْدَ المَلِكِ بْنَ المُهلّبِ :

لقَدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أعْوَادُ مِنْبَرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا فى يَدَيْكَ قَضِيبُ
بَكَى المِنـبَرُ الغَرْبِىُّ إذْ قُمْتَ فَوْقَهُ وَكادَتْ مَسَامِيرُ الحَدِيدِ تَذُوبُ

(١) يريد انه يشبه الجن فى قبح وجهه

(٢) الاهالة : الدسم

(٣) الودك : الدسم : السديف : اللحم ، الراء : شجر سهلى له ثمر ابيض تعلوه غبرة الصقيع : البرد

رَأَيْتُكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي ... يُصِيبُ سَرَاةَ الأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ
سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ ... وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ المَزُونَ عُيُوبُ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رَسَاتِيقُ فَارِسٍ ... وَبِالْمِصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ (١)
إِذَا عُصْبَةٌ ضَجَّتْ مِنَ الجُرْحِ نَاسَبَتْ ... مَزُونِيَّةٌ إِنَّ النَّسِيبَ نَسِيبُ

رثاء بشار لعمر بن حفص العتكي

وقال بشَّارُ الأعمى في عُمَرَ بنِ حَفْص : (٢)

مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا مَسْكُوبُ ... حَرِبَتْ فَأَنْتَ بِنَوْمِهَا مَحْرُوبُ (٣)
وَكَذَاكَ مَنْ صَحِبَ الحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ ... تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبُ (٤)
يَا أَرْضُ وَيْحَكِ أَكْرِمِيهِ فَإِنَّهُ ... لَمْ يَبْقَ لِلْعَتَكِيِّ فِيكِ ضَرِيبُ (٥)
أَبْهَى عَلَى خَشَبِ المَنَابِرِ قَائِمًا ... يَوْمًا وَأَحْزَمُ إِنْ تَشُبَّ حُرُوبُ
إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا ... يَوْمَ ابْنُ حَفْصٍ فِي الدِّمَاءِ خَضِيبُ
لَا يَسْتَجِيبُ وَلَا يَحِيرُ لِسَانُهُ ... وَلَقَدْ يَحِيرُ لِسَانُهُ وَيُجِيبُ (٦)
غُلِبَ العَزَاءُ عَلَى ابْنِ حَفْصٍ وَالأَسَى ... إِنَّ العَزَاءَ بِمِثْلِهِ مَغْلُوبُ
إِذْ قِيلَ أَصْبَحَ فِي المَقَابِرِ ثَاوِيًا ... عُمَرٌ وَشُقَّ لِوَاؤُهُ المَنْصُوبُ
فَظَلَلْتُ أَنْدُبُ سَيْفَ آلِ مُحَمَّدٍ ... عُمَرًا وَعَزَّ هُنَالِكَ المَنْدُوبُ
فَعَلَيْكَ يَا عُمَرُ السَّلَامُ فَإِنَّنَا ... بَاكُوكَ مَا هَبَّتْ صَبًا وَجَنُوبُ

قال إسمعيلُ بنُ غَزْوَانَ : الأصواتُ الحسنةُ والعقولُ الحسانُ كثيرة ،

---

(١) الرساتيق : المدن
(٢) راجع ص ٢٢٨ من الجزء الأول
(٣) محروب : مسلوب
(٤) نكوب : يريد نكبات
(٥) الضريب : المثيل والنظير
(٦) يحير : يتحرك بالكلام

والبيان الجيد والجمال البارع قليل .

وذكر أبو الحارث (١) صاحب مسجد ابن رَغْبَان فقال : إنْ حدثته سابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكت عنه أخذ فى التُّرَّهَاتِ . (٢)

وقال أبو وَهْبٍ : أنا استثقل الكلام كما يستثقل حُرَيْثٌ السكوتَ . كما قال ابن شُبْرُمَةَ لإِيَاسِ بْنُ مُعاوِيَةَ : شكلى وشكلك لا يتفقان ! أنت لا تشتهى أن تسكت وأنا لا أشتهى أن أسمع !

وقال أبو مُقْبِل: بنُ دَرَسْتَ : إذا لم يكن المستمع أحرص على الإسماع من القائل على القول لم يبلغ القائل فى منطقه ، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالإسماع منه .

وقال ابْنُ بَشَّار البرْقِيّ : كان عندنا واحد يتكلم فى البلاغة فسمعته يقول : لو كنتُ أنا ليس أنا وأنا ابن من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه، فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه ! ؟

وقالوا : ثلاث يسرع بهن الخَلَف : الحريق والتزويج والحج .

قال المُهَلَّبُ : ليس شىء أنمى من بقية السيف . فوجد الناس تصديق قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من النماء .

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضى الله تعالى عنه : بقية السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً . ووجد الناس ذلك بالعيان للذى صار إليه ولده من نَهْكِ السيف وكثرة الذَّرْءِ وكرم النَّجْلِ .

قال الله تبارك وتعالى « وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ » وقال بعض الحكماء : (٣) قَتلُ البعض إحياء للجميع . وقال هَمَّامُ الرَّقَاشِيُّ :

أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّى مُغَلْغَلَةً   وَفى العِتَابِ حَيَاةٌ بيْنَ أَقْوَامِ (٤)

(١) ابو الحارث : هو جمين المعروف بالنوادر

(٢) الترهات : الاباطيل

(٣) هو أردشير بن بابك ملك الفرس

(٤) المغلغلة : الرسالة المتنقلة من بلد إلى بلد

قَدَّمْتَ قَبْلِى رِجَالاً لَمْ يَكُنْ لَهُمُ ... فى الحقِّ أنْ يَلِجُوا الأبْوَابَ قُدَّامى
لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ ... قَبْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الذَّامِ (١)
حَتَّى جَعَلْتُ إِذا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ ... بِبَابِ قَصْرِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْوَامِ

الحجاج وامرأة خارجية

وقال الحَجَّاجُ لامرأة من الخوارج : والله لا عدنكم عدًّا ولأحصدنكم حصداً ! فقالت : أنت تحصد والله يزرع ، فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق !

ولم يظهر من عدد القتلى مثل الذى ظهر فى آل أبى طَالِبٍ وآل الزُّبَيْرِ وآل المُهَلَّبِ . وقال الشاعر فى آل الزُّبَيْرِ :

آلُ الزُّبَيْرِ بَنُو حُرَّةٍ ... مَرَوْا بالسُّيُوفِ صُدُوراً حِنَاقَا (٢)
يَمُوتُونَ وَالقَتْلُ دَاءٌ لَهُمْ ... يُغِيثُونَ يومَ السِّبَاقِ السِّبَاقَا
إِذَا فَرَّجَ القَتْلُ مِنْ عِيصِهِمْ ... أَبَى ذَلِكَ العِيصُ إِلاَّ اتِّفَاقَا (٣)

إحترقت دار ثُمَامَةَ (٤) فقالوا له : ما أسرع خلَف الحريق! قال: فأنا أستحرق الله ! (٥) وقال ثُمَامَةُ : سمعت قاصًا بعَبَّادَانَ (٦) يقول فى دعائه : أللهم ارزقنا الشهادة وجميع المسلمين ! قال : وتساقط الذِّبان على وجهه فقال : الله أكبر كثر الله بكم القبور ! قال : وسمع أعرابى رجلا يقرأ سورة براءة فقال : ينبغى أن يكون هذا آخر القرآن ! قيل له : ولم ؟ قال : رأيت عهوداً تُنبذ ! وقال أبُو عَبْدِ العَزِيزِ : قال الغزَّالُ القَاصُّ فى قصصه : ليت الله لم يكن خلقنى وأنا الساعة أعور ! فحكيت

(١) منزل الذام : الموطن الذى يجلب الذم للانسان
(٢) مروا : مسحوا الحنق من الصدور
(٣) العيص : الشجر الملتف .
(٤) هو ثمامة بن اشرس النميرى المعتزلى
(٥) يقول هذا سخرية بقولهم
(٦) عبادان : بلد فى جزيرة بين النهرين

ذلك لِأَبى عَتَّابٍ الجزار فقال أبو عتاب : بئس ما قال !وددت والله الذى لا إله إلا هو أن الله لم يكن خلقنى وأنى الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين !

عمر والزبرقان والحطيئة

ولما استعدى الزبرقان على الحطيئة فأمر عمر بقطع لسانه ! قال الزبرقان : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تقطعه ! فان كنت لابد فاعلا فلا تقطعه فى بيت الزبرقان ! قيل له : إنه لم يذهب هناك ! إنما أراد أن يقطع لسانه عنك برغبة أو رهبة .

من كلام العرب

وتقول العرب : قتلت أرضٌ جاهلَها وقتل أرضاً عالِمُها .وتقول : ذبحنى العطش، والمسك الذبيح ، وركب بنو فلان الفلاة فقطع العطش أعناقهم . وتقول العرب : فلان لسان القوم ونابهم الذى يَفْتَرُّونَ عنه ، وهؤلاء أنف القوم وخراطيمهم ، و بيَانُ [(١)] لسان الارض يوم القيامة،وفلان اصطلمه الوادى ، وفلان عين البلد .

قال الأصمعى ، قال رجل لأبى عمرو بن العلاء : أكرمك الله ! قال: محدثة ! قال : وكان أبو عون يقول: كيف أنت أصلحك الله .

وكان الأَصمَعى يقول: قولهم : جُعلتُ فِداكَ وجعلنى الله فداك ، مُحْدَثٌ [(٢)] وقد روى علماء البَصْريين أن الحسن لما سمع صُراخا فى جنازة أم عَبْدِ الأعْلَى بن عبدِ اللهِ بن عامرٍ فالتفت قال له عبدُ الأعْلَى : جُعلت فداك ، لا والله ما أُمرتُ ولا شعرت . قال الأصمعىُّ : صلى أعرابىٌّ فأطال الصلاة و إلى جانبه ناس فقالوا : ما أحسنَ صلاته ! قال: وأنا مع هذا صائم ! قال الشاعر :

(١) بيان : صقع من سواد البصرة فى الجانب الشرقى من دجلة
(٢) يعنى أن هذه عبارات لم تكن تعرفها العرب

صَلَّى فأَعْجَبَنِى وَصَامَ فَرَابَنِى عَدِّ القَلُوصَ عَنِ المصَلِّى الصَّائِمِ (١)

وقال طاهرُ بنُ الحسين (٢) لابى عبدِ الله المرْوَزى: منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلتُ العراقَ منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة ! قال : يا أباعبد الله ، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين ؟ !

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عَوانةُ : قال زيادُ بنُ أبيهِ : من سعادة الرجل أن يطول عمره و يرى فى عدوه ما يسره . قال الباهِلى ، قيل لأعرابى: ما بال المراثى أجودَ أشعاركم ؟ قال: لأنا نقول وأكبادنا تحترق . قال أبو الحسن : كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا

(١) عد القلوص : يعنى مر به لئلا يسرقه هذا المصلى الصائم

(٢) هو الأمير طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الخزاعى بالولاء لأن رزيق كان مولى طلحة الطلحات الخزاعى . كان من أكابر أمراء الدولة العباسية وفحول قوادها . وكان يلقب « ذو اليمينين » وكان من أكبر اعوان المأمون . ولما خلع الأمين بيعة المأمون من ولاية العهد وجهز على بن عيسى ابن ماهان لقتال المأمون انتدب المأمون طاهراً لملاقاة على بن عيسى فلقيه بالرى وقتله واستولى على عسكره . وذلك فى سنة ١٩٥ وتقدم طاهر إلى بغداد واستولي على مافى طريقه من البلاد وحاصر الأمين ببغداد حتى قتله سنة ١٩٨ وحمل رأسه إلى خراسان ووضعه بين يدى المأمون . فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته . وكان طاهر شجاعا بطلا وفارسا كميا وقائدا دربا محنكا واديبا جلما وخطيبا مصقعا وكريما جواداً . وقيل له لما بلغ مابلغ من علو المنزلة فى الدولة : ليهنك ماادركته من هذه المنزلة التى لم يدركها احد من نظرائك بخراسان ؟ فقال : ليس يهنيني ذلك لأنى لاارى عجائز بوشنج يتطلعن إلي من اعالى سطوحهن إذا مررت بهن ! وإنما قال ذلك لأنه ولد ببوشنج ونشأ بها ، وكان جده مصعب واليا على بوشنج وهراة . وركب يوما حراقته فلما دنت من الشط اعترضه شاعر فقال له :

عجبت لحراقة ابن الحسين لا غرقت كيف لا تغرق
وبحران من فوقها واحد وآخر من تحتها مطبق
واعجب من ذلك اعوادها وقد مسها كيف لا تورق

واراد قتل خالد بن جيلويه الكاتب فبذل له اموالا كثيرة فلم يقبل فقال له خالد : اسمع منى ثم شانك :

زعموا بان الصقر صادف مرة عصفور برساقه المقدور
فتكلم العصفور تحت جناحه والصقر منقض عليه يطير
ما كنت ياهذا لمثلك لقمة ولئن شويت فاننى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده كرما فأفلت ذلك العصفور

فقال طاهر : أحسنت ، وعفا عنه . وكان مولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى بمرو سنة ٢٠٧ هـ

أن يكون راوية للمراثى ، قيل : ولم ذاك ؟ قيل : لأنها تدل على مكارم الأخلاق

عمر والشعر

وقال عُمرُ بْنُ الخَطَّابِ رضى الله تعالى عنه : من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم .

وقال شُعْبَةُ : (١) كان سماك بن حرب إذا كان له إلى الوالى حاجة قال فيه أبياتاً ثم يسأله حاجته .

لص ينطق بالحكمة

قال ابو الحسن: كان شِظَاظ (٢) لصاً فأغار على قوم من العرب ، فطرد نعمهم فساقها ليلته حتى أصبح ، فقال رجل من أصحابه : لقد أصبحنا على قصد من طريقنا! قال: « إن المحسن معان »

نجابة عبد الملك فى طفولته

وقال أبو الحسن : أربى غلام من بنى عَلِيّ على عبد الملك — وعبد الملك يومئذ غلام — فقال له كهل من كهولهم — لما رآه ممسكا عن جواب المُرْبى عليه: لو شكوتَه إلى عمه انتقم لك منه ! قال : أمسك يا كهل فانى لا أعدُّ انتقام غيرى انتقاماً!

قال أبو الحسن : خاض جلساء عبد الملك يوما فى قتل عثمان فقال رجل منهم: ياأمير المؤمنين، فى أى سنك كنت يومئذ؟ قال: كنت دون المحتلم ! قال: فمابلغ من حزنك عليه؟ قال : شغلنى الغضب له عن الحزن عليه !

وكان عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضى الله تعالى عنه إذا اشترى رقيقاً قال: اللهم ارزقنى

(١) هو شعبة بن الحجاج

(٢) كان شظاظ مولى بنى تميم لصا فاتكا خاربا وكان من اصحاب مالك بن الريب . وله احداث فى السرقة والاغارة . صلبه الحجاج . وهذه الكلمة التى قالها مَن أفضل ماقال إنسان

أنصحهم حياء وأطولهم عمراً . وكان إذا استعمل رجلا قال: إن العمل كِيرٌ فانظر كيف تخرج منه ! ؟

الكرخي المتفقه

ومضى أبو عَبْدِ الله الكَرْخِيُّ إلى الرَّبَضِ فجلس على بابه ونفش لحيته ، وادّعى الفقه ، فوقف عليه رجل فقال له : إني أدخلت إصبعي في أنفي فخرج عليها دم ! فقال : إحتجم ! قال : جلستَ طبيباً أو فقيهاً !؟ قالوا : بينا الشَّعْبي جالس في مجلسه وأصحابه يناظرونه في الفقه وإذا شيخ بقربه قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسه فقال له : إني أجد في قَفايَ حِكَّةً أفترى لي أن أحتجم ؟ قال الشعبي : ألحمد لله الذي حوّلنا من الفقه إلى الحِجَامة ! وذكر ناس رجلا بكثرة الصوم وطول الصلاة وشدّة الاجتهاد فقال أعرابي كان شاهداً لكلامهم : بئس الرجل هذا ! أيظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب . . . ! ؟

وقال ابنُ عَوْنٍ : أدركتُ ثلاثة يتشددون في السّماع (١) وثلاثة يتساهلون في الأغاني ، فأما الذين يتساهلون : فالحسَنُ والشّعبي والنَّخَعيُّ ، وأما الذين يتشددون: فمحمد بنُ سيرينَ والقاسمُ بنُ محمد(٢) ورجاء بنُ حيْوَةَ

وقال رجل من أصحاب ابنِ لِهَيْعَةَ : (٣) ما رأيت أحسن أدباً من عبدِ الله ابن المبارَكِ والمعافَى بنِ عِمْرَان ! قال أبو الحسن ، حدثني عبدُ الأعلى قال : رأيتُ الطِّرِمَّاح مؤدباً بالريِّ فلم أر أحداً آخذُ لعقول الرجال ولا أجذب لأسماعهم إلى حديثه منه ! ولقد رأيتُ الصبيان يخرجون من عنده كأنهم قد جالسوا العلماء .

وكان رجلٌ يبلغه كلام الحَسَنِ البصْرِيِّ ، فبينا الرجل يطوف بالبيت إذ سمع

(١) يريد سماع الأغاني

(٢) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

(٣) هو عبد الله بن لهيعة الحضرمي ، كان من المحدثين ، مات بمصر سنة ١٧٤ هـ

رجلا يقول : عجباً لقوم أُمروا بالزّاد ونُودى فيهم بالرّحيل وحُبس أولهم على آخرهم!
قال : فقلت فى نفسى : هذا الحسن !

قال : وأربعةٌ من قُرَيشٍ كانوا رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والأخبار : مَخْرَمَةُ بنُ نَوْفل بنِ وَهيْبِ بنِ عبد مناف بنِ زُهْرَة ، وأبوالجَهْمِ ابنُ حذَيفة بنِ غانمِ بنِ عامرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عوفٍ ، وحُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العزّى ، وعقَيلُ بنُ أبى طالبٍ .

وكان عقَيلٌ أكثرهم ذكراً لمثالبِ الناس فعادوه لذلك وقالوا فيه وحمّقوه ، وسمعتْ ذلك العامةُ منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول : قد سمعتُ الرجل يُحَمِّقه حتى ألّف بعضُ الأعداء فيه الأحاديث ، فمنها قولهم : ثلاثةٌ حُمقاء كانوا إخوة ثلاثةٍ عقَلاء والأم واحدة : علىٌّ وَعَقيلٌ وأُمهما فاطمةُ بنتُ أسدِ بنِ هاشمٍ ، وعُتبةُ ومعاويةُ ابنا أبى سفيانٍ وأمهما هندُ بنتُ عتبةَ بنِ رَبيعةَ(١) وعبدُ الملك ومعاويةُ ابنا مرْوَان وأُمهما عائشةُ بنتُ معاويةَ بن المغيرَة بن أبى العاص ! فكيف وجَعْدَةُ بنُ هُبيرَةَ يقول :

أَبِى مِنْ بَنِى مَخزومِ إنْ كنتَ سائلاً ... وَمِن هاشِمٍ أُمّى لَخَيْرُ قَبيلِ
فَمَنْ ذَا الذى يبْآى علىَّ بخالِهِ ... وَخالِى علىٌّ ذُو النّدَى وَعقيلُ(٢)

وقال قُدامةُ بنُ مُوسى بن قدامةَ بنِ مظْعونٍ :

وَخالِى بُغاةُ الخَيْرِ تَعْلَمُ أَنّهُ ... جَديرٌ بقَوْلِ الحَقِّ لاَ يَتَوعّرُ
وَجَدّى علىٌّ ذُو التُّقَى وَابْنُ أُمّهِ ... عَقيلٌ وَخَالِى ذُ الجَناحَيْنِ جعفَرُ
فَنَحْنُ وُلاَةُ الخَيْرِ فى كلِّ مَوْطِنٍ ... إذا ما وَنَى عَنْهُ رِجالٌ وقَصّرُوا

وقال حسّانٌ : (٣)

---

(١) ذكر ابن أبى الحديد ان عتبة لأم غير هند

(٢) يبآى : يفاخر

(٣) هذه قصيدة قالها حسان بن ثابت الانصارى يذكر فيها اصحاب اللواء يوم احد ، واولها :

منع النوم بالعشاء الهموم ... وخيال إذا تغور النجوم
من حبيب اصاب قلبك منه ... سقم فهو داخل مكتوم

إنَّ خالِي خَطيبُ جابيةِ الجوْ ... لانِ عندَ النعْمانِ حينَ يقومُ (١)
وَهوَ الصقْرُ عندَ بَابِ ابْنِ سَلْمَى ... يومَ نُعمانُ في الكُبولِ مُقيمُ (٢)
وَسَطَتْ نِسْبَتِي الذّوَائبَ مِنهُمْ ... كلُّ دَارٍ فيها أَبٌ لي عَظيمُ (٣)
وَأَبِي في سُمَيْحَةَ القائلُ الفا ... صِلُ يومَ التفّتْ عليهِ الخُصومُ (٤)
يَفْصِلُ القولَ بالبيانِ وَذُو الرأْ ... يِ مِنَ القومِ ظالِعٌ مَكعُومُ (٥)
تلكَ أفعالُهُ وَفعلُ الزِّبَعْرَى ... خَامِلٌ في صديقِهِ مَذْمُومُ (٦)
رُبَّ حِلْمٍ أَضاعَهُ عَدَمُ المَا ... لِ وَجَهْلٍ غَطّى عليهِ النَّعيمُ (٧)
وَلِيَ الناسَ مِنكمُ إذْ أَبيتُمْ ... أُسْرَةٌ مِنْ بَني قُصَيٍّ صَميمُ (٨)

بالقوم هل يقتل المرء مثلى ... واهن البطش والعظام سؤم
همها العطر والفراش ويعلو ... ها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولى من ولد الذ ... ر عليها لاندبتها الكلوم
لم تفقها شمس النهار بشيء ... غير ان الشباب ليس بدوم

(١) خاله : هو مسلمة بن مخلد بن الصامت . وجابية الجولان : قرية من اعمال دمشق قرب مرج الصفر في شمالى حوران

(٢) وهو الصقر . الرواية الصحيحة : وأنا الصقر . لأن حسان هو الذى وفد على النعمان ابن المنذر (ابن سلمي) اللخمى في شأن خلاص نعمان بن مالك وغيره ممن كانوا في حبسه فاطلقهم له . ثم ذكر من كانوا في حبس النعمان فقال :

وأبي ووافد اطلقا لى ... ثم رحنا وقفلهم محطوم
ورهنت اليدين عنهم جميعا ... كل كف فيها جز مقسوم

(٣) وسطت نسبتى : توسط نسبى . الذوائب : الأشراف

(٤) سميحة : اسم بئر بالمدينة اجتمعت عندها الأوس والخزرج في بعض حروبها في الجاهلية وحكمت المنذر جد حسان في شأنها

(٥) هذا البيت ليس في ديوانه المطبوع . ورواية الجاحظ له صحيحة

(٦) تلك افعاله . الرواية الصحيحة : تلك افعالنا . والزبعرى : هو والد عبد الله بن الزبعرى شاعر قريش قبل إسلامها

(٧) هذا بيت من غوالى الحكم

(٨) وفى الديوان :

ولى البأس منكم إذ حضرتم ... اسرة من بنى قصي صميم

وبعده :

تسعة تحمل اللواء وطارت ... فى رعاع من القنا مخزوم
لم يولوا حتى ابيدوا جميعا ... فى مقام وكلهم مذموم
بدم عاتك وكان حفاظا ... ان يقيموا إن الكريم كريم
واقاموا حتى ازيروا شعوبا ... والقنا فى نحورهم محطوم

وَقُرَيْشٌ تَجُولُ مِنَّا لِوَاذاً أَنْ يُقِيموا وَخَفَّ مِنْهَا الحُلُومُ (١)
لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ العواتِقُ مِنهمْ إنما يَحْمِلُ اللِّوَاءَ النُّجُومُ (٢)

عقيل بن أبي طالب

وكان عَقيل رجلا قد كُفَّ بصره وله بعدُ لِسانه ونسبهُ وأدبه وجوابه ، فلما فضلَ نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول ، وغاضبَ علياً وأقام بالشام فكان ذلك أيضاً أطلق للسان الباغي والحاسد فيه ، وزعموا أنه قال له مُعاوية : هذا أبو يَزِيدَ ولولا أنه علم أن أبى خيرٌ له من أخيه لما أقام عندنا وتركه ! فقال له عَقيلٌ : أخي خير لى فى ديني وأنت خير لى فى دنياى . وقال له مرة : أنت معنا يا أبا يَزيدْ؟ قال : ويوم بدر كنت معكم . . ! ؟

وقال مُعاويةُ يوماً : يا أهل الشام هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ » ؟ قالوا : نعم ، قال : فان أبا لهبٍ عمُّه ! فقال عَقيلٌ : فهل سمعتم قول الله عز وجل « وامرَأَتهُ حَمَّالَةَ الحطبِ » ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنها عمته ! قال مُعاويةُ : حَسبُنا ما لقينا من أخيك ! ؟

وذكروا أن امرأة عَقيلٍ وهى فاطمة بنت عُتبة بن رَبيعْة قالت : يابنى هاشم لا يحبكم قلبي أبداً ! أين أبى ، أين عمى ، أين أخى ؟ (٣) كأن أعناقهم أباريق الفضة تَرد أنفهم قبل شفاههم ! قال لها عَقيلٌ : إذا دخلت جهنم فخذى على شمالك !

وقيل لعمر رضى الله تعالى عنه : فلان لا يعرف الشر ! قال : ذلك أجدر أن يقع فيه ! وسمع أعرابيٌّ رجلا يقرأ : « وحَمَلْنَاهُ على ذاتِ أَلْوَاحٍ ودُسُرٍ تجرى

(١) فى الديوان : « وقريش تحول » و « لم يقيموا »
(٢) العواتق جمع عاتق وهو ما بين كتف الانسان وعنقه . والنجوم ههنا يراد بها أشراف الناس
(٣) قتلوا جميعا يوم بدر . فأما ابوها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فقتله عبيدة بن الحارث بن المطلب واما عمها شيبة بن ربيعة فقتله حمزة بن عبد المطلب ، وأما أخوها الوليد بن عتبة بن ربيعة فقتله على بن ابى طالب

بأعيُنِنا جزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرْ » قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابى : لايكون! فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابى : يكون .

تشابه من الشعر

قال الشاعر :

بَدَا البَرْقُ مِنْ نَحْوِ الحِجازِ فشاقَنِي ... وَكلُّ حِجازِيّ لهُ البرْقُ شائقُ [١]

سَرَى مِثْلَ نَبْضِ العِرْقِ وَاللَّيلُ دُونَهُ ... وَأعْلامُ أَبْلَى كلُّها وَالأَسالِقُ [٢]

وقال الآخر :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ الليلِ يَلمَعُ ... سَرَى دائباً فيها يَهُبُّ وَيَهْجَعُ

سَرَى كاحْتِسَاءِ الطيرِ والليلُ ضارِبٌ ... بأَرْوَاقِهِ وَالصُّبْحُ قَدْ كادَ يَسطَعُ

المنصور والشاب الهاشمي

حدثني إبراهيمُ بنُ السِّنْدِيِّ عن أبيه [٣] قال : دخل شابٌ من بنى هاشم على المنصورِ فسأله عن وفاة أبيه ؟ فقال : مَرِضَ أبى رضى الله تعالى عنه يوم كذا ومات رضى الله تعالى عنه يوم كذا ، وترك رضى الله تعالى عنه من المال كذا ومن الولد كذا ! فانتهره الربيعُ وقال : بين يدى أميرالمؤمنين تُوالى بالدعاء لأبيك ! فقال الشاب : لا ألومك لأنك لم تعرف حلاوة الآباء ! [٤] قال : فما علمنا أن المنصور ضحك فى مجلسه ضِحكا قطّ افترّ عن نواجذه إلا يومئذ .

آداب الملوك

وحدثنى إبراهيم بن السندى عن أبيه قال : دخل شاب [٥] من بنى هاشم على المنصور فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه فقال للفتى : أُدْنُهْ ؟ فقال لقد تغدّيت

(١) شاقه : بعث فيه الشوق

(٢) ابلى جبل من جبال بين مكة والمدينة

(٣) كان ابوه السندى بن شاهك مولى ابى جعفر المنصور وكان على عقل وادب مرضى

(٤) لأن الربيع بن يونس كان يغمز فى نسبه من ابيه

(٥) زعم صاحب كتاب المحاسن والمساوي ان هذا الشاب هو محمد بن عيسى بن على العباسى الهاشمى

يا أمير المؤمنين ! فكف عنه الربيع حتى ظننا أنه لم يفطن لخطابه . فلما نهض للخروج أمهله فلما كان من وراء الستر دفَعَ فى قفاه ! فلما رأى ذلك الحجّاب منه دفعوا فى قفاه حتى أخرجوه من الدار ! فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الرّبيع إلى المنصور ، فقال المنصور : إن الربيع لا يُقدم على مثل هذا إلا وفى يديه حُجة فإن شئتم أغضيتم على مافيها وإن شئتم سألته وأنتم تسمعون ! قالوا : فاسأله ؟ ودعا الرّبيع وقصوا قصته فقال الرّبيع : هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف ، فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قريب ، ثم أمره بالجلوس ، ثم تبذّل بين يديه وأكل ، ثم دعاه إلى طعام ليأكل معه من مائدته فبلغ به الجهل بفضيلة المرتبة التى صيّرَه فيها إلى أن قال حين دعاه إلى غدائه : قد تغديت ! وإذاً ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سدّ خلة الجوع ! ومثل هذا لا يقوّمهُ القول دون الفعل.

حدثنى إبراهيم بنُ السّندى عن أبيه قال : والله إنى لواقف على رأس الرّشيد والفضلُ بنُ الربيع واقف فى الأيسر ، والحسنُ اللُّؤلُؤى يسائله ويحدثه عن أمور وكان آخر ما سأله عن بيع أمهات الأولاد ! فلولا أنى ذكرت أن سلطان ماوراء الستر للحاجب وسلطان الدار لصاحب الحرس وأن سلطانى إنما هو على من خرج من حدود الدار ، لقد كنت أخذت بضبعه وأقمته ! فلما أن صرنا وراء الستر قلت له والفضل يسمع : أما والله لو كان هذا منك فى مسايرة أو موقف لعلمتَ أن للخلافة رجالا يصونونها عن مجالسك ! ؟ (١)

وحدثنى ابراهيمُ بنُ السّندى قال : بينا الحسنُ اللُّؤلؤى فى بعض الليالى بالرّقة يحدث المأمون — والمأمونُ يومئذ أمير — إذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤى : نمت أيها الأمير ! ففتح المأمون عينه وقال : سوقى والله ! خذ ياغلام بيده ؟ قال : وكنا يوماً عند زيادِ بن محمد بنِ منصورِ بنِ زيادٍ ـ وقد هيأ لنا الفضلُ بن محمد طعاما ومعنا فى المجلس خادمٌ وكان لا يُتهم ـ فجاء رسول الفضلِ إلى زيادٍ

(١) قال له هذا لان من سوء الادب ان يخاطب الرشيد في هذا الشأن وهو يعلم ان الرشيد لام ولد وهى الخيزران .

فقال: يقول لك أخوك: قد أدرك طعامنا فتحولوا؟ ومعنا فى المجلس ابراهيم النظّام وأحمدُ بن يوسف وقُطربُ النحوى، فى رجال من أدباء الناس وعلمائهم، فما منا أحد فطن لخطأ الرسول! فأقبل عليه مبشر الخادم فقال: يا ابن اللخناء، تقف على رأس سيدك فتستفتح الكلام كما يستفتحه الرجل من عُرض الناس!؟ ألا تقول: ياسيدى يقول لك أخوك: ترى أن تصير إلينا بإخوانك فقد تهيأ أمرنا!؟

يجب للأديب ما يجب للملك من حقوق الخدمة

وابتعت خادماً كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك، فمر به خادم من معارفه ممن خدم الملوك فقال: إن الأديب — وإن لم يكن ملكا — فقد يجب على الخادم أن يَخْدُمَهُ خدمة الملوك، فانظر أن تَخْدُمَه خدمة تامة! قلت له: وما الخدمة التامة؟ قال: الخدمة التامة أن تقوم فى دارك لبعض الأمر وبينك وبين النعل ممشى خمس خُطى فلا يدعك أن تمشى إليها ولكن يأخذها ويدنيها منك! ومَن كان يضع النعل اليسرى قدام الرجل اليمنى فلا ينبغى لمثل هذا أن يدخل دار ملك ولا أديب، ومن الخدمة التامة أن يكون إذا رأى متكئاً يحتاج إلى مخدَّة أن لاينتظر أمرك! ويتعاهد لِيقَةَ الدواة قبل أن تأمره أن يصب فيها ماء أوسواداً وينفض عنها الغُبار قبل أن يأتيك بها، وإن رأى بين يديك قرطاساً على طيه قطع رأسه ووضع بين يديك على كسره، وأشباه ذلك.

ولما كلم عُروَةُ بنُ مسعود الثَّقَفِيُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك ربما مس لحيةَ النبى صلى الله عليه وسلم، فقال له المغيرةُ بنُ شُعبةَ: نحِّ يدك عن لحيةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لاترجع إليك يدك! فقال عُرْوة: يا غُدَرْ، وهل غسلتَ رأسك من غَدرتك إلا بالأمس!؟ (١)

ونادى رجالٌ من وفد بَنِى تميمٍ النبيَّ صلى الله عليه وسلم باسمه من وراء

(١) زعموا ان المغيرة صحب ناسا فى ايام الجاهلية فى تجارة إلى مصر فلما كانوا ببعض الطريق قتلهم واخذ اموالهم ثم ذهب فأسلم

الحُجُراتِ فقال الله تعالى « إن الذين يُنادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلونَ » وقال الله عز وجل ذكره « لاتجعلوا دُعاء الرسولِ بينكم كدُعاء بَعْضِكمْ بعضاً ». وقال ابنُ هَرْمَةَ أو غيره : (١)

للهِ دَرُّ سَمَيْذَعٍ فَجَعَتْ به يومَ البَقيعِ حَوادِثُ الأيَّامِ (٢)

هَشٍّ إذَا نَزَلَ الوُفودُ بِبابهِ سَهْلِ الحِجابِ مُؤَدَّبِ الخُدَّامِ (٣)

فاذا رَأَيْتَ شَقيقَهُ وَصديقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أخُو الأرْحَامِ (٤)

من نوادر الأعراب

قال أبو الحسن : بينا هِشامٌ يسير ومعه أعرابى إذ انتهى إلى ميل عليه كتاب فقال للأعرابى . أنظر أىُّ ميل هذا ؟ فنظر ثم رجع اليه فقال : عليه مِحْجَنٌ وحلْقة وثلاثة كأطْباءِ الكلبةِ ورأسٌ كأنه رأس قَطاة ! فعرفه هِشامٌ بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابى ، وكان عليه « خمسة » وهى من نوادر الأعراب .

إستشهدوا أعرابياً على رجل وامرأة فقال : رأيته قد تقمَّصها يحفزها بمؤخره ويجذبها بمقدمه ! وخفى علىَّ المسلك . وقال آخر : رأيته قد تبطنها ورأيتُ خلخالها شائلا وسمعتُ نفَساً عالياً ! ولا علم لى بشىء بعدُ . (٥)

وقال أعرابى : رأيت هذا قد تناول حجراً فالتفَّ بهذا ! وحجز الناسُ بينهم وإذا هذا يستدمى !

(١) الشعر لمحمد بن بشير الخارجي ، نسبة إلى بنى خارجة بن عدوان ، كان شاعرا فصيحا مطبوعا من شعراء الحجاز فى عهد الدولة الاموية ، وكان كثيرا ما يذهب إلى بوادي المدينة ويلقى الاعراب وكان انقطاعه إلى ابى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى ، وله فيه مدائح جيدة ومراث مختارة فى خير شعره .

(٢) ويروى : نعم الفتى فجعت به إخوانه

(٣) ويروى : سهل الفناء إذا حللت ببابه طلق اليدين مؤدب الخدام

(٤) ويروى : وإذا رايت صديقه وشقيقه لم تدر ايهما ذوو الارحام

(٥) يظهر ان هؤلاء هم الذين شهدوا على المغيرة امام عمر

كلام في الشيب

وقال بعضهم : ألشيب نذير الآخرة . وقال قَيْسُ بنُ عاصِم : ألشيب خطام المنية . وقال آخر : ألشيب توْأَمُ الموت . وقال الحكيم : شيب الشَّعَرِ موت الشَّعر وموت الشعر علةُ موت البشر . وقال المُعْتَمِرُ بنُ سليمان : ألشيب أول مراحل الموت . وقال السَّهْمِيُّ : ألشيب تمهيد الحِمام . وقال العَتَّابيُّ : ألشيب تاريخ الكتاب .(١) وقال النَّمري : ألشيب عنوان الكبر . وقال عَدِيُّ بنُ زَيدٍ العِبادِيُّ :

وَابْيِضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذُرِ الشَّـ ـرِّ وَهَلْ مِثْلُهُ لِحَيٍّ نَذِيرُ ؟

وقال الآخر :

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فى المفارِقِ شاعا وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بَيَاضٍ قِناعا
ثُمَّ وَلَّى الشَّبَابُ إلا قليلاً ثُمَّ يأْبَى القَلِيلُ إلا النِّزاعا

كلمات لأشعب

وقال رجل لِأشعب :(٢) ما شكرتَ معروفى عندك ! قال : لأن معروفك جاء من عند غير مُحْتسب فوقع إلى غير شاكر ! وخفف أشعب الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد : خففت صلاتك جداً ! فقال : لأنه لم يخالطها رياء .

كلام لبعض المتكلمين من الخطباء

ألحمد لله كما هو أهله والسلام على أنبيائه المقربين الطيبين ، أخى ، لا تغترّ بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تُعملن نعمة الله فى معصيته ، فان أقل

(١) تاريخ الكتاب لانه يكتب فى آخره

(٢) هو اشعب بن جبير . المشهور بالطمع وله فيه احاديث ونوادر كثيرة . وكان ابوه خرج مع المختار بن ابي عبيد الثقفى وقتله مصعب بن الزبير . ونشأ اشعب بالمدينة فى كفالة عائشة بنت عثمان ابن عفان وفى خدمتها . وكان خفيف الروح حاضر الجواب جيد النكتة

ما يجب لمهديها ألا تجعلها ذريعة فى مخالفته، واعلم أن النِّعَمَ نَوَافِر، ولَقَلَّمَا أقشعت[1] نافرةٌ فرجعت فى نِصابها ، فاستدعِ شاردها بالتوبة ، واستدِمِ الرَّاهن منها بكرم الجِوار ، واستفتِح باب المزيد بحسن التوكل ، ولا تحسَب أن سُبوغَ سِتْر نِعَم الله عليك غير مُتقلِّص عما قريب إذا لم ترجُ لله وقاراً ، وإنى لأخشى أن يأتيك أمر الله بغتة أو لإملاء[2] فهو أولى مغبةً وأثبت فى الحجة ، ولأنْ لا تعلم ولا تعمل خيرٌ من أن تعلم ولا تعمل ! إن الجاهل العامل لم يُؤتَ من سوء نية ولا استخفاف بربوبية ، وليس كمن قهرته الحجة وأعربَ له الحق مُفصحاً عن نفسه فآثر الغفلة والخسيسَ مِن الشهوة على الله تبارك وتعالى ، فأسمحت[3] نفسه عن الجنة وأسلمها لأبَدِ العُقوبة ، فاستشر عقلك وراجع نفسك وادرُس نِعَمَ الله عليك وتذكر إحسانَه إليك فانه مجلبةٌ للحياء ومَرْدَعة للشهوة[4] ومشحذةٌ على الطاعة ، فقد أظَلَّ البلاء أو كأنْ قَدِ ! فكفكِف عنك غَرْب شؤْبوبه وجوائح سطواته بسرعة النَّزْع وطول التَّضرُّع .

ثلاثٌ هى أسرعُ فى العقل من النَّار فى يبيس العَرْفَج :[5] إهمالُ الفكرة وطولُ التمنى والاستغرابُ فى الضحك ، إنَّ الله لم يخلقِ النَّارَ عبثاً ولا الجنة هملا ولا الانسانَ سُدَّى ! فاعترف رِقَّ العبودية وعجزَ البشرِيَّةِ ، فكلٌّ زائد ناقصٌ وكلُّ قرينٍ مُفارَقٌ ، وكلُّ غنِىٍّ محتاجٌ وإنْ عصَفَتْ بِهِ الخُيلاء وأبطَرَهُ العُجْبُ وصال على الأقران فإنَّهُ مُذالٌ مُدبِرٌ ومقهورٌ مُيَسَّرٌ ، إن جاع سَخِطَ المِحْنَةَ وإن شبع بَطِرَ النِّعمة ، تُرْضيه اللَّمْحَةُ فيستَشْرِى مرحاً ، وتُغضبه الكلمة فيستطير شفقاً[6] حتى تنفَسِخ لذلك مُنَّتُه[7] وتنتقض مَرِيرَتُه وتضطرب

(١) اقشعت : زالت

(٢) لاملاء : لتراخ مع الزمن

(٣) اسمحت : رضيت بتركها

(٤) مردعة : كافة وازعة

(٥) العرفج : شجر سريع الاحتراق

(٦) شفقا : خوفا وحذراً

(٧) منته : قوته

فريضته وتنتشر عليه حجته ، والعجب من لبيب توبقه الحياطة ويسلم مع الاضاعة ويُؤتى من الثقة ولا يشعر بالعاقبة ! إن أهمل عَمِيَ وإن علم نسيَ ! كيف لم يتخذ الحقَّ مَعْقِلاً يُنجيه(١) والتوكّلَ ذائداً(٢) يحميه ! أعميَ عن الدلائل وعن وضوح الحجة ! أم آثرَ الخسيسَ على الأجَلِّ النفيسْ ! وكيف توجد هـذه الصفة مع صحة العقيدة واعتدال الفطرةِ ! وكيف يشير رائدُ العقل بإيثار القليل الفانى على الكثير الباقى ؟ !

وما أظن الذى أقعدك عن تناول الحظ مع قرب مجناه — حتى صار لا يثنيك زجرُ الوعيد ولا يقدح فى عزماتك فوتُ الجنّة ، وحتّى ثقلت على سمعك الموعظة ونأت عن قلبك العبرةُ — إلا طول مجاورة التقصير واعتياد الراحةِ والأُنْسُ بالهُوَيْنا(٣) و إيثار الأخفِّ وإلفُ قرينِ السوء ! فاذكر الموت وأدم الفكرة فيه فان من لم يعتبر بما رأى لايعتبر بما لايرى ، وإن كان ما يوجد بالعيان من مواقع العبرة لايكشف لك عن قبيح ما أنت عليه وهُجْنةِ(٤) ما أصبحت فيه من إيثار باطلك على حق الله واختيار الوَهن(٥) على القوة والتفريطِ على الحزم والاشفاق على الدون واصطناع العار والتعرض للمقتِ و بسط لسان العائب — فمستنبطات الغيب أحرى بالعجز عن تحريكك ونقلك عن سوء العادة التى آثرتها على ربك فاستحى للبُّكَ واستبق ما أفضل الخِذلانُ من قوّتك ، قبل أن يستولى عليه الطبع ويشتد عليه العجز ، أو ماعلمتَ أنَّ المعصية تثمر المذلة وتَفُلُّ غَرْبَ اللسان(٦) مع السلاطة ! بل ماعلمتَ أنَّ المُسْتَشعر بذل الخطيئة المخرجَ نفسه من كَنَفِ العِصْمة المُتحلى بِدَنَسِ الفَاحشة قَطِفُ الثناء زَمِرُ المُرُوءةِ قصيُّ المجلس

(١) معقلا : ملجأ

(٢) ذائدا : مدافعا

(٣) الهوينا : التهاون والاهمال

(٤) الهجنة : القبيح

(٥) الوهن : الضعف

(٦) تفل غرب اللسان : تثلم حده

لايشاوَرُ وهو ذو بَذْلاء[١] ولا يصدَّر وهو جميلُ الرُّواء ! يسالم من كان يسطو عليه ، ويضرعُ لمن كان يرغبُ إليه ، يَجْذَل[٢] بحاله المُبغضُ الشانى ويُثلبُ بقربه القريبُ الدانى ! غامضُ الشخص ضئيل الصوت نَزْرُ الـكلام متلجلجُ الحجة ، يتوقعُ الإسكات عند كل كلة وهو يرى فضلَ مزيته وصريح لُبه وحُسن فضيلته ، ولـكن قطعهُ سوء ماجَنى على نفسه ولولم تطَّلع عليه عيون الخليقة ، لهجت العقول بإدهانه[٣] وكيف يمتنع من سقوط القدر وظن المُتفَرِّس من عَرِى من حلية التقوى وسُلب طائع الهدى ! ولولم يَتَغَشَّهُ ثوبُ سريرته وقبيحُ مااحتجن[٤] إليه من مخالفة ربه لأضرعته الحجة[٥] ولفسخهُ وهنُ الخطيئة ولقطعه العلم بقبيح ما قارف[٦] عن اقتدار ذوى الطهارة فى الـكلام وإدلال أهل البراءة فى النداء ! وهذه حال الخاطىء فى عاجل الدنيا ، فاذا كان يوم الجزاء الأكبر فهو عانٍ لايُفك[٧] وأسيرٌ لايُفادى وعاريةٌ لاتؤدَّى ، فاحـذر عادةَ العجز وإلفَ الفُكاهة وحب الـكفاية ، وقلة الاكتراث للخطيئة والتأسف على الفائت منها وضعف الندم فى أعقابها .

أخى ، أنعى إليك القاسى فانه ميت وإن كان متحركا ، وأعمَى وإن كان رائياً ، فاحذر القسوة فانها رأس الخطايا وأمارة الطبع ، وهى الشوهاء العاقر والداهية العُقام ! وأراك تركض فى حبائلها وتستقبسُ من شررها ، ولا بأس أن يعظ المُقصِّرُ مالم يكن هاذياً ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، ورُبَّ حامل علم إلى من هو أعلم منه ! علمَّنا الله وإياكم مافيه نجاتنا وأعاننا وإياكم على تأدية ما كلفنا ، والسلام .

***

(١) قطف الثناء : ضعيفه . زمر المروءة : لئيم . بذلاء : هيئة

(٢) يجذل : يفرح

(٣) الادهان : المصانعة

(٤) احتجن : اخفى

(٥) لأضرعته : لأذلته

(٦) قارف : ارتكب من الاثم

(٧) عان : مقيدبذنوبه

قال : وقلت لِحُبَابٍ : إنك تكذب فى الحديث ![1] فقال : وما عليك إذا كان الذى أزيد فيه أحسن منه ! فوالله ما ينفعك صدقه ولا يضرك كذبه ، وما يدور الأمر إلا على لفظ جيد ومعنى حسن ! ولكنك والله لو أردت ذلك لتلجلج لسانك وذهب كلامك .

نوادر لبعض الأعراب

قال أبو الحسن : سمع أعرابىٌّ رجلا يقول : أشهدُ أنَّ محمداً رسولَ اللهِ ! قال : يفعل ماذا !؟[2] وكان يقالُ : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره .

أبو الحسن قال : قرأ رجل فى زمن عُمَرِ بْنِ الخطَّاب رضى الله تعالى عنه « فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ » غفورٌ رَحِيمٌ ! فقال الأعرابى : لايكون ![3]

واعظ بين يدى المهدى

قال : ودخل على المَهْدِىِّ صالح بْنُ عَبْدِ الجليل فسأله أن يأذن له فى الكلام فقال : تكلم ؟ فقال : إنَّا لمَّا سُهِلَ علينا ما توعَّر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم باظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى عند انقطاع عذر الكتمان فى التَّقِيَّة[4] ولا سيما حين اتَّسمتَ بميسم التواضع ووعدت الله وحملة كتابه إيثارَ الحق على ما سواه ، فجمعنا وإياك مشهدٌ من مشاهد التمحيص ليتم مُؤدينا عَلَى موعود الأداء عنهم وقابلُنا على موعد

(١) يريد بالحديث ههنا ما يرويه من اخبار الناس واقوالهم

(٢) يعنى أن خبر إن غير حاصل

(٣) يريد الأعرابى أن المقام ليس مقام رحمة وغفران ، وقد فطن لذلك بسلامة طبعه وصحة سليقته ، فقراءة الآية على هذه الصورة خطأ ، والصواب : « فاعلم ان الله عزيز حكيم » وهذا هو مقتضى المقام

(٤) التقية : الامساك عن إبداء الراى أو المذهب خوف السلطان

القبول، أو يردنا تمحيص الله إيانا فى اختلاف السر والعلانية ويحلينا بحلية الكاذبين ! فقد كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مَن حَجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذاباً من أقبل إليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى اللهُ إليه علماً فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها ، فاقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل لاقبولا فيه سُمعة ورياء ، فانه لايخلفك منا إعلام لما تجهل أو مُواطأة على ما تعلم ، أو تذكير لك من غفلة ، فقد وطّن الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على نزولها تعزية عما فات وتحصيناً من التمادى ودلالة على المخرج فقال : « وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » فاطلع الله على قلبك بما ينور الله به القلوب من إيثار الحق ومُنابذة الأهواء ، فانك إن لم تفعل ذلك يُرى أثرك وأثرُ الله عليك فيه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

تعزية معاوية عن سن سقطت له

قال : ودخل رجل على مُعاوية وقد سقطت [بعض] أسنانه فقال : يا أمير المؤمنين إن الأعضاء يَرث بعضها بعضاً ، فالحمد لله الذى جعلك وارثها ولم يجعلها وارثتك .

تأبين عمر بن عبد العزيز لابنه

وحدثنا إسماعيلُ بن عُلَيَّة قال ، حدثنا زياد بنُ حسّان : أنه شهد عُمَرَ بن عبدِ العزيز حين دفن إبنه عبدَ الملك فلما سوّى عليه قبره بالأرض وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه و بين القبلة ، واستوى قائما وأحاط به الناس قال : رحمك الله يابنى ، فقد كنت برّاً بأبيك ، وما زلتُ مذ وهبك الله لى بك مسروراً ، ولا والله ما كنت

قط مسروراً بك ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى الموضع الذى صَيَّرَكَ الله إليه ، فغفر الله لك ذنبك وجازاك بأحسن عملك وتجاوز عن سيآتك ورحم الله كلّ شافع يشفع لك بخير مِن شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلّمنا لأمره ، فالحمد لله رب العالمين . ثم انصرف

حديث عمرو بن معاوية

عن طارق بْنِ الْمُبَارَكِ عن أبيه[١] قال : قال لى عَمْرو بْنُ معاويةَ بْنِ عُتْبَةَ : جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثيرُ العيال منتشرُ الأموال ، فكنت لا أكونُ فى قبيلة إلاّ شُهِرَ أمرى [وعرفت][٢] فلما رأيت ذلك عزمتُ[٣] على على أن أفدِىَ حُرَمى بنفسى![٤] قال المبارك : فأرسل إلىّ أن وافنى عند باب الأمير سُلَيْمَانِ بن على .[٥] قال : فأتيته ، فاذا عليه طَيْلَسَانٌ أبيض مُطَبَّقٌ وسراويل وشْيٍ مَسْدولٌ . قال : فقلت : ياسبحان الله ! ما تصنع الحداثة بأهلها[٦] إن هذا ليس من لباس اليوم ! قال : لا والله ولكن ليس عندى ثوب إلا أشهر مما ترى[٧] قال : فأعطيته طيلسانى وأخذت طيلسانه ، ولويتُ سراويله إلى ركبتيه قال : فدخل ثم خرج إلىّ مسروراً ، قال : فقلتُ له : حدثنا ماجرى بينك وبين الأمير ؟ قال : دخلت عليه — ولم يرني قبل ذلك[٨] — فقلت أصلح الله

(١) وفى رواية ابى الفرج عن طارق بن المبارك عن ابيه قال : جاءنى رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة (بن ابى سفيان) فقال لي يقول لك عمرو : قد جاءت ، الخ

(٢) الزيادة عن الاغانى

(٣) فى الاغانى : وقد اعتزمت

(٤) في الاغاني : وانا صائر إلي باب الامير سليمان بن على فصر إلي فوافيته .

(٥) كان بالاصول : سليمان بن عبد الملك . وهو خطا ظاهر

(٦) رواية الاغاني : أبهذا اللباس تلقي هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فيه ؟

(٧) كان بالاصول : ولكن ليس عندى ثوب إلا اشهى ما ترى . وهذا خطأ . وما اثبتناه اشكل بالصواب

(٨) رواية الاغاني : ولم تتراه قط .

الأميرَ ، لَفَظَتني البلادُ إليك[(١)] ودلني فضلك عليك ، فإما قتلتني غانماً[(٢)] وإما رددتني سالما ! قال : من أنت[فما] أعرفك ؟[(٣)] قال : فانتسبتُ له ، فقال : [مرحبابك][(٤)] أقعد فتكلم [آمناً] غانماً سالما . ثم أقبل عليّ فقال : ماحاجتك[(٥)] يا ابنَ أخي ؟ قال : فقلت : إن الحُرَم اللاتي أنت أقربُ الناس إليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا ، قد خِفْن لخوفنا ، ومن خاف خِيف عليه ! قال : فوالله ما أجابني إلا بدموعه [على خديه] . فقال : يا ابن أخي ، يَحْقِنُ الله دمَك ويحفظ[ك في] حرمك ، ويوفر عليك مالك . [والله] لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلتُ . قال : فقلت : أكون متوارياً أو ظاهراً ؟ فقال : كن متوارياً كظاهر [وآمناً كخائف ولتأتني رقاعك ، قال] : فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه . قال : فلما فرغ من الحديث رددت إليه طيلسانه ، فقال : مهلاً فان ثيابنا إذا فارقتنا لم ترجع إلينا .

بعض أحاديث النوكى

ومن أحاديث النوْكى حُدثت عن أبي سعيد الرفاعي أنه سُئل عن الدُّنيا والدّايِسَة فقال : أما الدُّنيا فهذه التي أنتم فيها ، وأما الدّايِسَةُ فهي دار بائنة من هذه الدار لم يسمع أهلها بهذه الدار ولا بشيء من أمرها ، إلا أنه قد صح عندنا أن بيوتهم من قثاء وسقوفهم من قثاء وأنعامهم من قثاء وهم في أنفسهم من قثاء ، وقثاؤهم أيضاً من قثاء ! قالوا له : يا أبا سعيد ، زعمت أن أهل تلك الدار لم يسمعوا بهذه الدار ولا بشيء من أمرها ، وكذلك نحن لهم ! وأراك تخبرنا عنهم بأخبار كثيرة ! قال : فمن ثمة أعجب زيادة ...!؟

---

(١) في الاصول : لفظني البلاد إليك ، والتصويب عن الاغاني

(٢) كان بالاصول : فاما قبلتني غانما .

(٣) كان بالأصول : من انت اعرفك

(٤) الزيادة عن الأغاني

(٥) كان بالأصول : فقال حاجتك

قالوا : ذم رجل عند الأحنفِ الـكمأَةَ بالسَّمن ، فقال : رُبَّ ملوم لا ذنب له

وعن شَيْبَةَ بْنِ عِقَالٍ أن رجلا قال فى مجلس عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زيادٍ : ماأطيب الأشياء ؟ فقال رجلا : ماشيء أطيبُ من تمرة برسيان كأنها من آذان النوكى علينها بزبدة ! وقال أَوْسُ بْن حَارِثَةَ لابْن عامر :

طَلَّتْ عِقَابُ النوْكِ تخْفقُ فوقَهُ ... رِخْوٌ طَفَاطِفُهُ قَدِيمُ الْمَلْعَبِ[1]

قد ظَلَّ يُوعِدُنى وَعيْنُ وَزيرِهِ ... خَضْراءُ خَاشِعَةٌ كَعَيْنِ الْعَقْرَبِ

يعنى بوزيره عبدالله بن عُمَيْرٍ اللَّيْثِىَّ ، وكان أخاه لأمه ، أمهما دَجَاجَة بنت أَسْماء السُّلَمية .

وقال ابْنُ مُناذِرٍ[2] فى خالدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْن طُلَيْقٍ الخزاعِيِّ ، وكان

---

(١) طفاطفه : أطراف الجنب المتصلة بالاضلاع

(٢) هو محمد بن مناذر الشاعر . مضت ترجمته في ص ٣٢ من الجزء الأول . ولما فتك بعد نسكه وعظه المعتزلة ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم وكان يأخذ المداد فيطرحه في مطاهرهم بالليل فاذا توضئوا به سود وجوههم وثيابهم . وقد ذكرت له قطعة من الشعر فى ص ١٧٠ من هذا الجزء تحتاج إلى فضل بيان . وسببها أنه كان يميل إلى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وكان أخوه أبو الصلت محمد ابن عبد الوهاب يعاديه من أجل ذلك فكان ابن مناذر يهجوه وكان كل واحد منهما يطلب المكروه لصاحبه ويسعى عليه فدخل محمد بن عبد الوهاب مسجد البصرة فاذا به يرى ابن مناذر ومعه دفتر ينظر فيه وكان فى الدفتر كتاب العروض بدوائره ، ولم يكن محمد بن عبد الوهاب يعرف العروض فجعل يلحظه ويقرؤه ولا يفهمه وابن مناذر يعلم امره ويتغافل عنه ، فقال له محمد بن عبد الوهاب : ما فى كتابك هذا ؟ فخبأه في كمه وقال : وأى شئ عليك مما فيه ! فتعلق به ولببه فقال له ابن مناذر : يا أبا الصلت ، الله الله فى دمي ! وطمع فيه وصاح يازنديق ! فى كمه الزندقة! فاجتمع الناس إليه فاخرج الدفتر من كمه وأراهم إياه فعرفوا براءته مما قذفه به ووثبوا على محمد بن عبد الوهاب واستخفوا به فوثب يجرى . وقال ابن مناذر يهجوه :

إذا انت تعلقت بحبل من أبى الصلت
تعلقت بحبـل وا هن القوة منبت
إذا ما بلغ المجـد ذوو الأحساب بالت
تقاصرت عن المجـد فما امرك بالثبت
ولا فرعك فى العيـ دان عود ناضر النكت
وما يبقى لـكم ياقوم من أنفسـكم نحتى

المَهْدِيُّ استقضاه وعزل عُبَيْدَ اللهِ بْنَ الحَسَنِ العَنْبَرِيَّ :(١)

أَىُّ دَهْرٍ نَاوالدَّهْرُ لَيْسَ بمُعْتِبِ ... بآبِدَةٍ وَالدَّهْرُ جَمُّ الأَوَابِدِ

بِعَزْلِ عُبَيْدِ اللهِ عنَّا فَبَالَهُ ... خِلافًاو باسْتِعْمَالِ ذِى النَّوْكِ خالدِ

بِحَيْرَانَ عَنْ قصْدِ السَّبِيلِ تَصُدُّهُ ... خِيانَةُ سَلاَّمٍ وَلِحْيَةُ قائدِ

أَذَلِكَ مِنْ رَيْبِ الزَّمانِ وَصَرْفِهِ ... وَأَحْدَاثِهِ أَمْ نحنُ فى حُلْمِ رَاقِدِ ؟

وقال أيضاً :

قُلْ لأمِيرِ المؤمنينَ الذى ... مِنْ هاشِمٍ فى سِرِّهَا واللُّبابْ

إِنْ كُنْتَ لِلسُّخْطَةِ عاقَبْتَنَا ... بخالدٍ فَهْوَ أَشدُّ العذابْ

أَصَمُّ أعْمَى عن سَبِيلِ الهُدَى ... قَدْ ضَرَبَ الجَهْلُ عليه الحِجابْ

يَا عجَبًا من خالدٍ كيفَ لاَ ... يُخْطِىءُ فِينا مرَّةً بالصَّوَابْ ! ؟

وقال :

خالدٌ يحْــكُمُ فى النَّا ... سِ بحُكْمِ الجاثَلِيق

فهما فاسمع قريضا من ... رقيق حسن النعت
يقول الحق إن قل ... ولا يرميك بالبهت
وفى لمت لوجعاه ... قد استرخت من الفت
فصدى لك يا مابو ... ن مثل الفالج البختي
عتل بعمل الكوم ... من السبت إلى السبت
له فيشلة إن أد ... خلت واسعة الخرت
والا فاطل وجعاه ... ك بالخضخاض والزفت
ألم يبلغك تسآلى ... لدى العلامة البرت
فقال الشيخ سرجو ... يه داء المرء من تحت
فخذ من ورق الدفلى ... و خذ من ورق القت
وخذ من جعر كيسان ... ومن أظفار بسخت
فغرغره به واسعط ... بذا في دائه أفتى

وهناك لفظ سبخت لقب أبي عبيدة ، وقد ضبطه العلامة الشنقيطى الكبير « بسخت » (بضم الباء والسين المشددة)

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن الحر العنبرى التيمي قاضي البصرة

يا أبا الهَيْثَمِ ما كُنْتَ لهذا بخَليقِ
لاَ وَلاَ كُنْتَ لِما حُمِّ لْتَ مِنهُ بِمُطيقِ
أيُّ قاضٍ أنتَ لِلظ لمِ وَتَعْطِيلِ الحُقوق

وقال :

يَقْطَعُ كَفَّ القاذِفِ المُفْتَرِى وَيجْلِدُ اللِّصَّ ثمانِينَا ! ؟
سَقْياً وَرَعْياً لَكَ مِنْ حاكِمٍ يُحْيِي لَنَا السنةَ والدِّينَا ! ؟

وقال زهرة :

يا قَوْمِ مَنْ دَلَّ على عالِمٍ يَعْلَمُ مَا حَدُّ حِرِ سارِقِ

وقال آخر :

وَإِنِّي لَمِضَّاءٌ على الهَوْلِ وَاحِداً وَلوْ ظَلَّ يَنْهانِي أُخَيْفِشُ شاحِجُ(١)
تُشَبَّهُ لِلنَّوْكَى أُمُورٌ كثيرةٌ وفيها لِأَكْيَاسِ الرِّجالِ مَخَارِجُ

وقال آخر :

وَلاَ يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلاَ يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلاَّ تَدَبُّرا

غيره :

إذا ظَعَنوا عن دَارِ ضَيْمٍ تَعاذَلوا عَلَيْها وَرَدُّوا وَفْدَهُم يَسْتَقِيلُها

وقال النَّابِغةُ : (٢)

---

(١) الأخيفش تصغير الاخفش: وهو الضيق العينين. والشاحج: الذي له صوت كصوت البغل أو الغراب

(٢) هو النابغة الذبياني ، وهذا البيت من قصيدة فاخرة أولها :

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وصدر اراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب
على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب
حلفت يمينا غير ذي مثنوية ولاعلم إلا حسن ظن بصاحب
لئن كان بالقبرين قبر بجلق وقبر بصيداء الذي عند حارب
وللحارث الجفني سيد قومه ليلتمسن بالجيش دار المحارب
وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير أشائب
بنى عمه دنيا وعمرو بن عامر أولئك قوم بأسهم غير كاذب

ولا يَحْسَبونَ الخيرَ لا شَرَّ بعْدَهُ   وَلاَيَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لاَزِبِ

والعرب تقول : أَخْزَى الله الرأىَ الدَّبَرِيَّ .

وقالوا : وجهَ الحَجَّاجُ إلى مُطَهَّرِ بْنِ عمَّارِبْنِ ياسِرِ[1] عبدَالرحمن بْنَسَلِيمٍ الـكلْبِيَّ فلما كان بحلوان[2] أتبعه الحجاجُ مدداً وعجَّل عليه بالـكتاب مع تُحَيْتِ الغَلَطِ و إنما قيل له ذلك لـكثرة غلطه ـ فمر تُحَيْتٌ بالمدد وهم يعرضون بخانقين[3] فلما قدم على عبد الرحمن قال له : أين تركت مددنا ؟ قال: تركتهم يخنقون بعارضين!؟ قال : أو يعرضون بخانقين !قال : نعم، اللهم لا تخانق فى باركين ! ولما ذهب بجلس ضرط ، وكان عبد الرحمن أراد أن يقول : ألا تعدى ؟ فقال : ألا تضرط ! قال : قد فعلت أصلحك الله ! قال : ماهذا أردت ! قال : صدقت : ولـكن الأمير غلِط كما غلطنا ؟ فقال : أنا غلطت من فى وغلط هو من استه .

إذا ماغزوا بالجيش حلق فوقهم   عصائب طير تهتدى بعصائب
يصانعهم حتى يغرن مغارهم   من الضاريات بالدماء الدوارب
تراهن خلف القوم خزرا عيونها   جلوس الشيوخ فى ثياب المرانب
جوانح قد ايقن ان قبيله   إذا ما التقى الجمعان أول غالب
إذا استنزلوا عنهن للطعن ارقلوا   إلي الموت إرقال الجمال المصاعب
فهم يتساقون المنية بينهم   بأيديهم بيض رقاق المضارب
ولا عيب فيهم. غير ان سيوفهم   بهن فلول من قراع الـكتائب
تقد السلوقي المضاعف نسجه   وتوقد بالصفاح نار الحباحب
بضرب يزيل الهام عن سكناته   وطعن كايزاغ المخاض الضوارب
لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم   من الجود والأحلام غير عوازب
محلتهم ذات الاله ودينهم   قويم فما يرجون غير العواقب
رقاق النعال طيب حجزاتهم   يحيون بالريحان يوم السباسب
يحيهم بيض الولائد بينهم   وأكسية الاضريج فوق المشاجب
يصونون أجسادا قديما نعيمها   بخالصة الأردان خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لاشر بعده   ولا يحسبون الشر ضربة لازب
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقا   بقومي وإذ اعيت على مذاهبي

(١) كان ممن خرج على الحجاج والظاهر انه كان على احد جيوش ابن الاشعث
(٢) هي حلوان العراق وهى مدينة كبيرة مشهورة
(٣) خانقين : بلدة بسواد العراق وبها عيون للنفط

باب من البله الذي يعتري من قبل العبادة وترك التعرض للتجارب

وهو كما قال أبو وَائِلٍ: أسمعكم تقولون : الدانق والقيراط ! فأيما أكثر !؟ قالوا: وكان عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ في المسجد — وكان قد أخذ عطاءه — فقام إلى منزله ونسيه ، فلما صار في منزله وذكره بعث رسولا ليأتيه به فقيل له : وأين تجد ذلك المال ! قال : سبحان الله ! أو يأخذ أحد ما ليس له !؟

أبو الحسن قال : قال سَعيدُ بنُ عبدِ الرَّحْمٰنِ الزُّبيْرِيُّ : سُرِقت نعل عامرِ ابْنِ عبدِ الله الزُّبيْرِي فلم يتخذ نعلا حتى مات ! وقال : أكره أن أتخذ نعلا فلعل رجلا أن يسرقها فيأثم !

وقالوا : إن الخلفاء والأئمة أفضلُ من الرعية ، وعامة الحكام أفضل من المحكوم عليهم ولهم ، لأنهم أفقه في الدين وأقوم بالحقوق وأردُّ على المسلمين ، وعلمهم بهذا أفضل من عبادة العباد ، ولأن نفع أولئك لا يعدو قِمَمَ رؤُسهم ، ونفع هؤلاء يخص ويعم ، والعبادة لا تدله ولا تورث البله إلا لمن آثر الوحدة وترك معاملة الناس ومجالسة أهل المعرفة ، فمن هناك صاروا بُلْهًا ، حتى صار لا يجيء من أعبدهم حاكم ولا إمام ! وما أحسن ما قال أيوبُ السختياني حيث يقول : في أصحابي مَن أرجو دَعوته ولا أقبل شهادته ! فإذا لم يجز في الشهادة كان من أن يكون حاكما أبعد .

وقال الشاعر :

وَعاجِزُ الرَّأْيِ مِضْياعٌ لِفُرْصَتِهِ ... حَتى إذا فاتَ أمْرٌ عاتَبَ القَدَرَا

أبيات متفرقة من الشعر

ومن غير هذا الباب قوله :

إذا ما الشَّيْخُ عُوتِبَ زَادَ شرًّا ... وَيُعْتِبُ بَعْدَ صَبْوَتِهِ الوَليدُ

وقال عَليُّ بْن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج . وقال الشاعر :

إِذَا تضايَقَ أمْرٌ فانْتَظِرْ فَرَجًا ... فأضْيَقُ الأمْرِ أدْناهُ مِنَ الفَرَجِ

وقال الفرزدق :

وَإنى وَسَعْداً كالحُوَارِ وَأُمِّه   إذا وَطِئَتْهُ لم يَضِرْهُ اعتِمادُها[١]

وقال أعرابى :

تُعَلِّمُنِى بالعَيْشِ عِرْسِى كأنما   تبصّرُ فى الأمر الذى أنا جاهِلُهْ[٢]

يَعِيشُ الفَتى بالفقرِ يوْمًا وبالغنى   وَكلٌّ كأنْ لم يَلْقَ حين يُزايِلُهْ[٣]

وقال آخر :

شَهِدْتُ وَبَيْتِ اللهِ أنكَ باردُ الثَّـ   نايا لذيذٌ لثْمها حينَ تُلْثَمُ

وقال غيره :

أللهُ يَعلَمُ يا مُغيرَةُ أنني   قَدْ دُسْتُها دَوْسَ الحصانِ الهَيْكل[٤]

وَأَخَذْتُها أَخْذَ المُقَصِّبِ شاتَهُ   عَجلانَ يَشْوِيها لِقَوْمٍ نُزَّلِ[٥]

وقال آخر :

شَهِدْتُ وَبيْتِ اللهِ أَنَّكَ باردُ الثَّـ   نايا وَأَنَّ الكَشْحَ مِنكَ لَطيفُ[٦]

وأنَّكَ مشْبوحُ الذِّرَاعَيْنِ خَلْجَمٌ   وأَنَّكَ إذْ تَخلو بهِنَّ عَفيفُ[٧]

وقال آخر :

فَهَلاَّ مِنْ وَزَارِ أَوْ حُصيْنٍ   حَمَيْتُمْ فَرْجَ حاضِنَةٍ كَعابِ

وأُقسِمُ أنَّهُ قَدْ حَلَّ مِنْها   مَحَلَّ السَّيْفِ مِنْ قَعْرِ القِرابِ

وقال آخر :

أَتَرْجُو أَنْ تَسُودَ وَلَنْ تَمَنَّى   وَكَيْفَ يَسُودُ ذُو الدَّعَةِ البَخيلُ[٨]

---

(١) سعد : اسم قبيلة من تميم . والحوار : ولد الناقة ساعة يولد

(٢) عرسه : زوجته

(٣) يزايله : يفارقه

(٤) الحصان الهيكل : الفرس العظيم الجسم

(٥) المقصب : الجزار . النزل : الضيوف

(٦) الكشح : الخصر

(٧) مشبوح الذراعين : مفتولهما . والخلجم : الطويل المنجذب الخلق

(٨) تمنى : تظهر جودك وكرمك

وقال الهُذَلِيُّ :

وَإِنَّ سِيادَةَ الأَقْوامِ فاعْلَمْ ... لها صُعَدَاءُ مَطْلَبُها طَوِيلُ

وقال جَرِيرُ بْنُ الخَطَفَى :

تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ ... وَمَنْ ذا الذى يُرْضِي الأَخِلاَّءَ بالبُخْلِ

وقال إِسْحٰقُ بْنُ حَسَّانَ بْنِ قُوهَى :

وَدُونَ النَّدَى فى كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ ... لها مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ

ووَدَّ الفَتى فى كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ ... إذا ما انْقَضَى لَوْ أَنَّ نائِلَهُ جَزْلُ

وقال آخر :

عَزَمْتَ على إقامَةِ ذِى صَباحٍ ... لِشَىْءٍ مَّا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

وقال آخر :

وتَعْجَبُ إِنْ حاوَلْتُ مِنْكَ تَنَصُّفاً ... وَأَعجَبُ مِنْهُ مَا تُحَاوِلُ مِنْ ظُلْمِى

أَبا حَسَنٍ يَكْفِيكَ ما فِيكَ شاتِماً ... لِعِرْضِكَ مِنْ شَتْمِ الرِّجالِ وَمِنْ شَتْمِى

وقال آخر :

كما قالَ الحِمارُ لِسَهْمِ رَامٍ ... لَقَدْ جُمِّعْتَ مِن شَتَّى لأَمْرِ

وقال آخر :

أَرَاكَ حَدِيدَةً فى رَأْسِ قِدْحٍ ... وَمَتْنَ جُلالَةٍ مِنْ رِيشِ نَسْرِ (١)

وقال آخر :

إذا ماماتَ مِثْلِى ماتَ شَىْءٌ ... يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرُ

وأشعر منه عَبْدَةُ بن الطبيب (٢) حيث يقول فى قَيْسِ بْنِ عاصِمٍ : (٣)

---

(١) القدح : السهم قبل أن يراش وينصل

(٢) مضت ترجمته فى ص ١١٥ من الجزء الاول

(٣) مضت ترجمته فى ص ١٨٧ من الجزء الاول . ومما يحسن إيراده أن قيس بن عاصم لما حضرته الوفاة جمع إليه بنيه وقال لهم : يابنى إذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم ، وإذا مت فادفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى

فما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ   وَلٰكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّما (١)

وقال امْرُؤُ القَيْسِ فى شبيه بهذا المعنى :

فَلَوْ أَنَّها نفْسٌ تموتُ سَوِيَّةً   وَلٰكِنَّها نفْسٌ تَسَاقطُ أَنفُسَا

وقال آخر :

وَزَهَّدَنى فى صالِحِ العَيْشِ أَنَّنِي   رَأَيْتُ يَدِى فى صالِحِ العيشِ قَلَّتِ

وقال مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ : (٢)

ولَقَدْ بَدَالى أَنَّ قَلْبَكَ ذاهِلٌ   عَنِّى وَقَلْبِى لوْ بدَا لكَ أَذْهَلُ

كلٌّ يُجامِلُ وَهْوَ يُخْفِى بُغْضَهُ   إِنَّ الكريمَ على القِلَى يتجَمَّلُ (٣)

وقال رَكاضٌ : (٤)

فيها واصوم وإياكم والمسالة فانها آخر مكاسب العبد ولن امرأ لم يسأل إلا ترك مكسبه ، وإذا دفنتمونى فاخفوا قبري عن هذا الحى من بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية ، ثم جمع ثلاثين سهما فربطها بوتر ثم قال: اكسروها ، فلم يستطيعوا ، فقال : فرقوها ،ففرقوها، فقال: اكسروها، سهما سهما ، فكسروها ، فقال : هكذا أنتم فى الاجتماع وفى الفرقة ، ثم قال :

إنما المجد ما بنى والد الصد   ق واحيا فعاله المولود
وتمام الفضل الشجاعة والحـ   ـلم إذا زانه عفاف وجود
وثلاثون يا بنى إذا ما   جمتهم فى النائبات العهود
كثلاثين من قداح إذا ما   شدها للزمان قدح شديد
لم تكسر وان تفرقت الاسـ   ـهم اودى بجمعها التبديد
وذوو الحلم والاكابر اولى   ان يرى منكم لهم تسويد
وعليكم حفظ الاصاغر حتى   يبلغ الحنث الاصغر المجهود

(١) لما مات قيس بن عاصم وكان محسنا على عبدة بن الطبيب رثاه عبدة بقوله :

عليك سلام الله قيس بن عاصم   ورحمته ما شاء ان يترحما
تحية من أوليته منك نعمة   إذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قوم تهدما

(٢) هو معن بن اوس بن نصر بن زياد المزنى ، شاعر فحل مجيد من شعراء الجاهلية والاسلام ، وكان بليغ الكلام حسن الديباجة فخم المعاني ، مدح الكثير من اصحاب رسول الله ووفد إلى عمر ابن الخطاب مستفينا به ومدحه بقصيدة جيدة ، وبقى إلى ايام عبد الملك بن مروان وكف بصره

(٣) القلى : الكراهية ، يتجمل : يدارى مابه

(٤) ركاض : لعله ركاض بن الحكم المرى وكان من الفرسان الشعراء

نُرَامِي فَتَرْمِي نَحْنُ مِنهُنَّ فِي الشَّوَى وَيَرْمِينَ لَا يَعْدِلْنَ عَنْ كَبِدٍ سَهْمًا[١]
إِذَا مَالَبِسْنَ الحَلْيَ وَالوَشْيَ أَشْرَقَتْ وُجُوهٌ وَلَبَّاتٌ يُسَلِّبْنَنَا الحِلْمَا
وَلَبِسْنَ السُّبُوبَ حُمْرَةً قُرَشِيَّةً زُبَيْرِيَّةً يَعْلَمْنَ فِي لَوْنِهَا عِلْمَا[٢]

وقال آخر :

أُعَلِّلُ نَفْسِي بِمَا لَا يَكُو نُ كَمَا يَفْعَلُ المَائِقُ الأَحْمَقُ

وقال آخر :

تَوَلَّتْ بَهْجَةُ الدُّنْيَا فَكُلُّ جَدِيدِهَا خَلَقُ
وَخَانَ النَّاسُ كُلُّهُمُ فَمَا أَدْرِي بِمَنْ أَثِقُ
رَأَيْتُ مَعَالِمَ الخَيْرَا تِ سُدَّتْ دُونَهَا الطُّرُقُ
فَلَا حَسَبٌ وَلَا أَدَبٌ وَلَا دِينٌ وَلَا خُلُقُ

وقال أبو الأسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ :[٣]

لَنَا جِيرَةٌ سَدُّوا المجَازَةَ بَيْنَنَا فَإِنْ ذَكَّرُوكَ السَّدَّ فَالسَّدُّ أَكْيَسُ
وَمِنْ خَيْرِ مَا أَلْصَقْتَ بِالدَّارِ حَائِطٌ يَزِلُّ بِهِ صَفْعُ الخَطَاطِيفِ أَمْلَسُ

وقال آخر :

عَقِمَتْ أُمٌّ أَتَتْنَا بِكُمُ لَيْسَ فِيكُمْ رَجُلٌ غَيْرُ دَنِيّ
وَإِذَا مَا النَّاسُ عَدُّوا شَرَفًا كُنْتُمُ مِنْ ذَاكَ فِي بَالٍ رَخِيّ

---

(١) الشوى : جلدة الراس

(٢) السبوب : شقق رقيقة تتخذ منها الخمر تغطي بها النساء اوجههن

(٣) كان لأبي الاسود ابن عم يجاوره في داره وكان شرسا سيء الخلق فاراد ان يسد الباب الذي بينه وبين ابي الاسود فقال له قومه لا تفعل فتضر ابا الاسود وهو شيخ وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة ، فابى إلا سده ثم ندم لانه اضر به هو فكان إذا اراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه فعزم على فتحه فمنعه أبو الاسود وقال فيه ابياتا ومنها هذين البيتين ونرويهما لخلاف في بعض الفاظهما قال :

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا فان ذكروك السد فالسد اكيس
ومن خير ما الصقت بالجار حائط تزل به سفع الخطاطيف املس

وقال آخر :

قَدْ بَلَوْنَاكَ بِحَمْدِ اللهِ إِنْ أَغْنَى الْبَلَاء
فَإِذَا كُلُّ مَوَاعِيدِكَ وَالْجَحْدُ سَوَاء

وقال آخر :

وَلَقَدْ هَزَزْتُكَ بِالْمَدِيحِ فَكُنْتَ ذَا نَفْسٍ لَكِيعَهْ
أَنْتَ الرَّقِيعُ ابْنُ الرَّقِيعِ ابْنِ الرَّقِيعِ ابْنِ الرَّقِيعَهْ

وقال آخر :

لِكُلِّ أُنَاسٍ سُلَّمٌ يُرْتَقَى بِهِ وَلَيْسَ إِلَيْنَا فِي السَّلَالِيمِ مَطْلَعُ
وَغَايَتُنَا الْقُصْوَى حِجَازٌ لِمَنْ بِهِ وَكُلُّ حِجَازٍ إِنْ هَبَطْنَاهُ بَلْقَعُ
وَيَنْفِرُ مِنَّا كُلُّ وَحْشٍ وَيَنْتَمِي إِلَى وَحْشِنَا وَحْشُ الْبِلَادِ فَيَرْتَعُ

وقال آخر :(١)

لَوْ جَرَتْ خَيْلٌ نُكُوصًا لَجَرَتْ خَيْلُ دِفَافَهْ(٢)
هِيَ لَا خَيْلُ رَجَاءٍ لَا وَلَا خَيْلُ مَخَافَهْ

وقال الخُرَيْمِيُّ :

إِخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْ أَبِي دُلَفٍ وَاهْرُبْ مِنَ الْفَجْفَاجَةِ الصَّلِفِ(٣)
لَا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ أَبِي دُلَفٍ وَجْهٌ يُضِيءُ كَدُرَّةِ الصَّدَفِ
إِنِّي رَأَيْتُ أَخِي أَبَا دُلَفٍ عِنْدَ الْفِعَالِ مُوَلَّدَ الشَّرَفِ

وأنشد ابنُ الأعرابيِّ :

أَهْلَكَتْنِي بِفُلَانٍ ثِقَتِي وَظُنُونٌ بِفُلَانٍ حَسَنَهْ
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَهْ

---

(١) هو مكنف المزني من ولد زهير بن ابي سلمى . شاعر اسلامي

(٢) هو دفافة بن عبد العزيز العبسي من رجال الدولة العباسية

(٣) الفجفاجة : الكثير الكلام القليل الفعال

كُنْتُ كالْهَادِي مِنَ الطَّيْرِ رَأَى طَمَعًا أَدْخَلَهُ فِي سِجْنِهْ
زَادَنِي قُرْبُ صَدِيقِي فَاقَةً أَوْرَثَتْ مِنْ بَعْدِ فَقْرٍ مَسْكَنَهْ

وأنشدنا :

إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهَوَانَ فَأَوْلِهِ هَوَانًا وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَاصِرُهْ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُهِينَهُ فَذَرْهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُهْ
وَقَارِبْ إِذَا مَالَمْ تَكُنْ لَكَ قُدْرَةٌ وَصَمِّمْ إِذَا أَيْقَنْتَ أَنَّكَ عَاقِرُهْ

وقال بعض ظُرَفاءِ الأعراب :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْفُؤَادِ لَجَاجَةً فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِجُرْعَةٍ مِنْ رَائِبِ

وهذ من شكل قوله :

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً فَاصْطَدْتُ ضَبًّا وَكُنْتُ إِذَا ذَكَرْتُكِ لَا أَخِيبُ

وقال بعض المحدثين :

مَا أَشْبَهَ الْإِمْرَةَ بِالْوَصْلِ وَأَشْبَهَ الْهِجْرَانَ بِالْعَزْلِ

وقالت الخنساء :

لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَدْنَسْ عِمَامَتُهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْبُرْدِ أُسْوَارُ (١)

وقال آخر : (٢)

نَادَيْتُ هَيْذَانَ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَمِثْلُ هَيْذَانَ سَنَّى فَتْحَةَ الْبَابِ
كَالْهِنْدُوَانِيِّ لَمْ تَفْلُلْ مَضَارِبُهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَّابُ

وقال آخر :

أَرَى كُلَّ رِيحٍ سَوْفَ تَسْكُنُ مَرَّةً وَكُلَّ سَمَاءٍ ذَاتِ دَرٍّ سَتُقْلِعُ (٣)

(١) الأسوار : قائد الجيش من الفرس والفارس منهم
(٢) انظر ص ٤٩ من الجزء الأول
(٣) الدر : المطر . ستقلع : ستكف عن الأمطار

وَلَسْتُ بِقَوَّالٍ إِذَا قَامَ حَالِبًا ... لَكَ الوَيْلُ لَا تَجْهَدْ لَعَلَّكَ تُرْضَعُ (١)
وَلٰكِنْ إِذَا جَادَتْ بِمَا دُونَ حَلْبِهَا ... جَهِدْنَا وَلَمْ نَمْذُقْ بِمَا نَتَوَسَّعُ (٢)

وقال آخر :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَغَايَتِى ... إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبِ
وَمَا رَغْبَتِى فِى آخِرِ الدَّهْرِ بَعْدَمَا ... لَبِسْتُ شَبَابِى كُلَّهُ وَمَشِيبِى
وَأَصْبَحْتُ فِى قَوْمٍ كَأَنْ لَسْتُ مِنْهُمُ ... وَبَادَ قُرُونِى مِنْهُمُ وَضُرُوبِى (٣)

وقال :

رَأَيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِى ... وَأَكْثَرْتُ الغَرَامَةَ وَدَّعُونِى
فَلَمَّا أَنْ غَنِيتُ وَثَابَ وَفْرِى ... إِذَا هُمْ لَا أَبَا لَكَ رَاجَعُونِى (٤)

وقال آخر :

وَكُنَّا نَسْتَطِبُّ إِذَا مَرِضْنَا ... فَصَارَ سَقَامُنَا بِيَدِ الطَّبِيبِ
فَكَيْفَ نُجِيزُ غُصَّتَنَا بِشَىْءٍ ... وَنَحْنُ نَغَصُّ بِالمَاءِ الشَّرِيبِ (٥)

وقال عَدِىُّ بْنُ زَيْدٍ : (٦)

---

(١) لا تجهد الناقة فى الحلب لعلها ترضع لك قلاصا

(٢) نمذق : نخلط اللبن بالماء

(٣) قرونى وضروبى : لداتى ونظرائى

(٤) وثاب وفرى : عاد إلى مالى

(٥) النصص : الشرق

(٦) لما غضب النعمان بن المنذر على عدي بن زيد العبادى وحبسه أرسل إليه من محبسه عدة قصائد ومنها هذه القصيدة التى منها البيت الذي رواه الجاحظ وهى :

أبلغ النعمان عنى مالكا ... أنه قد طال حبسى وانتظاري
لو بغير الماء حلقى شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري
وعداتى شمتت أعجبهم ... اننى غيبت عنهم فى إسارى
فلئن دهر تولى خيره ... وجرت بالنحس لى منه الجواري
لي بما منه قضينا حاجة ... وحياة المرء كالشىء المعار
لثق الريش تدلى غدوة ... من أعالى صعبة المرقى طمار
ليت شعرى من دخيل يفترى ... حيثما ادرك ليلى ونهاري
لامرئ لم يبل منى سقطة ... إن اصابته ملمات العثار
قاعدا يكرب نفسى بثها ... وحرام كان سجنى واحتصارى

لَوْ بِغَيْرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي

وقال التُّوتُ اليَمَانِي — ويروى التوب بالباء ، والتوت هو الصواب — وهو المعروف بتُوَيْتٍ ، فكبره هنا :

عَلَى أَيِّ بَابٍ أَطْلُبُ الإِذْنَ بَعْدَ مَا ... حُجِبْتُ عَنِ البَابِ الَّذِي أَنَا حَاجِبُهْ

وقال آخر :

لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا تَدْخُلْكَ مَعْجَزَةٌ ... فَالنُّجْحُ يَهْلِكُ بَيْنَ العَجْزِ وَالضَّجَرِ

وقال مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ (١)

إِنَّ الأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَتَجَا

لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وقال بعض الأعراب :

فَإِنَّ طَعَامًا ضَمَّ كَفِّي وَكَفَّهَا ... لَعَمْرُكَ عِنْدِي فِي الحَيَاةِ مُبَارَكُ

فَمِنْ أَجْلِهَا أَسْتَوْعِبُ الزَّادَ كُلَّهُ ... وَمِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي يَدِي وَتَدَارَكُ (٢)

نحن كنا قد علمتم قبلكم ... عمد البيت واوتاد الاصار

وأبوك المرء لم يشنأ به ... يوم سيم الخسف منا ذو الخسار

أجل نعمى ربها أولكم ... ودنوى كان منكم واصطهاري

أجل أن الله قد فضلكم ... فوق من أحكأ صلبا بازار

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، مضت ترجمته فى ص ٦٩ من الجزء الأول . واول هذه الابيات :

مادا يكلفك الروحات والدلجا ... البر طورا وطورا تركب اللججا

كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته ... ألفيته بسهام الرزق قد فلجا

وبعدها الابيات الثلاثة ويليها قوله :

فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها ... فمن علا زلقا عن غرة زلجا

ولا يغرنك صفو انت شاربه ... فربما كان بالتكدير ممتزجا

لا ينتج الناس إلا من لقاحهم ... يبدو لقاح الفتى يوما إذا نتجا

(٢) تدارك : لاحق الأكل بسرعة

وقال آخر :

كأنى لمَّا مسَّنِى السَّوْطُ مُقْرَمٌ ... مِنَ العُجْمِ صَعْبٌ أنْ يُقادَ نَفُورُ (١)

فكمْ قدْ رأينا مِنْ لئيمٍ مُوَطَّإٍ ... صَبُورٌ عَلَى مَسِّ السِّيَاطِ وَقُورُ

وَذِى كَرَمٍ فى القَوْمِ نَهْدٍ مُشَيَّعٍ ... جَزُوعٌ عَلَى مَسِّ السِّيَاطِ ضَجُورُ (٢)

وقال أُحَيْحَةُ بْنُ الجُلاحِ : (٣)

إسْتَغْنِ عَنْ كلِّ ذِى قُرْبَى وَذِى رَحِمٍ ... إنَّ الغَنِىَّ مَنِ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ

وَالْبَسْ عَدُوَّكَ فى رِفْقٍ وَفِى دَعَةٍ ... لِبَاسَ ذِى إرْبَةٍ لِلدَّهْرِ لَبَّاسِ (٤)

وَلاَ يَغُرَّنْكَ أَضْغَانٌ مُزَمَّلَةٌ ... قَدْ يُضْرَبُ الدَّبِرُ الدَّامِى بِأَحْلاَسِ (٥)

وقال أُحَيْحَة أيضاً : (٦)

إسْتَغْنِ أوْمُتْ وَلاَ يَغْرُرْكَ ذُو نَشَبٍ ... مِنِ ابْنِ عَمٍّ وَلاَ عَمٍّ وَلاَ خَالِ

إنِّى أُكِبُّ عَلَى الزَّوْرَاءِ أَعْمُرُهَا ... إنَّ الكَرِيمَ عَلَى الأَقْوَامِ ذُو المالِ

يَلْوُونَ مَاعِنْدَهُمْ عَنْ حَقِّ أقْرَبِهِمْ ... وَعَنْ عَشِيرَتِهِمْ وَالمَالُ بِالْوَالِى

وقال آخر :

سَأُنْبِيكَ مَالاً بِالمَدِينَةِ إنَّنِى ... أرَى عَازِبَ الأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَاصِلُهْ (٧)

---

(١) المقرم : الجمل الصعب القياد

(٢) نهد : كريم . والمشيع : الشجاع الجرىء

(٣) مضت ترجمته فى ص ١٨ من الجزء الاول

(٤) ذو إربة : عاقل مجرب

(٥) مزملة : مغطاة . الدبر : الذى أصابه الدبر من الابل والخيل . الاحلاس : الاغطية وهى الجلال التى توضع على ظهور الخيل بينها وبين السروج

(٦) هذه الابيات من قطعة تروى هكذا :

إنى اقيم على الزوراء اعمرها ... إن الكريم على الاخوان ذوالمال

لها ثلاث بئار فى جوانبها ... فى كلها عقب يسعى باقبال

إستغن او مت ولا يغررك ذونشب ... من ابن عم ولا عم ولا خال

يلوون مالهم عن حق اقربهم ... وعن عشيرتهم والحق للوالى

(٧) العازب : البعيد

وقال آخر :

وَلاَ خَيْرَ فى فَضْلٍ إِذَا لم يكُنْ لهُ عَلَى طُولِ مَرِّ الْحَادِثَاتِ بَقَاء

وقال العَبَّاسُ بْنُ الأَحْنَفِ : (١)

لمْ يَصْفُ حُبٌّ لِمَعْشُوقَيْنِ لمْ يَذُقَا وَصْلاً يَمُرُّ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ العَسَلُ

وقال بعض سُفَهَاء الأَعْرَاب :

لاَخَيْرَ فى الْحُبِّ أَبَا السَّنَوَّرِ أَوْ يَلْتَقِى أَشْعَرُهَا وأَشْعَرِى

وأُطْبِقُ الْخُصْيَةَ فَوْقَ الْبَعَرِ

وقال آخر

وَحَظكَ زَوْرَةٌ فى كلِّ عَامٍ مُوَافَقَةً عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

سَلاَمًا خَالِيًا مِنْ كلِّ شَيْءٍ يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ

وقال عُطَارِدٌ :

وَلاَ يَلْبَثُ الْحَبْلُ الضَّعِيفُ إِذَا الْتَوَى وَجَاذَبَهُ الأَعْدَاء أَنْ يَتَجَذَّمَا .

وَمَا يَسْتَوِى السَّيْفَانِ سَيْفٌ مُؤَنَّثٌ وَسَيْفٌ إِذَا مَا عَضَّ بِالْعَظْمِ صَمَّمَا ؛

وقال طُرَيْحُ بْنُ إِسمٰعيل(٢) فى الوَلِيد بْنِ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ : (٣)

سَعَيْتُ ابْتِغَاء الشُّكْرِ فِيما صَنَعْتَ بِى فقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّى لَشَاكِرُ(٤)

---

(١) هو العباس بن الاحنف بن الاسود الحنفى . كان شاعرا شريفا مطبوعا من شعراء الدولة العباسية جيد الغزل حسن المذهب جميل الديباجة ، لشعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف ، لم يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، وكان من الظرفاء ظاهر النعمة ملوكي المذهب ، وقد شغل بالنسيب دون غيره مع حلاوة وقبول وغزارة فكر وسعة فى القول وكثرة تصرف في الغزل والنسيب . وهو خال ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب المشهور . مات ببغداد سنة ١٩٢ هـ

(٢) هو طريح بن إسماعيل الثقفى اليمامي . شاعر مجيد من شعراء الدولة الاموية . وكان خاصا بالوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان الوليد مكرما له يدنى مجلسه ويعلى مكانته ويجعله اول داخل وآخر خارج . وكان موضع سره ونجواه . وأدرك الدولة العباسية ومات فى أيام المهدى

(٣) وروي أن هذه الابيات قالها طريح فى خالد بن عبد الله القسرى

(٤) يروى : طلبت ابتغاء الشكر

لِأَنَّكَ تُعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدَاهَةً ... وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ (١)

فَأَرْجِعُ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعُ بِالَّتِي ... لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرُ (٢)

وَقَدْ قُلْتُ شِعْرًا فِيكَ لَكِنْ تَقُولُهُ ... مَكَارِمُ فِيمَا تَبْتَنِي وَمَفَاخِرُ

قَوَاصِرُ عَنْهَا لَمْ تُحِطْ بِصِفَاتِهَا ... يُرَادُ بِهَا ضَرْبٌ مِنَ الشِّعْرِ آخَرُ

وقال آخر :

فَكَمْ مِنْ مُلِيمٍ لَمْ يُصِبْ بِمَلَامَةٍ ... وَمُتَّبَعٍ بِالذَّنْبِ لَيْسَ لَهُ ذَنْبُ

وَكَمْ مِنْ مُحِبٍّ صَدَّ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي وَصْلِ خُلَّتِهِ عَتْبُ

وقال آخر :

لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ ... وَكَمْ لَائِمٍ قَدْ لَامَ وَهْوَ مُلِيمُ

كما قال الأحنف :(٣) رُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لهُ . وقال ابنُ المُقَفَّعِ :

فَلَا تَلُمِ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ ... فَرُبَّ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ

وقال سعيد بنُ عبدِ الرحمنِ بن حسان بْنِ ثابتِ الأنصاري : (٤)

وَإِنَّ امْرَأً يُمْسِي وَيُصْبِحُ سَالِمًا ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

---

(١) يروي : وقد كنت تعطيني

(٢) كان بالأصول : وارجع بالتي ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه

(٣) هو الاحنف بن قيس مضت ترجمته في ص ٦١ من الجزء الاول

(٤) ليس هذا البيت لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان وإنما هو لحسان نفسه ، فقد روى الثقات ان حسان بن ثابت سمع في جوف الليل وهو يقول : انا حسان بن ثابت انا ابن الفريعة انا الحسام ، فلما سئل في ذلك قال : قد عالجت بيتا من الشعر فلما احكمته نوهت بأسمائي ، وهو قولي :

وان امرأ يمسي ويصبح سالما ... من الناس إلا ماجنى لسعيد

فلما مات حسان اوقد عبد الرحمن بن حسان نارا حتى إذا اجتمع إليه الحي قال :انا عبد الرحمن بن حسان ، قلت بيتا فخفت ان يسقط بحدث يحدث على فجمعتكم لتسمعوه فانشدهم :

وإن امرأ نال الغنى ثم لم ينل ... صديقا ولا ذا حاجة لزهيد

فلما مات عبد الرحمن صنع ابنه سعيد صنيعه وانشدهم :

وان امرأ لاحى الرجال على الغنى ... ولم يسال الله الغنى لحسود

فانت ترى ان البيت لحسان ، وهذا هو الاصح

« انتهى الجزء الثاني ويتلوه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى »

فهرس الجزء الثانى

من كتاب البيان والتبيين وشرحه

وقعت بعض أغلاط مطبعية لا تخفى على فطنة القارئ لم نر ضرورة لبيانها لعدم أهميتها